المكتبة التاريخية
مظهر التقديس بذهاب
دولة الفرنسيس
عبد الرحمن الجبرتي
دراسة وتحقيق وتعليق
عبد الرازق عبد الرازق عيسى / عماد أحمد هلال
الجزء الأول (١)
Bibliotheca Alexandrina
0014668
العربي للنشر والتوزيع

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

عبد الرحمن الجبرتى

تحقيق ودراسة وتعليق

عبد الرازق عيسى

باحث فى التاريخ الحديث

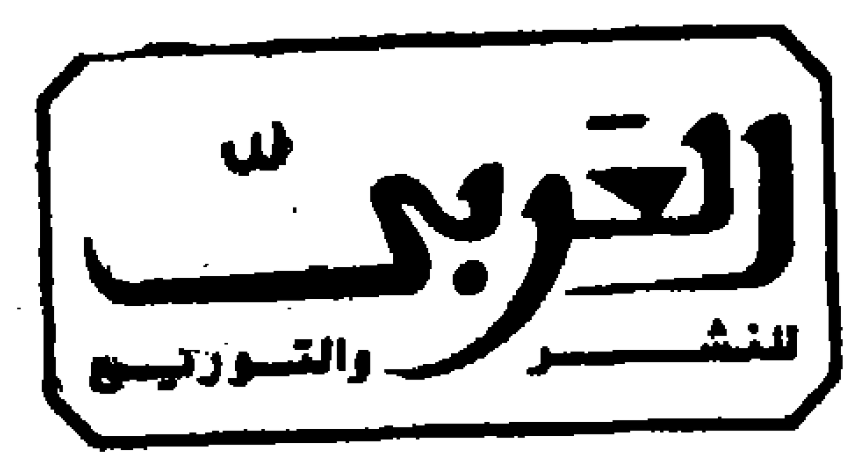
آداب عين شمس

عماد أحمد هلال

باحث فى التاريخ الحديث

آداب بنها

الجزء الأول



٦٠ شارع القصر العينى - أمام

روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة

ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس: ٣٥٤٧٥٦٦

العربى للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة

ت : ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

الطبعة الأولى

١٩٩٨

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

للعلامة عبد الرحمن الجبرتى

المحققين : عبد الرازق عبد الرازق عيسى - عماد أحمد هلال

عدد الصفحات : ٥٩١

الغلاف للفنان : مصطفى رمزى

مطبعة النيل : ٢١ ش المدارس - العمرانية الغربية جيزة - ت : ٥٦١٥٧٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــــداء

إلى كل باحث عن الحقيقة فى غياهب الظلمات .

إلى كل من يرفع الأتربة عن صفحات التاريخ المنسية إلى كل فدائى

يعمل فى البحث العلمى فى مصر فى ظل الظروف الراهنة .

إلى كل هؤلاء وإلى روح الباحث الشاب "علم الدين الجندى "

نهدى هذا الكتاب

المحققان

مقدمة المحققين

تمثل الحملة الفرنسية مرحلة فاصلة فى تاريخ مصر الحديث ، ومن حولها انقسم المؤرخون والمثقفون ، فمنهم المؤيدون لكل ما جاءت به الحملة ، ويعتبرونها بداية التحديث فى مصر الحديثة ، لاغين بذلك الفترة السابقة على هذا التاريخ ، ومعتبرين إياها كماً مهملاً . فالفترة العثمانية فى نظرهم فترة ركود واضمحلال وتأخر تعود للعصور الوسطى ، وهم لذلك يتفقون مع توجههم الأيدلوجى وميولهم الغربية . أما الفريق الآخر فهم على النقيض تماماً ، حيث يرون أن الحملة الفرنسية لم تكن بداية الحداثة بل كان هناك داخل المجتمع المصرى بذور وجذور لنهضة داخلية ذاتية ، وقد جاءت الحملة لتقضى عليها . وتبنى هذا الرأى منذ البداية المرحوم د. جمال الدين الشيال ، ونادى به فى الفترة الأخيرة المؤرخ المصرى د. عبد الله عزباوى فى دراسته عن الحياة الفكرية فى مصر فى العصر العثمانى ، وكذلك المؤرخ الأمريكى بيتر جران، وكذلك الدكتورة نيللى حنا ، وغيرهم من الباحثين المتعمقين فى دراسة تلك الفترة . وهناك صراع فكرى حاد بين أصحاب هذين الاتجاهين وكل له أسانيده الخاصة به .

وفى الفترة الحالية ثار نزاع بين المؤرخين بسبب هذا الموضوع وبمناسبة مرور مئتى عام على مجئ الحملة الفرنسية إلى مصر . وكان ردنا كجماعة من شباب الباحثين فى التاريخ المصرى الحديث ؛ أن نبرز إلى الوجود كتاب يعد وثيقة تاريخية بارزة . وليس الهدف من ذلك تأييد أحد الاتجاهين ، أو الاشتراك فى هذا النزاع الفكرى ، وإنما الهدف هو الإسهام فى توضيح الصورة ، وإزالة الالتباس من خلال نشر كتاب " **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس** " الذى يعد خير شاهد على تلك الفترة الهامة فى تاريخ مصرنا الحبيبة .

وعلى الرغم من أن الكتاب قد طبع من قبل ثلاث مرات ؛ إلا أننا نقدمه بتحقيق علمى منهجى لأول مرة ، حيث ننشر النص الكامل للكتاب معتمدين على أربع نسخ مخطوطة ، كما أضفنا التعليقات العلمية والشروح الوافية على الكتاب . وهذا الكتاب- بكل واقعية وصدق - يعتبر أبلغ رد على دعاة الاحتفال بالحملة الفرنسية الاستعمارية،

التى جاءت لا لخير مصر ومصلحتها والنهوض بها من كبوتها ؛ وإنما لاستغلال خيراتها وموقعها . ونحن نقدم هذا الكتاب إلى هذا الجيل والأجيال اللاحقة ليروا بأعينهم ويلمسوا بأيديهم ما فعله الآباء والأجداد دفاعاً عن هذا الوطن ، وكيف عانوا من قسوة المحتل وفداحة العقوبات التى أنزلها بهم من قتل وسجن وغرامات ومصادرات وغير ذلك . وكذلك نقدمه للناس ربما يساهم فى تشكيل جزء من وعيهم التاريخى ليكون لهم موقف وكلمة ودور وينبغى أن نقول أننا كمجموعة من شباب الباحثين نعمل ونؤمن بأننا أشد ما نكون احتياجاً فى هذه الأيام ، لإخراج تراث العصر العثمانى ودراسته وتقييمه والحكم عليه ، خاصة وأن هناك آلاف المخطوطات التى تزخر بها المكتبات فى مصر والعالم ، تحتاج إلى من ينفض عنها غبار السنين وستار النسيان والتجاهل ، خاصة وأن الشباب – وإن كان لديهم الحماس فى العمل – إلا أنهم يفتقرون إلى الدعم الكافى ، ويتكبدون عظم العناء فى النشر وغيره ، فهل نجد من معين من هيئاتنا البحثية والأكاديمية .

ولا ننسى أن نقدم عميق شكرنا إلى كل من ساندنا أو ساعدنا فى إخراج هذا الكتاب ، وفى مقدمتهم أساتذتنا الأجلاء فى سيمنار التاريخ الحديث بآداب عين شمس، والتاريخ العثمانى بآداب القاهرة ، حيث كان لهم الفضل فى توجيهنا لهذا المجال ، كما نتقدم بخالص الشكر وعميق التقدير لزملائنا الأعزاء : الأستاذ : رمضان الخولى ، والأستاذ أشرف أنس ، والأستاذ : عبد العظيم سعودى ، والسيدة : عبير أحمد سليمان ، والآنسة : نهلة أحمد سليمان ، ولا نستطيع أن ننسى الفضل الذى غمرنا به الصديق والأخ الكريم د. عماد أبو غازى الذى لولاه ما خرج هذا العمل للنور ، وفى النهاية ، لقد حاولنا قدر الاستطاعة أن نصل بهذا العمل لذروة الكمال ، ولكن الكمال محال على البشر ، وحسبنا أننا حاولنا. وباسم العلم نطلب من كل من يقع نظره على خطأ أن يوافينا به لنتداركه فى الطبعات التالية إن شاء الله تعالى .

القاهرة فى ٢٧ رمضان ١٤١٨هـ الموافق ٢٥ يناير ١٩٩٨م

المحققان

الدراسة

أولاً: المؤرخ والعصر
ثانياً: هذا الكتاب

أولاً: المؤرخ والعصر الذي عاش فيه

١- ضعف الدولة العثمانية وأثره على مصر :

مع التغيرات التى شهدتها الدول الأوربية منذ القرن السادس عشر ، والتى أبرزها التحول من دول إقطاعية إلى دول رأسمالية تجارية ثم رأسمالية صناعية عقب الانقلاب الصناعى ، أصبح ميزان القوى بين أوربا والدولة العثمانية يميل لصالح الدول الأوبية بشكل نهائى وحاسم ،وأصبحت الدولة العثمانية مع بداية القرن التاسع عشر فى حالة من الضعف باتت معها عاجزة عن مواجهة التحدى الأوربى الذى كان فى بعض جوانبه تحدياً حضارياً ، ويرجع ذلك إلى ما شهدته من اضطرابات سياسية وصراع على السلطة بين قواد الجيش وكبار الموظفين والى جانب ذلك فإنها كانت تجتاز أزمة اقتصادية طاحنة بعد أن فقدت أغنى ولاياتها فى شرق أوربا ، وكذلك بعد أن تقلصت تجارة الدولة فى الشرق بفضل التوسع الأوربى هناك ، فارتفعت الأسعار ، وتضاعفت الضرائب ، وضعفت الزراعة، وهجر السكان الريف.

ولقد أصيبت نظم الحكم فى الشرق العربى بالانهيار السريع خلال القرن الثامن عشر ، حيث اختل التوازن الذى كانت ترمى إليه قوانين السلطان سليمان ، بين السلطة المركزية وبين العصيبات المحلية . وكان الباب العالى يعتريه الخوف من جراء هذا الاختلال ، فكان متردداً فى انتهاج سياسته التقليدية فى تغيير الباشوات بانتظام ، أو تثبيت الباشوات ، خصوصاً الذين أثبتوا مقدرة على إخضاع حركات التمرد.

وكان هذا الاضطراب السياسى والتدهور الاقتصادى أكثر وضوحاً فى

مصر ، فبعد أن فشلت حركة على بك الكبير، انفتح المجال لتخلفه عصبيات مملوكية متعددة ، تعاقبت على السلطة مستغلة اختلال أمر الجند العثمانيين وبذلك فقد النظام مقوماً أساسياً من مقومات توازنه ، فشهدت مصر منذ انتهاء حكم على بيك الكبير ، وحتى مجئ الحملة الفرنسية فترة من أشد الفترات التى مرت بمصر اضطراباً وفساداً وقد زاد من هذا الاضطراب اضطراد ضغط القبائل البدوية على الريف وأطراف المدن ، وعلى خطوط المواصلات ، كما كانت مركزاً للمؤامرات المملوكية ضد السلطة العثمانية فى القاهرة.

وقد انعكس هذا الوضع السياسى المتدهور على الأوضاع الاقتصادية ، فالالتزام الذى نشأ تعبيراً عن ضعف السلطة المركزية ، أصبح يمنح مدى العمر، ثم أصبح يورث ويمكن التنازل عنه للغير ، كما أصبح الفائض فى المجال الزراعى يذهب إلى الملتزمين ، وأكثرهم من المماليك، فيستخدم فى مظاهر الترف أو فى أغراض مضادة لأهداف الدولة . أما الصناعة فقد ضعفت ، واندثرت كثير من الصناعات التى كانت موجودة فى عصر سلاطين المماليك ، وتغيرت قواعد التنظيم الطائفى عن الغاية الفنية إلى الناحية الإدارية ، فأصبحت أهدافه جمع الضرائب والأموال بأقصى قدر ممكن ، دون النظر لمصالح الصناعة . أما التجارة فقد كانت تواجه تحدياً عظيماً بسبب القلق والفوضى ، ولقد وجد التجار أن استثمار أموالهم فى حيازة الأرض هو المجال الأكثر أمناً، وهذا يفسر لنا سبب وجود أعداد من التجار فى دفاتر الالتزام . زد على ذلك فوضى النقد الناتجة عن التغيير المستمر ، وغش العملة ، ودخول العديد من العملات الأجنبية مجال التداول .

٢- أزمة الفكر والحضارة:

وصلت الحضارة الاسلامية فى القرن الثامن عشر إلى مرحلة من التدنى

والانحطاط لم يسبق لها مثيل ، والحقيقة أن هذا التدهور الفكرى والحضارى ليس مسئولية العثمانيين وحدهم لأنه يرجع إلى عوامل تسبق زمنياً وصول العثمانيين إلى المنطقة . فالهجمات الشرسة للصليبيين والمغول ومسيحيى أسبانيا قد دمرت الجانب الأكبر من التراث الفكرى الإسلامى، كما أصابت تلك الحروب الطويلة العالم الإسلامى بالتعب والإنهاك ، فى الوقت الذى كان يقف فيه على أعتاب العصر الحديث.

وفى نفس الوقت كان العرب قد تنازلوا عن دور القيادة لعناصر غير عربية ، نعم كان لهم الفضل فى حماية الإسلام، ولكنهم كانوا نكسة للفكر والحضارة العربية والإسلامية ، فهذا السلطان محمود الغزنوى يأمر بإحراق مكتبة الصاحب بن عباد فى مدينة الرى، وهذا صلاح الدين الأيوبى يتسبب فى إحراق مكتبة القصر الفاطمى ، وهى واحدة من أكبر المكتبات الإسلامية فى العصر الوسيط . وقد استمر التدهور فى العصر العثمانى لأن العثمانيين لم يكونوا أحسن حالاً فى موقفهم من التراث العربى من العناصر السابقة ، فهم قد احتفظوا بتركيتهم ، ومن ثم كانوا أكثر سلبية وبعداً عن التراث العربى من العناصر التركية السابقة ، لأن العناصر السابقة قد تعربت ، فظلت اللغة العربية هى لغة الدولة والمعاملات ، أما فى العصر العثمانى فقد أصبحت اللغة التركية هى اللغة الرسمية للدولة.

أضف إلى ذلك فرض العثمانيين العزلة على الشرق العربى ، خوفاً من خطر الاستعمار الغربى الماثل على الحدود الجنوبية ، بعد أن دار حول أفريقيا منذ القرن السادس عشر، وهى لم تكن عزلة سياسية فحسب ، بل كانت حضارية أيضاً، فلم يصل للشرق عنصر واحد من العناصر المكونة للحضارة الغربية . وكان مما يساعد على هذه العزلة ، شعورٌ بالشك والريبة فى البلاد الإسلامية تجاه الفرنجة

"الصليبيين". وعندما اقتحم الفرنسيون سياج هذه العزلة فى أواخر القرن الثامن عشر ، وجدوا أن مصر لا تزال كما كانت أيام لويس التاسع ، إن لم تكن قد ازدادت تدهوراً . وقد اعتقد المصريون - والمماليك بصفة خاصة - أن الفرنسيين لم يتغيروا ، وأنهم أنفسهم فرنجة العصور الوسطى ، ولذلك فسوف يسحقون بسنابك خيول الأمراء المماليك كما حدث لجدهم لويس التاسع ، ولكنها كانت صدمة حضارية عنيفة أصابت المصريين بالحيرة والاندهاش .

٣- تدهور علم التاريخ :

انعكس تدهور الحياة الفكرية على حركة التدوين التاريخى ، فنال علم التاريخ من التدهور ما نال باقى العلوم ، حيث انقطعت الصلة بين الماضى والحاضر، واندثرت المدرسة التاريخية الإسلامية ، والتى بلغت قمة نضجها وأوج عظمتها أيام المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون، ثم المقريزى الذى تنوعت كتاباته التاريخية خارج المجال السياسى ، فكتب فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى والخطط وغير ذلك.

ولقد استقام التاريخ فى يد ابن خلدون علماً ثابت الدعائم وطيد الأركان ، ومن بعده مضى تلاميذه فى مصر يؤسسون فى كتابة التاريخ مدرسةً كانت من أرقى ما عرف العرب فى تاريخهم . ثم جاءت فى تاريخ الثقافة العربية فترة انقطاع وتدهور ، تبدت ملامحها واضحة فى مصر فى العصر العثمانى ، وترجع أسبابها إلى تسرب الكتب التاريخية من مصر إلى خارجها ،وكثرة الفتن والاضطرابات ، وانشغال الناس عن التاريخ بأمور معاشهم ، ونظروا إليه نظرة هابطة فنبذوه وعدوه من شغل البطالين.

وفى القرن الثامن عشر، بدأت تلوح فى مناطق مختلفة من العالم الإسلامى-

فى الجزيرة العربية والهند ومصر- بعض ظواهر من اليقظة الفكرية ، منها ما شهدته مصر من معاودة التأليف التاريخى على أسلوب حاول أصحابه - وعلى رأسهم الجبرتى - أن يحاكوا أسلوب مدرسة القرن الخامس عشر الإسلامية ، ومن هنا جاءت خطة الجبرتى فى كتابة التاريخ المصرى بعد طول انقطاع ليصله بما كتب ابن إياس فى بدائع الزهور ، ومع ذلك فهو لم يرتفع إلى مستوى مدرسة القرن الخامس عشر بالرغم من تأثره بمقوماتها وأسلوبها ومنهجها. ولذلك فان بعض الدارسين للجبرتى قد وقفوا فى حيرة من أمرهم ، هل يعدونه من تلامذة مدرسة القرن الخامس عشر الإسلامية ، أم من مؤرخى المدرسة العثمانية الضعيفة ، ام من مؤرخى القرن التاسع عشر . وإذا كان الجبرتى يتميز بكثير من الميزات على مؤرخى العصر العثمانى ، فانه لم يصل إلى مستوى مؤرخى المدرسة الإسلامية ، كما أن مصر القرن التاسع شئ آخر لم يعرفه الجبرتى ، ولم يستطع أن يفهمه حتى وإن عاش فيه ، وسيتضح ذلك أكثر من دراستنا لنشأة الجبرتى وأسلوبه فى التدوين التاريخى .

٤- المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى:

يبدو الجبرتى وسط مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى عملاقاً بين أقزام، وتواجه الباحثين مشكلة عويصة فى محاولتهم تفسير ظهور مثل هذا المؤرخ العظيم ، فالبعض يرى أن المعقول هو ألا يظهر مؤرخ مثل الجبرتى فى هذه الفترة ، فى حين يرى أخرون أن الأمر غير المعقول حقاً هو ألا يظهر عبد الرحمن الجبرتى فى هذه الفترة ، ويكتب ما كتب على مثل هذا المستوى العالى من الدقة . ويبرر أصحاب هذا الرأى ذلك بقولهم أن نبض الحياة فى تلك الفترة قد زاد إيقاعها، بحيث ما كانت لتمر تلك الأحداث الجسام المتوالية دون أن يظهر من يتصدى لها

ويسجلها ويخرج منها كتباً مثل "مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس" ومثل رائعة الجبرتى "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار"

ولكننا نرى أننا بذلك نتجنى على مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ، والتى أنتجت لنا العديد من المؤرخين الذين أخرجوا لنا عشرات الكتب فى تاريخ مصر فى تلك الفترة وهى وإن كانت لا ترقى إلى ما كتبه الجبرتى فلذلك أسباب عديدة . فهناك من العوامل ما سهل للجبرتى أن يصل إلى هذه المرحلة من الجودة فى الكتابة كذلك علينا ألا نغفل أمراً آخر وهو أنه لا يوجد مؤرخ بدأ من فراغ فقد استفاد الجبرتى من كتابات من سبقوه من المؤرخين وأخذ عنهم.

مـــولـــده :

كما يحدثنا الجبرتى عن نفسه فى "عجائب الآثار" وعند حديثه عن والده الشيخ حسن الجبرتى ، اتضح أنه من إقليم "جبرت" ببلاد الحبشة ، واستقرت عائلته فى مصر،وتولى الشيخ حسن الجبرتى رئاسة " رواق جبرت" فى الأزهر الشريف ، وكان عالماً يشار إليه بالبنان وخاصة فى العلوم الرياضية والفلكية وترك لنا العديد من المؤلفات ، وللأسف ما زالت مخطوطة فى بطون المكتبات ولم تطبع بعد رغم أهميتها الفكرية العظيمة التى توضح لنا بجلاء مدى التقدم الفكرى الذى بدأ فى الظهور فى تلك الآونة .

تزوج الشيخ حسن الجبرتى - والد مؤرخنا - فى صدر شبابه من ابنة الأمير على أغاباشى "متفرقة " المعروف بالطورى ، نسبة لقلعة الطور التى كان يحكمها مضافاً إليها قلعتى السويس " والمويلح" . كما تزوج أيضاً من "ابنة رمضان جلبى" المعروف بالخشاب وكانت هذه الأسرة تمتلك العقارات الواسعة ، ولم يقتصر الشيخ حسن على الأوقاف التى آلت إليه بالوراثة ؛ فقد استغل أيضاً

هذه الأموال فى التجارة ، وبعد وفاة صهره الأمير على الطورى ؛ آل إلى الشيخ حكم القلاع المشار إليها .وبذلك ولد مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى فى بيئة ثرية مادياً وعلمياً ، وكان لهذه البيئة أكبر الأثر فى تنشئة مؤرخنا ، فهى من ناحية غرست فيه حب العلم ومعاشرة ومصاحبة العلماء وطلاب العلم الذين كان يكتظ بهم بيت والده الذى كان يتكفل بنفقات وإقامة عدد كبير منهم ، وهى من ناحية أخرى وفرت له الوقت الكافى للاطلاع والدراسة ، دون أن يلجأ للعمل ليكسب قوت يومه ، وهى فوق ذلك كله سهلت له الاتصالات بأولى الأمر من الحكام والمسئولين فى الإدارة ، مما يسر له الحصول على العديد من المعلومات السهلة الميسرة التى أفادتنا نحن بعد ذلك.

فمما ذُكر عن علاقة الشيخ حسن الجبرتى – والد مؤرخنا – برجال السلطة ؛ تلك الحكاية ذات المغزى العميق ، وهى أن الشيخ كان مرة راكباً على بغلته عائداً إلى بيته فإذا الأمير أحمد البارودى ماراً بموكبه فتحاير الشيخ عن الطريق ، ولكن سرعان ما نزل الأمير عن فرسه وخف إلى الشيخ يقبل يده ، فاستحيا الشيخ منه وأراد أن يقابل عطفه هذا بمأثرة يقدمها إليه ، فالتمس منه أن يقيد به أحد الطلبة ليقرئه الفقه فقيد به الشيخ عبد الرحمن العريشى شيخ رواق الشوام وشيخ الأزهر فيما بعد"

فى هذه البيئة ولد مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى فى عام ١١٦٧هـ /١٧٥٤م ، وكان الشيوخ من أصدقاء وتلاميذ أبوه يعلموه القراءة والكتابة ويحفظونه القرآن الكريم .وقرأ الشيخ حسن فى وجه ابنه مخايل النجابة ، فلم يجد بأساً من اختلاف الطفل الصغير إلى أحد الكتاتيب فى حى الأزهر حتى إذا يَفُع ؛ صار يختلف إلى مدرسة السنانية الواقعة فى رأس خطة الصنادقية ، وكلما انصرف من

المدرسة إلى المنزل ؛ وجب عليه أن يعيد على أبيه أو على أحد الأشياخ ما تعلمه فى يومه ذاك . وحسّن إليه أبوه - فيما بعد - أن يذهب إلى الأزهر ليتلقى العلم عن أساتذته ، وكان يذاكره الدروس منفردين فى غير ساعات الدروس ، ومن والده تعلم مؤرخنا كيف يستنبط الأمور ، ويربط بين الأحداث ومسبباتها مما زرع فيه بذرة المؤرخ الواعى الذى لا يكتفى بذكر الحدث ؛ بل يعلق عليه ويناقشه مما يكشف عن قدرات عقلية هائلة.

وتوفى والد مورخنا فى ١٨محرم ١١٨٨هـ/٣١مارس ١٧٧٤م بالغاً من العمر ٧٧عاماً وتاركاً لابنه عبد الرحمن أموالاً طائلة وكتباً كثيرة، كما ترك له من الصداقات المؤثلة فى صدور أقرانه من الأشياخ ومريديه من الطلبة وأصدقائه من الأمراء والكبراء ما هو أغلى من الثابت والمنقول . وانتقل مؤرخنا للعيش فى بولاق ، ولكن هذا لم يمنعه من المثابرة على الحضور إلى الأزهر والاختلاف إلى الحلقات ، ذلك إلى جانب ضبط العقارات والأملاك التى خلفها أبوه فى القاهرة وبولاق ومصر القديمة . كما قام فى العام الأول لوفاة أبيه بزيارة الوجه البحرى ، وقابل العديد من علمائه وزار الكثير من بلاده ؛ مما أعطاه علاقات أوسع وفتح عينيه على أمور أخرى لم يكن ليراها لو عاش فى القاهرة ولم يخرج منها ، وهذا ما نسميه " تركيبة المؤرخ عن تجربته الذاتية التى عاشها " .

كتابة الجبرتى للتاريخ :

كان الجبرتى تلميذاً للشيخ"مرتضى الزبيدى" وهو من كبار علماء عصره ، وفى يوم من أيام شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٠٣هـ / مارس ١٧٨٩م بعد أن ألقى الشيخ الزبيدى درسه ؛ انتحى بعبد الرحمن الجبرتى ودار بينهما الحوار التالى :

"يا حبيبنا أنت تعلم أن همنا لا يعدو خدمة العلم والعلماء ، ولما كان المرء قليلاً بنفسه كثيراً بإخوانه ، رأيت أنه ليس أوكد صلة بى منك لتكون لى عوناً على تحقيق أمر ذى بال" وأخبره أنه يحتاج إليه لمساعدته فى الترجمة لأعلام المائة المنصرمة من مصريين وحجازيين فوافق مؤرخنا مستجيباً لأمر أستاذه ، وكانت هذه هى البداية الحقيقية للجبرتى المؤرخ حيث أنه بعد وفاة الزبيدى علم بما لم يخبره به أستاذه ، وهى أن هذه التراجم كانت جزءاً من خطة لعمل كتاب للشيخ المرادى مفتى دمشق ، الذى أرسل إليه خطاباً وهدية ، طالباً منه أن يزوده بما كتبه هو والمرحوم "الزبيدى" ، ولكنه ما إن بدأ فى ترتيب الأوراق التى حصل عليها بالشراء من تركة أستاذه الزبيدى ؛ حتى وصله نعى الشيخ المرادى فى آخر عام ١٢٠٦هـ ، وبعد ذلك فترت همته وطرح تلك االأوراق فى زوايا النسيان حتى كادت تتناثر وتضيع.

ولم يرجع الجبرتى لكتابة التاريخ إلا فى فترة الحملة الفرنسية على مصر ، حيث كان يكتب يوميات الحملة فى كراريس و يسجل منشورات قادة الحملة الفرنسية ، ولكن عند مقدم العثمانيين بقيادة الصدر الأعظم " يوسف ضيا باشا" كتب الجبرتى "مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس" وأهداه إلى الوزير يوسف باشا ، واستهله بقوله "حمداً لمن جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ،وجعل الدولة العثمانية والملكة الخاقانية بهجة الدين والدنيا " . وبعد ذلك اتخذ من مظهر التقديس نواة لكتابه العمدة والذى يصح أن نطلق عليه عمدة الكتب فى تاريخ مصر الحديث "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" .

ونحن لا نريد أن نزيد فى حديثنا عن مؤرخنا ؛ لأن هناك العديد من الكتابات عنه والتى وفته حقه وبالغت فى دوره والثناء عليه مما لم يعد معه مزيد ، ولكن

أمامنا بعض القضايا التى نشير إليها ونطرحها للنقاش دون أن نعطى فيها قرار فمثل هذه القضايا تحتاج لطرح الآراء لأن بعضها يرتبط بما نحياه حتى الآن..

القضية الأولى وهى حياد المؤرخ :

وإلى أى حد يجب على المؤرخ أن يحتفظ بحياده ، ففى "مظهر التقديس" كان الجبرتى قلباً وقالباً مع العثمانيين ضد الفرنسيين ، ثم غير موقفه فى "عجائب الآثار" الذى أصبح على النقيض وحذف فيه الجبرتى الأشعار والمدح الذى قاله فى العثمانيين وقلبه هجاءً لهم ، فى نفس الوقت الذى زاد فى مدح إيجابيات الفرنسيين وحذف ما كان ينعتهم به من أقذع الصفات وأقسى السباب . فأين حياد المؤرخ ؟ كذلك تجرنا هذه القضية لأخرى فرعية وهى مدى علاقة المؤرخ بالسلطة وأثرها على كتابته للتاريخ ؟ فالجبرتى المؤرخ من خلال علاقته بالسلطة العثمانية ممثلة فى يوسف باشا مال إليهم ثم انقلب عليهم . فهنا نعتقد أننا بحاجة جادة إلى وضع أسس لهذه القضايا لإعادة التفكير العقلانى فيها ، وربما ننجح وبذلك ننقذ دارسينا مما هم فى من ازدواجية مخله .

القضية الثانية :

وهى التى يثيرها البعض عن الانبهار بالغرب وخاصة فى تلك الفترة ، نقصد فترة الجبرتى والحملة الفرنسية . فالبعض يتخذ من خلال موقف الجبرتى" المؤرخ والعالم" مع الفرنسيين من خلال ما كتبه فى عجائب الآثار دليلاً على الانبهار بالغرب وبمدى ما قدمه هذا الغرب من تحديث للفكر المصرى وغير ذلك من المصطلحات التى لا تتناسب مع الواقع . ولقد ناقش د/ مصطفى عبد الغنى هذه القضية قائلا . انها قضية يمكن فهمها إذا عرفنا أنه كتب "العجائب "تحت عدة

مؤثرات :

أولاً: أنه كُتب بعد خروج الفرنسيين من مصر بعدة سنوات (١٨٠١-١٨٠٥) وهى الفترة التى شهد فيها المصريون أعتى صنوف الإهانة والفساد على يد العثمانيين وأوباشهم من العائدين باسم المسلمين بعد خروج الفرنسيين .

ثانياً: أن الدعاية الفرنسية فى مصر استطاعت خداع عالم كبير مثل الجبرتى جعلته لا يرى فى قاتل كليبر إلا (أفاقى) وجعلته يرى مظاهر المحاكمة من مظاهر العدل ، وهى كلها أشياء انطلت على الكثيرين ، وخاصة ، أن الجبرتى كان أحد أفراد الديوان الذى ألف فى هذه الفترة، وقد كان يخصص لهم مخصصات مالية ضخمة، كما جاء فى "العجائب "إذ لا يمكن أن نتجاهل تأثير اختيار عدد من العلماء يوهمون أن الحكم فى البلاد لهم ثم يحصلون على مبالغ كبيرة . ولا نستطيع أن نتهم الجبرتى بالرشوة – بالطبع – غير أننا لا نستطيع أن نفسر موقفه الملاين أو المهادن دون أن نضع فى اعتبارنا عدة وسائل اتخذها الفرنسيون ، وقصد بها خداع العلماء ونجحوا فى ذلك لحد كبير .

ولكن كيف لم ينتبه الجبرتى لقضايا أهمها:

- كيف انطلت عليه المحاكمة ؟
- كيف لم يستطع أن يفهم دوافع الفرنسيين ؟
- كيف لم يشر ولو من طرف خفى ، إلى وحشية القتل وهو التعذيب الذى تعامل به الغرب مع سليمان الحلبى وشركائه ؟

ثالثاً:– بقى السبب المباشر الذى جعل الجبرتى يبدى الكثير من الانبهار الذى بدا أقرب من الإعجاب بالفرنسيين وهى حالة يمكن أن نلاحظها ببساطة عقب

خروج الفرنسيين من مصر ، ويمكن تفهمها من السبب الذى جعله يعارض ممارسات محمد على فى الحكم . فبينما أهم ما يميز الفرنسيين "الكفرة" رغم عقيدتهم الحرص على "العدالة " حتى ولو بمظهريه لم يراع الوالى الجديد ذلك . ولنا فى هذه القضية تساؤل هو هل نعتبر الجبرتى سلفى الفكر أم بداية للحداثة فى الفكر المصرى الحديث ؟ من هنا فقط يجب أن نبدأ لأن الإجابة على السؤال سوف تحل لنا هذه القضية بعمق .

- القضية الأخيرة :

نطرحها هنا فى سؤال - هل كان الجبرتى مؤرخاً طبقياً ؟ وإلا بماذا نفسر موقفه من الطبقات الدنيا بل والوسطى أيضاً فى المجتمع المصرى انذاك ؟ وهو موقف حاولنا قدر جهدنا الإجابة عليه بقليل من التفصيل فى الفصل الثانى.

غير أن هذه القضايا وغيرها كثير لا تقلل من قيمة مؤرخنا كأحد عمالقة التاريخ لمصرنا الحبيبة - فهى مجرد دعوى للتفكير المجرد من العواطف مع مؤرخنا والذى نعتقد أننا بالغنا كثيراً فى رفعة شأنه والحط من بقية المؤرخين السابقين له ، وهذا لا يحسب له فهو ليس نبتاً شيطانياً بل هو نتاج لسلسلة من المؤرخين المصريين . وكما تعلمنا فلابد للأتى أن يكون أفضل من اللاحق له لو نجح فى الاستفادة ممن سبقه ومن الظروف المحيطة به ، .وهذا هو ما نجح فيه مؤرخنا " عبد الرحمن الجبرتى".

أما عن وفاة الجبرتى فأصدق الروايات هى ما أورده المستشرق الانجليزى "إدورد وليم لين" فى قوله " أن الجبرتى مات سنة ١٨٢٥م أو سنة ١٨٢٦ بعد وصولى إلى القاهرة بفترة وجيزة ". وبذلك فلم يكن الجبرتى هو الذى قتل كما تقول بعض الروايات بل ابنه "خليل" والذى حزن عليه الجبرتى حزناً شديداً أذهب عنه بصره ، وتركه منزوياً غير قابل للكتابة ولا للاجتماع بالناس حتى توفى .

ثانيا- هذا الكتاب

هناك الكثير من الكتب التى دونت عن الحملة الفرنسية ، وبعضها لمؤرخين معاصرين وشهود عيان ، ولكن أى منها لا يقف على قدم المساواة مع مظهر التقديس ، فمثلا كتاب "ذكر تملك الجمهور الفرنساوية للأقطار "المصرية و الشامية " ومؤلفه نقولا الترك ، وكذلك كتاب آخر مخطوط عن الحملة ألفه ميخائيل صباغ ، وكلاهما خدم الفرنسيين وانحاز لهم ، ولذلك فكتاباتهم تنقصها الدقة والحيدة والإنصاف .

أما مظهر التقديس ، فهو وثيقة تاريخية نادرة يجب الحفاظ عليها بنصها وروحها ، كما أنه يحتوى على عدد من المنشورات والنصوص الرسمية التى نشرها الفرنسيون إبان فترة وجودهم فى مصر ، وهذه المنشورات ما كان لأحد أن يحصل عليها لولا الجبرتى ، ولا حتى فى محفوظات الحربية الفرنسية ، فالجبرتى احتفظ بتلك المنشورات بنسختها العربية ، وهى تختلف كثيراً عن النصوص الفرنسية لتلك المنشورات ، حيث أن النصوص العربية تحتوى على عبارات لم تدون فى الأصل الفرنسى ، كالتوحيد والإعلان عن حب الإسلام والمسلمين والرسول ولعن النصارى وإهانة البابا وغير ذلك.

أ- نسخ الكتاب :

والموجود من مظهر التقديس - على قدر علمنا وبحثنا - أربع نسخ ، منها ثلاث بدار الكتب المصرية ، والرابعة بسوهاج ، وقد أشرنا إليهم بالرموز أ، ب ، جـ، د وهاك تعريف بكل نسخة منها:

النسخة (أ):

وهى موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣٠ تاريخ ومصورة على ميكروفيلم برقم ٢٩١٦٧ وهى تتكون من ٣٨٣ صفحة بما فيها صفحة العنوان ، وفى كل صفحة ٢٧ سطر ، ومتوسط الكلمات فى كل سطر ٧ كلمات ، ومتوسط عدد كلمات الصفحة ١٨٩ كلمة . وقد تم نسخ هذه المخطوطة فى يوم الأربعاء ١٧ رجب ١٢٩٣هـ / ٨ أغسطس ١٨٧٦م . ومقاسات هذه النسخة ٢٣,٥سم طولاً و١٥,٥عرضًا . وقد كتب على غلاف هذه النسخة "ملك الفقير إلى ربه الكريم يحيى حكيم" ، وعلى نفس الصفحة أيضا كتب "من مملوكات فقير رحمة ربه ، وأسير وصمة ذنبه ، أسير الهفوات ، كثير الخبوات ، رهين الذنوب والمساوئ ، رضوان ابن حسن بن على الحفناوى ، عفى عنه"

النسخة (ب):

وهى موجودة أيضاً بدار الكتب المصرية ، برقم ١٠١م تاريخ ، فى مجموعة مصطفى فاضل باشا ، كما أنها مصورة على ميكروفيلم برقم ٢٩٣٦٢ ونظام ترقيمها بالورقة وليس بالصفحة ، وتتكون من ١٤٦ورقة بما فيها ورقة العنوان ، وفى كل صفحة ٢٣ سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر ١١كلمة ، ومتوسط عدد الكلمات فى كل صفحة ٢٥٣ أى ٥٠٦ كلمة فى كل ورقة وقد تم نسخ هذه المخطوطة فى غرة المحرم سنة ١٢٢٤هـ الموافق ليوم الخميس ١٦ فبراير ١٨٠٩م ، ومقاساتها ٢٤ سم طولاً و١٦سم عرضاً ، وعليها تمليكات وعبارات بصفحة العنوان هذا نصها :

"٨٥ قرش من تركة خليل رفعت باشا معتق خسرو باشا داماد حضرت

سلطان محمود خان رحمه الله". وكتب محل العنوان هذه العبارة : " استكتب هذا الكتاب الموسوم بمظهر التقديس بخروج دولة الفرنسيس وأنا الفقير مصطفى بهجت القاضى فى الماضى بحمد الله"، وعبارة أخرى فى النصف السفلى من الصفحة نصها: "من كتب الفقير عبد الحق رئيس الأطبا السلطانية محرم ١٢٥٠" وأسفلها عبارة أخرى نصها: "من ودايع الزمن لدى الفقير محمد عارف حلمى المشرّف برتبة القاضى بدار الخلافة العلية عفى عنه ٢٨ شوال ١٢٧٢".

النسخة (ج):

وهى موجودة أيضاً بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٢٨ تاريخ تيمور ، وهى مصورة على ميكروفليم برقم ٢٧٧١٢ . ونظام ترقيمها بالصفحة ، وعدد صفحاتها ٤٠٦ صفحة ، فى كل صفحة ٢١ سطر ، ومتوسط عدد الكلمات فى كل سطر ٩ كلمات ، بمتوسط ١٨٩ كلمة فى كل صفحة . والحقيقة أن أحداً من المحققين السابقين لم ينتبه إلى هذه النسخة ولم يستعن بها أحد من قبل ، مع أنها نسخة كاملة وواضحة ، ويرجع سبب ذلك إلى أن صفحة العنوان مكتوب عليها " الجزء الرابع من تاريخ الجبرتى" مما جعل الكثيرين يعتقدون أنها أحد أجزاء عجائب الآثار" وعلى هذه النسخة تمليك فى صفحة العنوان باسم "حسن بن محمد على بن أمين بن محمد أمين الجردلى الرومى المصرى" . أما ناسخها فهو محمد بن عيد البهيدى الأتميدى ، الذى انتهى من كتابتها فى سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٤٠ هـ/٢٠يناير ١٨٢٥م .

النسخة (د) :

وهى موجودة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج برقم ٢٠١ تاريخ ومصورة على ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم

٤٨٣ تاريخ . وهى مكتوبة بخط حديث ، ومقاساتها ٢٣ سم طولاً و١٥ سم عرضاً . والمخطوطة بها نقص من الآخر بمقدار نصف الكتاب تقريباً ، حيث أن آخر يومية بها بتاريخ ٩ ربيع الأول ١٢١٤هـ وهذه اليومية خاصة بأسرى العثمانيين فى موقعة أبى قير البرية وحزن المصريين عليهم فيقول الجبرتى " فكفكف الناس دموعهم ، وكظموا غيظهم وطووا قلوبهم على حرقة الأسى ومرارة الأسف ، وأظهروا التجلد للعدو وقد طار من ..." وهذا آخر ما كتب فى هذه النسخة جدير بالذكر أن الناسخ - واسمه أحمد محمد رافع الطهطاوى الحنفى - قد ترك بعض الكلمات بدون كتابة وترك مكانها خالياً خاصة فى بداية اليوميات ومستهل الشهور ، ويبدو أنه كان ينوى كتابتها بالحبر الأحمر بعد الانتهاء من المخطوطة ، ولكن حدث ما منعه من استكمال العمل ربما توفى ، أو حدث له عارض ما . وبالإضافة إلى هذه النسخ المخطوطة ، فقد استعنا بكتاب " عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" لنفس المؤلف ، لمقارنة المنشورات والنصوص التى يؤكد الجبرتى أنه نقلها بنصها فى الكتابين وقد فضلنا الاستعانه بأقدم طبعة موجودة لعجائب الآثار وهى طبعة بولاق عام ١٢٩٧ هـ ، جـ ٣ الموجود فى دار الكتب تحت رقم ١٠٦٢ تاريخ . كما حاولنا قدر الاستطاعة الاستفادة من النسخة التى ترجمت إلى التركية والموجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣ تاريخ تركى خليل أغا . وهى مصورة على ميكروفيلم برقم ٢٠٩٣٨ فى ١٠٣ ورقة بمقاسات ٢٥,٥سم ×١٥ سم وبمعدل ٢١ سطر فى الصفحة ولكن على أية حال لم يمكن الاستفادة منها فى مقارنة النصوص والمنشورات لأنها مختصرة إلى حد ما ، وإن كنا قد استفدنا منها فى مقارنة بعض التواريخ والمعلومات العامة ، رغم وجود بعض الاختلافات فى المقدمة والخاتمة وبعض فقرات أخرى . وعلى غلاف هذه النسخة وقف من

خليل أغا لهذه النسخة على مكتبة مدرسته بجوار المشهد الحسينى.

ب- عنوان الكتاب:

ولو تناولنا مظهر التقديس بدراسة موجزة ، فإن أول ما نبدأ به هو العنوان ، فقد سُجل الكتاب فى فهارس دار الكتب تحت اسم "مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس "أما عنوان المخطوطة (أ) فهو "كتاب مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس" وأما النسخة (ب) فعنوانها "مظهر التقديس بخروج دولة الفرنسيس" وأما النسخة (جـ) فلا عنوان لها وقد ظن ناسخها أنها جزء من "عجائب الآثار"، فدوّن على صفحة العنوان أنها " الجزء الرابع من تاريخ الجبرتى" ، وأما النسخة (د) فلا عنوان لها أيضاً ، وقد حاول موظفى المكتبة وضع عنوان لها فكتبوا" تاريخ دخول الفرنسيس مصر وما حصل فى زمنهم" والواضح أن هذه العناوين من وضع النساخ وموظفى دار الكتب ، وهى ليست العنوان الذى قصده المؤلف والذى صرح به فى داخل الكتاب ، وفى جميع النسخ عند قوله عن كتابات الشيخ حسن العطار :" فضممت ما نمقه مع بعض من منظومه ومنثوره بحسب المناسبة إلى هذا السّفر ، لينتظم معنا فى سلك حّسن الذكر ، وسميناه "**مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس** ". فلا شك ان هذا هو العنوان الذى قصده المؤلف ، وهو الذى اعتمدناه عنوانا لهذه الطبعة ، دون اعتبار لما كتب على الغلاف أو فى فهارس المكتبات .

جـ- الأسلوب واللغة :

تتفاوت لغة الجبرتى قوة وضعفاً بشكل غريب ، فتارة يكتب بلغة عربية سليمة ، ويستخدم ألفاظاً عربية فصيحة ، لا تجدها فى أفواه العامة أو المثقفين فى يومنا هذا، ولا وجود لها إلا فى بطون المعاجم والكتب القديمة - وتارة يكتب

بلغة ركيكة مليئة بالأخطاء النحوية الممزوجة بالألفاظ الأعجمية والتراكيب الدخيلة على اللغة العربية ، ولا نزعم أنه قد وقع فى الخطأ ، بل هى فى الغالب أخطاء مقصودة ، وعامية عناها المؤلف وأرادها . فالجبرتى الأديب وعالم اللغة ، يسمو فوق كثير من شعراء عصره ، ويبدو شعره قوياً متماسكاً ، وتظهر دربته وخبرته بالعروض وبحور الشعر وموسيقاها كأنه الخليل فى زمانه ، ويتحدى بشعره أدباء عصره وفصحاء أهل زمانه ، ولكنه العصر ، هذا طابعه ، وتلك سماته ، وما كان الجبرتى لينسلخ عنه ، فيبدو عندئذ غريباً على العصر والناس وربما غريباً علينا أيضاً ..

ولقد حرص الجبرتى على أن يدون التاريخ كما هو من أفواه أصحابه، فى صورة شعبية صادقة ، فهو يستخدم لغة العصر ومصطلحاته ، وأسماء الحرف والصناعات والوظائف ، وكذلك أسماء الأماكن والمبانى والمنشآت ، فجاء كتابه بذلك مرضياً ومفيد للخاصة والعامة.

د- منهج الكتابة:

بدأ الجبرتى كتابة بديباجة فى فضل الدولة العثمانية ومآثرها وجهادها ، ثم فى كرامات اسم يوسف ، وكيف أنه اختص بمنقبة استخلاص مصر من أسر كل غاز ومستعمر . ثم عرض فى مقدمة موجزة لتاريخ مصر منذ الفتح العربى مروراً بعصر الطولونيين والإخشيديين والفاطميين ، ثم الأيوبيين والمماليك ، ثم الفتح العثمانى لمصر وكيف أن العثمانيين تركوا أمر مصر إلى المماليك الذين ركنوا إلى الراحة واللهو والترف حتى فاجأهم الفرنسيون وهم غير مستعدين.

ثم يبدأ المؤلف بعد ذلك فى استعراض الأحداث التى مرت بمصر من بداية الغزو الفرنسى إلى نهايته بأسلوب جديد مبتكر ، لم يسبقه إليه أحد ، فالسابقون

من مؤرخى العصر العثمانى ، وحتى مؤرخى المدرسة الإسلامية ، كانوا فى الغالب يكتبون بنظام الحوليات ، فيعرضون للأحداث حولاً بعد آخر ، وعلى أكثر تفصيل شهراً بعد آخر ، أما الجبرتى فإنه - إمعاناً فى الدقة واستقصاء الحوادث جليلها وحقيرها - قد كتب بنظام اليوميات ، بل إنه أحياناً يقسم اليوم على فترات ؛ فيكتب ما حدث فى صبحه فى يومية ، وضحاه فى يومية أخرى ، وكذلك فى مسائه وليله . والحقيقة أن الذى شجعه وساعده على ذلك هو تراكم الأحداث وترادفها ، وأيضا ترابطها بما لا يدع مجالاً للحذف أو الاختصار ، حتى أنه يكتب بمعدل يوميتين لكل ثلاثة أيام تقريباً ، فقد كتب اكثر من ٧٠٠يومية لحوالى ١٠٠٠يوم.

وفى كتابته لليوميات ، لا يسير للجبرتى على نسق واحد فى التأريخ ، فتارة يذكر تاريخ اليوم من الشهر قائلا : وفى خامسه ، او عاشره ، أو تاسع عشره ، أو سابع عشرينه ، وتارة يذكر اسم اليوم فى الأسبوع قائلاً : وفى يوم السبت ، أو الاثنين ، أو الجمعة ، وتارة أخرى يذكر اسم اليوم ورقمه فيقول فى بداية اليومية مثلا : وفى يوم الأحد ثالثه ، أو الخميس ثالث عشرينه... وقد يصعب على القارئ المتعجل أو المبتدئ تحقيق أى يوم اثنين أو أربعاء فى الشهر هو المقصود ، ولذلك فإن الجبرتى قد التزم بترتيب يومياته بحسب التسلسل التاريخى ، واتبع ذلك بدقة شديدة ، بحيث يسهل على القارئ استنتاج اسم اليوم إذا كتب رقمه . وفى حالات نادرة ، وجدت يوميات فى غير مكانها الصحيح من حيث الترتيب التاريخى الذى درج عليه المؤلف ، ولكن بتحقيق ذلك ، وبدراسة الحدث ، ومقارنته بعجائب الاثار ، وجد أن اليومية فى مكانها الصحيح ولكن الناسخ أو المؤلف كتب التاريخ خطأ وبدون قصد. وعند تراكم يوميات اليوم الواحد ، اعتاد الجبرتى أن يذكر التاريخ فى اليومية الأولى ، ثم يستخدم فى اليوميات التالية عبارة "فى ذلك اليوم" أو عبارة "وفيه" ، وهذه الأخيرة هى الأكثر شيوعاً فى الكتاب ، وقد فهم البعض أن كلمة

"وفيه" تعنى "وفى الشهر" ولكنها فى الحقيقة تعنى "وفى اليوم السابق"أو "اليوم المذكور سابقاً " ولدينا على ذلك بعض أدلة :

أولاً: إن الجبرتى يدون تاريخ كل يومية فى أولها ، أما اليوميات التى لم يستطع إرجاعها إلى تاريخ يوم محدد ، فإنه يجمعها فى آخر كل شهر ، ويدونها بشكل مجمل ، حيث يقول فى آخر الشهر "وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث الكلية والجزئية التى لا يمكن ضبطها لكثرتها فمنها..." ويذكر الحوادث بشكل مجمل كما ذكرنا .

ثانياً: إن بعض اليوميات التى تبدأ - فى مظهر التقديس - بكلمة "وفيه" نجدها فى عجائب الآثار تبدأ بذكر اسم اليوم، وهو نفس اليوم الذى ذكر فى اليومية السابقة لتلك اليومية فى مظهر التقديس . فإحدى اليوميات على سبيل المثال فى مظهر التقديس ، تبدأ مؤرخة كالآتى:

"وفى يوم الأحد سافر هجان الى جهة الحجاز..." واليومية التالية لها مباشرة تبدأ بقوله:"وفيه نودى بعدم التعرض بالإيذاء لنصرانى أو يهودى..." ولأن الجبرتى قد حذف اليومية الأولى من عجائب الآثار ، فإنه كتب اليومية الثانية هكذا "وفى يوم الأحد نودى بعدم التعرض...."وهذا يؤكد ماذهبنا اليه من أن كلمة "وفيه" المقصود بها "اليوم المشار اليه سابقاً"

ثالثاً: إن الجبرتى - كما سبق أن ذكرنا- يتبع الترتيب التاريخى بدقة شديدة ، ولذلك فهو عندما يبدأ بقوله "وفي سادسه ..." ثم اليومية التى تليها بقوله "وفيه ..." ثم يومية أُخرى بعدها مباشرة بقوله "وفى سابعه..." فلا شك إذن أن تاريخ اليومية الوسطى هو "سادسه " وهذا ما اتبعه المؤلف فى كتابيه مظهر التقديس وعجائب الآثاروحرصاً منا على عدم تكرار هذا الخلط ، فقد أرجعنا كل يومية إلى تاريخها فى اليوم والأسبوع والشهر والسنة، وذكرنا مقابلها فى التاريخ الميلادى باليوم

والشـهر والسنة أيضاً ، ولم يأخـذنا فى ذلك ملل ولا سـأم ، ونرجـو من القـارئ أن يغـفـر لنا ذلك التكرار ، فـإن هدفنا هو الدقـة المتناهـيـة ، وخـدمـة البـاحـثين الذين يطلبـون يومـيـة بعـينهـا ، فـلا يضطر للرجـوع الى مـا سبق من اليـومـيـات ليـعـرف تاريخـهـا كـمـا أننا بذلك نحـقق خدمـة للبـاحـثين فى " عـجـائب الآثار" أيضـا ، حـيث يمكنهم ضـبـط تواريخ اليـومـيـات المتـشـابهـة بين الكتـابين من خـلال هذا الجـهـد المتواضع الذى قمنا به.

هـ- الإملاء :

يمثل الإمـلاء وقـواعـده بالنسـبـة للقـارئ فى نسـخ المخطوطات الأربع لغـزاً كبيراً ، وبصفة خاصة كتابة الهمزات ، فالنسخة (أ) لا تضع الهمزات من أى نوع على الإطلاق ، اللهم إلا ثمانى همزات ، منها خمس فى كلمة "سوء"، ومرة واحدة فى كلمات "رئيس " و"برء" و"يبوء". أما النسـخـة (ب) فـقـد اهتم ناسـخـهـا بوضع الهـمـزات على كلمـات بعينها ، وأغـفل وضـعـهـا أو قلبهـا يـاءاً فى كلمـات أخرى ، وكذلك النسخة (جـ) ، والنسخة (د).

ومثلما أراح ناسخ المخطوطة (أ) نفسه ولم يضع الهـمـزات ، قام المحقـقون السـابقـون بعكس منهـجـه ووضـعوا كل الهمزات ، ولو فعلوا مثل النسـخـة (أ) لكان أصـوب ، إذا أرادوا ألا يجـهدوا أنفسـهم . فـإن وضـع الهـمـزات بدون قـيـد أو شـرط يؤدى إلى تـغـيـيـر الكثـيـر من روح النص وأسلوب المؤلف ونطق الكلمـات التى اهتم المؤلف بكتـابتـهـا باللهـجـة العامـية . ومن أمـثلة ذلك كلمـة "الشـراء" تكتب فى بعض النسخ "الشرا" وفـى نسخ أخرى "الشرى" إذاً فـالمقصـود هو النطق العـامى للكلمـة بدون همزة وكذلك كلمة "إمضاء" ، تكتب "إمضا" أو "إمضى" وأيضاً كلمة الهدوء تكتب هكذا "الهدوّ" وتوضع الشدة فوق الواو لتأكيد النطق العامى ، وقس على ذلك

أمثلة كثيرة .

كما أن الجبرتي يكتب بأسلوب الجناس ، في شكل جمل قصيرة آخرها مقفى وموزون ، فكلمة "القضاء" عندما تأتي قافية لكلمة "الرضى" فلا يجوز إذن أن نضع في آخرها همزة وإنما تكتب هكذا "القضا" والأمثلة على ذلك كثيرة .

وبناء على ذلك ، فقد حرصنا على وضع ما كتب في المخطوطات من الهمزات ، ولم نكتب غير ذلك إلا همزة القطع في أول الكلمة ، لأنها تسهل القراءة ولا تؤثر على النطق عامياً كان أو فصيحاً . وقد لاحظنا أن أهم الكلمات التي تكتب بدون همزات في جميع النسخ هي :الأمرا - العلما - الرؤسا - العقلا - الفقرا - البلا - ضعفا - قضا - استدعا [وأحيانا " استدعى" وهي اسم وليست فعلاً] - الافترا [وأحيانا الافترى] - سُودا- بيضا - حَمرا - إخفا[إخفى] - المجى - إغرا - الأربعا - الثلاثا - لقا - وكلا - لا يملك عشاه - ....الخ

وكذلك توجد الكثير من الكلمات التي تقلب فيها الهمزة إلى ياء حسب النطق العامي مثل: الرهاين - الجزاير - افتيات - قايقام - بوايك - مشايخ - طوايف - صنايع - فتايل - وكايل - ودايع - حقايق - ضرايب - عوايد - بضايع - فضايل - قراين - لوايح - جناين ....الخ . ولأن المخطوطات حرصت على كتابتها بهذا الشكل فقد نقلناها كما هي دون تغيير.أما الكلمات التي كتبت بالهمزة في معظم نسخ الكتاب المختلفة فمنها : " جاء - الماء - مأسورات - إيذاء - وراء - ابناء - اطمئنان - الجائني - اسماء - شؤون - يؤذن - سؤ - برء - يبوء . وهي كلمات يتغير شكلها إذا حذفت منها الهمزة ، وكذلك يلاحظ أنها تنطق بالهمزة في اللهجة العامية أيضاً .

وما دمنا نتحدث عن الإملاء لابد أن نشير إلى هذه الملاحظات.

- النسخة (ب) أحياناً تضع الهمزات في غير موضعها فمثلاً كلمة "أنشأ "

تكتب هكذا "انشاء" وكلمة " امرأة " تكتب "امراءة " وكلمة "مبدأ " تكتب "مبداء" .

– تعود المؤلف على دمج بعض الكلمات مثل " قايم مقام "تكتب "قايمقام" وهذا هو مصطلح العصر ، وكذلك كلمة "كل ما "تكتب "كلما" وإن كانت ليست قاعدة فى كل النسخ.

– تعود المؤلف على وضع فاعلين للفعل كقوله "وذهبت الناس" "وجاءوا المسلمون" ، "وقالوا الفرنسيس" فحرصنا على أن تبقى كما هى .

– النسخة (ب) تكتب أحياناً التاء المربوطة مفتوحة ، وتكتب التاء المفتوحة مربوطة مثل "حضْرِت الصدر الأعظم" والصواب "حضْرِة" أومثل "حَضَرَة الفرنسيس" والصواب "حَضَرتِ"... وهكذا فى أمثلة كثيرة.

– أيضاً النسخة (ب) تكتب الهاء فى كلمات "عاشره – تاسع عشره – خامس عشرينه – ...تكتبها تاءً مربوطة هكذا عاشرة – تاسع عشرة – خامس عشرينة . وفيما عدا ذلك فان جميع النسخ تفرق بدقة بين الهاء والتاء المربوطة.

و- الطبعات السابقة :

بعد أن انتهى الجبرتى من إعداد "مظهر التقديس"قدمه للوزير يوسف باشا ، الذى حمله معه إلى السلطان ، فأمر السلطان بترجمته الى التركية ، وانتشر الكتاب بين الأتراك أكثر من انتشاره بين المصريين ، والنسخة (ب) كما رأينا معظم من تملكها من الأتراك ، ولقد ظل الكتاب محظوراً في مصر ، ولم ينشر هو أو "عجائب الآثار " طوال عهد محمد على وعباس، وبذلت محاولات لنشر "عجائب الآثار" فى عهد سعيد وإسماعيل ولكنها فشلت ، ثم طبع عجائب الآثار للمرة الاولى فى عام ١٢٩٧هـ /١٨٨٠م فى المطبعة الأميرية ، ثم توالت الطبعات . أما

"مظهر التقديس" ، فلم يتم نشره فى مصر إلا فى أواخر الخمسينيات ، ثم طبع مرتين بعد ذلك ، وهذا بيان تلك الطبعات :

١- طبعة دار المعارف :

قامت دار المعارف بنشر "مظهر التقديس "فى طبعة شعبية غير محققة ، ونشرته على جزأين فى سلسلة "اخترنا لك " فى العددين ٥٩، ٦٠، وذلك فى عام ١٩٥٨م.

٢- طبعة وزارة التربية والتعليم :

ثم قامت وزارة التربية والتعليم بنشر الكتاب للمرة الثانية فى جزأين أيضاً ، وذلك فى عام ١٩٦١، ولكن هذه الطبعة محققة ،وقام بتحقيقها أربعة من موظفى الوزارة هم: أحمد زكى عطية ، عبد المنعم عامر ، محمد فهمى عبد اللطيف ، حنفى عامر . وهذه الطبعة هى أكمل الطبعات الثلاث ، ولكنها مع ذلك لا ترقى إلى درجة التحقيق العلمى الدقيق . ونحن لا ندعى ذلك ولا نزعمه، فذلك هو الواقع فعلاً ، ولانهدف بذلك إثبات أهمية ما قمنا به من جهد ، فما قمنا به سنتركه يتحدث عن نفسه ، أما تلك الطبعة ، فمليئة بالأخطاء المنهجية والتاريخية. وهذه دراسة موجزة لطبعة وزارة التربية والتعليم ، لكى يقف من يقرأها أو يقتنيها على ما فيها من أخطاء فلا يكررها ، ونرجوه أن يصححها فى نسخته خدمة للعلم وللبحث العلمى.

أولاً: توجد بعض فقرات ناقصة فى هذه الطبعة ، منها على سبيل المثال ، ثمانية عشر بيتاً من الشعر من قصيدة السيد على الصيرفى التى ألقاها فى مدح أحمد باشا الجزار، وقد أشرنا إليها فى هامش كتابنا هذا فى موضع النقصان،

والنقص فى طبعة التربية والتعليم بالجزء الأول صـ٢٠٠ كما توجد عبارات أخرى ناقصة منها فى الجزء الثانى ص٩١ عبارة كتبت هكذا "وخرج على باشا المذكور صحبة مولانا حضرة الصدر الأعظم" والصواب أن نص هذه العبارة هكذا "وخرج على باشا المذكور مع من خرج من الشام ، ووردت العساكر الاسلامية صحبة مولانا حضرة الصدر الأعظم"وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

ثانياً: توجد فقرات زائدة ، وهذا هو الغريب فى الأمر، فمن السهل نسيان فقرة ولكن كيف تضاف يومية كاملة إلى المتن ؟ ذلك هو اللغز، ففى الجزء الأول ص ٢١٤ ، كتبت يومية نصها"وفى يوم الأربعاء سادسه، عمل الشيخ المهدى وليمة عرس لزواج أحد أولاده، ودعا صارى عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا"وهذه اليومية غير موجودة أصلا فى جميع نسخ مظهر التقديس، ولكنها موجودة فى عجائب الآثار، وحل هذا اللغز، أن المحققين - والعلم لله - بدأوا فى التحقيق ناقلين من عجائب الآثار، ثم قارنوا ما نقلوه بنسخ مظهر التقديس ، وحذفوا اليوميات غير الموجودة فيه، ولكنهم سهوا عن تلك اليومية فلم يحذفونها، وإلا فما هو تفسير وجود هذه اليومية فى مظهر التقديس ؟! ويؤكد ذلك انهم ذكروا بعض المعلومات الخاطئة عن نسخ المخطوطات وكأنهم لم يروها إلا مرات معدودة، أو بما لم يروا بعضها البتة، فذكروا أن النسخة (أ) عدد كلمات كل سطر فيها ٦ كلمات، والحقيقة ان متوسط عدد الكلمات فى كل سطر هو ٧ على الأقل، ومن النادر أن تجد سطراً به ٦كلمات ، وكذلك ذكروا عن النسخة (ب) أن عدد سطورها يتراوح بين ٢٢-٢٤سطر، والحقيقة أن عدد السطور فى كل صفحة هو ٢٣سطراً لا يزيد ولا ينقص . أما النسخة (جـ) فلم يطلعوا عليها ولم يسمعوا عنها ، وأما

النسخة (د) فيبدو أنهم لم يروها ولم يستعينوا بها، ولو رأوها واستعانوا بها لذكروا رقمها فى مكتبة رفاعة، أوفى معهد المخطوطات ، أوذكروا عدد صفحاتها أو سطورها كما فعلوا مع النسخ الأخرى ، التى وصفوها وصفاً دقيقاً، بل إن الأكثر غرابة أنهم ذكروا أنها ناقصة من الآخر بمقدار١٢ورقة مع أن النقص فيهالا يقل عن ١٥٠ ورقة بأى حال

ثالثاً: توجد بعض كلمات ناقصة فى هذه الطبعة، وهذا بيان ببعضها وليس كلها :

فى جـ١ ص٣٢ " فأنزل عليه " والصواب " فأنزل الله عليه " وفى نفس الصفحة " معاوية " والصواب " معاوية عليه السلام " ، وفى جـ ١ ، ص ٦٠ " العثمنلى دام بقاه "والصواب "العثمنلى محبنا دام بقاه " ، وفى نفس الصفحة أيضاً " كل قرية تطيع " والصواب " كل قرية التى تطيع " ، وفى جـ ١ ص ٦٤ " غرة صفر " والصواب " غرة شهر صفر " ، وفى ص ٧٨ "فغابا وعادا" والصواب " فغابا وغابا وعادا " وفى ص ١٢٢ " مائة " والصواب " ماية ألف" ، وفى ص ١٤٣" ما فعلتم نادمين " والصواب " ما فعلتم فى أنفسكم نادمين " وفى ص ١٥٧ " جماعة من الفرنساوية من قطاع الطريق " والصواب " جماعة من الفرنساوية، خوفاً من قطاع الطريق "وفى ص ١٥٨ "يجتمعوا عليه من أمثاله " والصواب " يجتمعوا عليه ما هو من أمثاله . وفى جـ٢ ص ٥٤ " النصرة لله يريد " والصواب " النصرة لله الذى يريد " وفى ص ١٠٠ "قبضوا عليه وكرتنوه " والصواب " قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه " .

رابعاً : توجد بعض الكلمات التى قرأها المحققون لطبعة التربية والتعليم خطأ ، ومن ثم دونوها خطأ ، فذهبت بالمعنى بعيداً وفى هذا الجدول بيان بعضها .

طبعة التربية والتعليم

جـ	صـ	الكلمة الخطأ	فى هذا الكتاب طبقاً للأصل
١	٤٠	"الفرنساوى الذى يكون فى أذنه قرط أمه اصلها من المأسورات"	"الفرنساوية التى يكون فى أذنها قرط أصلها من المأسورات"
"	٦٧	"فان التوحيد لا تقوله اليهود بالتثليث"	"فان اليهود لا تقول بالتثليث"
"	٦٣	"الخيالات"	"الخبالات"
"	٦٨	"بيع رطل البارود"	"يباع الرطل البارود"
"	١٠٤	"الأحمال"	"الأعمال"
"	١٠٩	"يسخرون"	يسرخون [أى يصرخون]
"	١١٨	"وغيروا فيمن غير"	"وغبروا فيمن غبر"
"	١٢٤	"الضبط والاحصاء"	"الضبط والحصر"
"	١٢٤	"الحمامات"	"الحماميم"
"	١٣٨	"مسجد المقس"	"مسجد المنسى"
"	١٥١	"حسين بيك"	حسنين بيك
"	١٥٧	"ومدراسة"	"ومدارسة"
"	١٦٦	"فى مصرنا بين"	"فى مصر مابين"
"	١٧٢	"موافع"	"مدافع"
جـ٢	٤٣	"مراتع الظباء الترك"	مراتع لظبا الترك
"	٦٢	"النيل قصر مدة"	"النيل قصر مدّه"
"	٨٨	"باسرها حسن تام"	"بأمر حسن تام"
"	٩٣	"استوفر الخازندار"	"استوف الخازندار"
	١١١	"بمعية قايد ألف"	"بمعية ماية ألف"
	١٦٣	المحدودة	"المدودة"

خامساً: عدم التزام المحققين بكثير من الخطوات والاجراءات المنجهية ، ومنها عدم تدوين أرقام صفحات المخطوطة ، والتغاضى عن شرح كثير من المصطلحات والتراكيب اللغوية التى استعملها الجبرتى ، وحتى المصطلحات التى شرحوها جاء معظمها خطأ أو غير مطابق لمفهوم العصر فمثلا : كلمة "المنسر" شرحوها على أنها تعنى فرقة من الجيش ، وهذا هو المغنى فى المعاجم ، ولكن عند عامة الشعب وعند الجبرتى فهى تعنى عصابة منظمة من اللصوص ، وكذلك عدم إرجاع كثير من الآيات القرآنية إلى سورها ورقمها كما هو معتاد ، وبعض الآيات يذكرون اسم السورة دون ذكر رقم الآية ، وكذلك عدم تصحيح الآيات القرآنية التى كتبها الناسخ خطأ ، راجع مثلا جـ ٢، صـ ١٦٣

سادساً: شرح الكثير من الكلمات التى لا تحتاج الى شرح حتى أن أكثر من نصف هوامش الكتاب من هذا النوع ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: كلمة التحيل بمعنى الاحتيال ، الرزية بمعنى المصيبة ، البكور بمعنى التكبير ، الهجن بمعنى الجمل، الالحاد بمعنى الكفر، الخزلان بمعنى الهزيمة ، العيال بمعنى الأسرة ، المسالك بمعنى الطرق ، العقود بمعنى أنها جمع عقد وهو ما تحلى به المرأة جيدها ، والأجناد بمعنى الجند، وغير ذلك من المعانى التى يفهمها طالب الإعدادى والابتدائى بدون شرح أو تفسير .

سابعاً: عدم الحفاظ على أسلوب المخطوطة ، فمع أن المحققين ذكروا فى مقدمتهم أنهم حرصوا على أن "يخرج الكتاب بأسلوب الجبرتى نفسه ، حتى يكون صورة لعصره فى الأسلوب كما هو صورة تاريخية للوقائع ، وألا تُمس عبارته التى تحوى بعض الاخطاء النحوية " [جـ١صـ١٦] إلا أنهم لم يلتزموا بذلك على الإطلاق ، وشوهوا أُسلوب الجبرتى، فكتبوا مظهر التقديس بأسلوبهم، وصححوا أخطاءه النحوية والإملائية، وخدعوا القارئ والباحث الذى يرغب فى دراسة لغة

الجبرتى وأسلوبه . فهذه النسخة لا يصح الاعتماد عليها لدراسة لغة الجبرتى أو عصره ، وهذه بعض الامثلة التى تؤكد ذلك : فمنها تغيير نطق أسماء البلدان مثل "طندتا" يكتبونها " طنطا " ، و "دجرجا " يكتبونها "جرجا " ، وكذلك تغيير نطق وكتابة الشخصيات والأعلام مثل كلمة " بونابارتة " يكتبونها "بونابرت" أو "بونابرته " ، وكلمة " كلهبر" يكتبونها "كليبر" ، "منوا " يكتبونها "مينو" ، "دبوى "يكتبونها "ديبوى" ، لقب "بيك "يكتبونه "بك"

أما تصحيحهم للأخطاء الإملائية، فقد زاد عن الحد وانقلب إلى الضد، ومن أمثلة ذلك قول الجبرتى "فلا تصدقوه" يحولونها إلى"فلا تصدقونه " وقوله "المفتربين "تحول الى"المفترين" وقوله "فليوروونا" تكتب "فليرونا"وقوله "ثلاثة ساعات" تصحح إلى"ثلاث ساعات"وقوله "بتاع المماليك" تصحح الى"الخاصة بالمماليك"وقوله "الساعة اثنين"تحول الى"الساعة الثانية"وقوله "الاماكن المحازين"تصحح إلى"الأماكن المحاذية" وقوله "مهندسين الحروب" تصحح"مهندسى الحروب" وهم يفعلون ذلك دون دون أدنى إشارة إلى ما قاموا به من تغيير، بل انهم يؤكدون فى المقدمة أنهم حافظوا على النص بأخطائه وأسلوبه .

ثامناً: إنهم اعتمدوا فى تحقيق مادة الكتاب ووقائعه على كتاب واحد، هو تاريخ الحركة القومية للرافعى ، بل انهم ينقلون صفحات مطولة منه ببنط المتن، تكاد تختلط على القارئ فيحسبها من متن مظهر التقديس.

تاسعاً: إنهم ذكروا فى المقدمة أنهم اعتمدوا على النسخ الثلاث للكتاب، ولكنهم مع ذلك لم يقارنوا بين نسخ الكتاب، ولا توجد ادنى اشارة فى هوامشهم إلى تلك المقارنة، والحقيقة أنه لم تتم هذه المقارنة بدليل كثرة الكلمات الناقصة والفقرات المفقودة، وقراءة الكلمات خطأ لأن الكلمة قد لا تكون واضحة فى إحدى النسخ، ولكنها واضحة فى نسخة أخرى.

عاشراً: أما أكبر عيوب هذه الطبعة فهو عدم الدقة فى ضبط التواريخ الميلادية وحساب أيام الأسبوع، فتواريخ الجبرتى لا تتفق فى بدايات كثير من الشهور العربية مع ما ذكره محمد مختار باشا فى كتابه "التوقيقات الإلهامية" ومع ذلك فهم يعتمدون على مختار باشا فى التحويل إلى التواريخ الميلادية، ولذلك جاءت تواريخهم غير دقيقة خصوصاً فى شهرى ذى القعدة وذى الحجة ١٢١٣هـ ، فشهر ذو القعدة عند الجبرتى يبدأ بيوم الأحد ٧أبريل ١٧٩٩م وعند مختار باشا يبدأ بيوم السبت ٦أبريل ١٧٩٩م، أما عندهم فشهر ذو القعدة يبدأ بيوم الأحد ٦ أبريل "هكذا" وكذلك بقية تواريخ الشهرين لا تتفق فيها أيام الاسبوع مع تواريخ الشهر. إلى جانب ذلك، فإنهم حسبوا بعض التواريخ خطأ حتى تلك التى اتفق فيها الجبرتى مع مختار باشا صاحب "التوفيقات الإلهامية" بل إن اليومية الأولى من يوميات الجبرتى عن الحملة بها خطأ فى التاريخ لم يلحظوه.

٣- طبعة لجان البيان العربى:

وقبيل نهاية الستينيات تم نشر الكتاب فى طبعة محققة، نشرتها لجنة البيان العربى، وحققها حسن محمد جوهر وعمر الدسوقى ونشرت عام ١٩٦٩م فى جزء واحد، وهذه الطبعة لا ترقى من حيث المنهج العلمى ودقة التحقيق إلى مستوى طبعة وزارة التربية والتعليم، فقد ذكر المحققان أنهما اعتمدا على نسخة خطية بدار الكتب، وقد استنتجنا أنها النسخة (ب) لتكرار أخطاء تلك النسخة فى طبعتهم، والتى من أهمها فقدان ١٨ بيتاً من الشعر من قصيدة السيد على الصيرفى السابق الإشارة إليها، كما أن جميع الهوامش التى دونّاها هنا فى هذا الكتاب خاصة بالأخطاء الموجودة فى النسخة (ب) هى نفسها الأخطاء الموجودة فى طبعة لجنة البيان العربى . ومن الأخطاء المنهجية فى هذه الطبعة أيضاء، أنه لا توجد

عناوين أو بدايات للشـهـور حـتى تلك العناوين التى وضـعـهـا الجـبـرتى ، وهذا مما يصـعب مـهـمـة البـاحث عن يومـية بعينهـا كما أنـهم لم يكلفـوا أنفسـهم عناء ضـبط التواريخ أو تحـويلهـا إلى مقـابلهـا من التـواريخ الميلادية . ومن عيوب هذه الطبعة أيضـاً أنه لا توجد دراسـة لمؤلف المخطوطة، ولا لعـصـره ولا الكتـاب وظروف تأليـفه، ولا نسخ المخطوطات أو مكانها أو رقمها فى فهارس المكتبات أو الطبعات السابقة للكتـاب . وجدير بالذكر أنهم تجاهلوا الإشارة إلى طبعة التربية والتعليم ، واكتفوا بالقول أن الكتاب نشر فقط فى طبعة شعبية [طبعة دار المعارف] .

ونتيـجـة لكثرة الفقـرات الناقـصـة فى النسخـة(ب) التى اعتمـدوا عليـهـا، فـقد حـاول المحـقـقـان وضـع تكملة الفـقـرة من عندهم بما يتـفق مـع السـيـاق، وفى الغـالب كانت التكملة غير مطابقة للمعنى الذى أراده المؤلف، وهاك أحد الأمثلة:فى النسخة (ب) يقول الجبرتى "وفيه كتبوا أوراقا ولصقوها بالأسواق تتضـمن العفو، والتحذير من إثارة الفـتنة، وأن من قـتل من المسلمين فى .." وتنتـهـى اليـومـية عند هـذا الحـد، ولما حـاول المحققون تكملة اليومية قالوا : "وأن من قتل من المسلمين فى هذه الأيام فلما ارتكبوه من مـعـصـية أو مـاشـابه ذلك"(ص٨٨) ولكن التكملة الصـحـيـحـة طبـقـاً لباقى النسخ هـى "وأن من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس".

أضـف إلى ذلك كـثـرة الأخطاء المطبـعـيـة، وتفـسـيـر بعض الكلمـات خطأ، أو قراءتها من الاصل خطأ، فـالجبرتى يصف الفرنسيين عند دخولهم الأزهر "بالوعول" ورغم وضـوح الكلمـة فى النسـخـة (ب) ؛ إلا أنـهم قـرأوها "الدعـور "واكـدوا فى الهـامش على أنهـا هكذا فى الاصل وأن "دعور" جـمـع داعر، والداعـر هو الفـاسق، وذهبـوا بالكلمـة مـذهبـا أخـر. وكـذلك كلمـة "زعر"يقرأونهـا "دّعر" (ص٧٨) ويؤكدون هذا النطق بتـشـديد الدال وكـذلك عـبـارة "البـغـال الفـارهـة" يحـولونـهـا إلـى "بغـال القـاهرة" والخـلاصـة أن طبـعـة لجنة البيـان العربى ليست إلا نشراً للمخطوطة (ب)

مع شـرح بعض كلمـاتـهـا ، وتـعـديل أسلوب الجـبـرتى وتـصـحـيح الأخطاء النحـوية والإملائية فى متن الكتاب وإغفال الإشارة إلى التصحيح ، ولقد بالغوا فى تصحيح لغة الجبرتى وأسلوبه حتى بعدوا به عن روح العصر وأغفاله أحياناً .

ز- دراسة مقارنة بين مظهر التقديس وعجائب الآثار:

أولاً: مقارنة إحصائية :

من خـلال القـرأة المتـأنيـة لمظهـر التقـديس والجـزء الثـالث من عـجـائب الآثار، تكشفت لنا عدة حقائق نوجزها فيما يلى:-

١- يتكون مظهر التقديس من ٦٨٣يومية تؤرخ للفترة من بداية الاحتلال فى المحرم ١٢١٣هـ، وحتى نهاية شعبان ١٢١٦هـ وفى نفس هذه الفترة الزمنية دون الجبرتى ٧٧٨يومية فى عجائب الآثار بفارق ٩٥يومية بين الكتابين.

٢- توجـد ١٠١يومـيـة وردت فى عـجـائب الآثار ولم ترد فى مـظهـر التقـديس ، منها ٥٥ يومية خاصة بمشاغبات الجنود الاتراك ونبهم الاسواق والمحلات، وكذلك تتناول الغرامـات والضـرائب التى فـرضت بعـد عودة العـثمـانيين ومنهـا ٤ يومـيـات خـاصـة بإنشـاءات الفـرنسـيين وأعمالهم العلمـيـة .ومنهـا ٦يومـيـات ذات صلة بموقف الجبـرتى من الفرنسيين أو العثمانيين ويومية واحدة خـاصـة بتـجنيد الأقـبـاط فى الجُيش الفرنسى وباقى اليوميات وعددها ١٦ يومية متنوعة فى موضوعات لا علاقة بالفـرنسـيين أو العـثـمـانيين ويبـدو أن بعـضـهـا سـقط سـهـواً من مظهـر التـقـديس فتداركه الجبرتى فى عجائب الآثار. ومنها ١٩ يومية تراجم لأشخاص مختلفين .

٣- يوجـد بمظهـر التـقـديس ٧ يومـيـات، غـيـر مـوجـودة فى عـجـائب الآثار، ومـعظمـهـا خـاص بمدح الجـبـرتى للوزير العـثـمـانى يوسف باشـا وبعض كـتـابات

الشيخ حسن العطار.

٤- يوجد بمظهر التقديس ٥٩ يومية، وردت فى عجائب الآثار مختصرة أو محذوف منها فقرات، وهى الفقرات الخاصة بمدح الوزير ورجال دولته، أو المبالغة فى الهجوم على الفرنسيين دون مبرر.

٥- يوجد بمظهر التقديس ٦٧ يومية، وردت فى عجائب الآثار مفصلة ومضاف إليها فقرات، وهى الفقرات الخاصة بإنشاءات الفرنسيين وعلومهم وقوانينهم ومسرحهم ومكتبتهم، وبعضها خاص بأفاعيل الجند العثمانى وقبيح خصالهم وأخلاقهم.

٦- يوجد بمظهر التقديس ٩٢يومية، أعيد صياغتها فى عجائب الآثار، لكى تبدو أكثر حيدة وموضوعية، فحذفت منها كلمات الشتائم والسباب التى وجهها المؤلف للفرنسيين مثل "الكافر واللعين والخبيث"، ومنها تبديل عبارة "حضرة الصدر الأعظم" بكلمة "الوزير" و"الدولة العلية" بكلمة "العثملية" وغير ذلك .

٧- يوجد بمظهر التقديس ١٨٤يومية متطابقة تماماً مع عجائب الآثار، حيث نقلت إليه بالنص، كما توجد ٢٧٦يومية متشابهه بين الكتابين مع اختلاف بسيط فى كتابة بعض الكلمات التى لا تؤثر على المعنى العام لليومية.

٨- والخلاصة، فإن الجبرتى كتب ٧٨٥ يومية للتأريخ للفترة المشار إليها وبيانها كالتالى ١٠١ يومية موجودة فى عجائب الآثار وغير موجودة فى مظهر التقديس و٦ يوميات موجودة فى مظهر التقديس[١] وغير موجودة فى عجائب الآثار ومجموعها ١٠٧ يوميات بنسبة ٦٣ر١٣٪ و٢١٨ يومية تناولها الجبرتى بالاختصار والإضافة وتعديل الصياغة بنسبة ٧٧ر٢٧٪ مجموع المعدل والمحذوف تماماً ٣٢٥ يومية بنسبة ٤٠ر٤١٪ وهناك ١٨٤ يومية متطابقة فى الكتابين و٢٧٦ يومية متشابهة بمجموع ٤٦٠يومية وبنسبة ٦٠ر٥٨٪ . وعلى ذلك فإن المتشابه فى

الكتابين يزيد عن النصف قليلاً والمختلف والمعدل والمحذوف يقل عن النصف قليلاً ولذلك فالكتابين معاً يكمل أحدهما الآخر، ولا يغنى أحدهما عن الآخر، وقد وضعنا هذه الحقيقة نصب أعيينا، فأشرنا فى هوامش هذا الكتاب إلى معظم المحذوف والمعدل، لكى تبدو هذه النسخة التى بين يدى القارئ وكأنها الكتابين معاً فى كتاب واحد.

ثانياً:موقف الجبرتى من الفرنسيين بين مظهر التقديس وعجائب الآثار:

أشار الجبرتى إلى الفرنسيين كجماعة ٣٨٢مرة فى مظهر التقديس، واختلف المسمى الذى أطلقه عليهم حسب المناسبة والزمن، فمن حيث المناسبة فإنه يذكرهم بألفاظ الكفرة والملاعين وغير ذلك فى حالة قيامهم بعمل لا يرضى عنه، أو يذكرهم باسم الفرنسيس أو الفرنساوية فى الأحداث العادية . أما من حيث الزمن ، فهو يستخدم كلمة"الإفرنج"كثيراً فى الشهور الأولى من الحملة، وكأنه لم يستطع أن يفرق بين الفرنجة الصليبيين والفرنسيين الجدد، ولكنه بعد ذلك يكثر من استعمال كلمة الفرنسيس، وفى آخر الكتاب تظهر كلمة الفرنساوية.

وبصفة عامة فإنه أشار إليهم ٣٨٢مرة ، منها ٢٦٩مرة باسم الفرنسيس، و٦٤مرة باسم الفرنساوية و٣٤مرة باسم الفرنجة أو الإفرنج ، و١٥مرة باسم الكفار أو الملاعين أو اللئام أو جند إبليس، وهذه الخمسة عشر الأخيرة هى الفارق بين مظهر التقديس وعجائب الآثار، فقد حذف الجبرتى أربعة عشر سبة منها، وأبقى واحدة هى"جند إبليس"التى وصفهم بها عند دخولهم الأزهر. وعلى ذلك فان

الجبرتى قد غير موقفه من الفرنسيين فى عجائب الاثار حيث حذف ألفاظ السباب الموجهة اليهم كجماعة ، كما حذف أيضاً ألفاظ السباب الموجهة إلى أشخاص قادتهم [لعن نابليون مرتين وكليبر مرتين ومجلون مرتين]، وكذلك غير كلمة " الفرنجة " إلى "الفرنسيس" فى حالات كثيرة كما أضاف يوميات خاصة بأعمالهم وإنجازاتهم وكتبهم وعلومهم ولم يغير الجبرتى موقفه من الفرنسيين فى موقفين هما : عند دخولهم الجامع الأزهر، وفى مسأله الانحلال الخلقى التىنشروه بين المصريين، فهذا الموضوع بالذات أصر عليه، وازداد تمسكاً به، فهو يأخذ على الفرنسيين خلاعتهم ومجونهم ، كما يهاجم الأقباط وبعض العامة الذين سايروهم فى ذلك .

ثالثاً: موقف الجبرتى من العثمانيين :

هناك تباين شديد بين موقف الجبرتى من العثمانيين فى عجائب الآثار ومظهر التقديس، فبينما هو يمدحهم ويثنى عليهم فى مظهر التقديس، إذا هو يهاجمهم ويصفهم بأقبح الصفات فى عجائب الآثار.فالعثمانيين فى مظهر التقديس هم الدولة العلية المدافعة عن الدين لطرد المشركين من مصر، وسلطانها هو الخاقان الأعظم، ووزيرها هو الصدر الأعظم ، ورجالها خير الرجال وبواسل الأبطال أما فى عجائب الآثار فهم الترك المتخلفين وسلطانهم الضعيف المتخاذل ، ووزيرهم الجبان الذى يفر دون قتال ، والظالم الذى عسف بالقرى الشامية والمصرية، ورجاله وجنودة مجموعة من اللصوص والمرتشين، لا أخلاق لهم ولا دين

رابعاً: موقف الجبرتى من المصريين :

يتحامل الجبرتى فى معظم كتاباته على عامة المصريين، ويصف مشاركتهم فى ثورتى القاهرة بأنها كانت أعمالاً همجية غير منظمة، كما يتحامل على الأقباط ، وخاصة من خرج منهم من الصف وانضم إلى العدو مثل يعقوب ورجاله، كما يهاجم العربان ويصفهم بأنهم مجموعة من اللصوص الذين لا مبدأ لهم ولا عهد ولا أمان لهم وكذلك يتحامل على المماليك ويحملهم السبب فى دخول الفرنسيين، وإن كان تحامله عليهم فى مظهر التقديس أخف حدة من عجائب الآثار . أما الزعماء من العلماء والمشايخ والأعيان، فقد انصفهم الجبرتى، وإن كان سبب ذلك أنه واحد منهم، ومع ذلك فانه قد تحامل على بعضهم مثل السيد محمد كريم على سبيل المثال. والخلاصة أن تغيير المواقف كان بالدرجة الأولى مقتصراً على الفرنسيين والعثمانيين.

ح- خطة التحقيق:

ولقد اتبعنا فى تحقيق هذا الكتاب الخطوات التالية:-

١- مقارنة النسخ ببعضها من أجل الخروج بنص كامل.

٢- مقارنة "مظهر التقديس" "بعجائب الآثار".لضبط النصوص والمنشورات وتوضيح الاختلافات بين الكتابين .

٣- ضبط البلدان والأعلام والمصطلحات التاريخية واللغوية.

٤- ضبط التواريخ ومقابلتها بالتواريخ الميلادية.

٥- تقديم دراسة موجزة عن المؤرخ والعصر والمخطوط.

تـــمـــهـــيـــد (1)

بسم الله الرحمن الرحيم، [وبه ثقتى ورجائى](2) حمداً لمن جعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، وجعل الدولة العثمانية (3) والمملكة الخاقانية ،(4) بهجة الدين والدنيا . وصلاة وسلاماً على من نصر بالرعب

١- العنوان من وضع المحققين ويبدأ متن الكتاب فى جميع النسخ من الصفحة رقم (٢) ولكننا سوف نلتزم بالإشارة إلى صفحات النسخة (أ) فقط. .

٢-الفقرة بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

٣-قامت الدولة العثمانية كأحدى إمارات الغز فى أواسط آسيا الصغرى وكانت لهذه الإمارة أهمية استراتيجية مكنتها من التوسع على حساب جيرانها، وأخذت فى التوسع فى الأناضول والاتجاه بعد ذلك ناحية الشطر الأوربى الذى نظر إلى توسعاته على أنها توسعات إسلامية ، ومنها كانت الدعوة إلى التحالف لصد خطرها وبدأت الدولة العثمانية فى التفكير للاتجاه إلى الشرق منذ بداية القرن السادس عشر وهناك العديد من النظريات التى قيلت فى أسباب هذا الاتجاه لعل أهمها نظرية المؤرخ"أرنولد توبينى" الذى يرجعها أساساً إلى ظهور الصفويين وانبعاث حركات ثورية خطيرة فى العالم الإيرانى (الصفويين) ولذلك فهو يقرر صراحة أن الاتجاه العثمانى على عهد السلطان سليم الأول وصلت فى توسعاتها إلى مدى يمكن اعتباره نهاية مرحلة حيث كان العثمانيون منذ عهد محمد الثانى قد أتموا سيطرتهم على الأناضول والبلقان، فعمل على الاتجاه نحو الشرق لأنه وجد دولته وقد أصبحت بمثابة رأس إسلامى صغير على جسم مسيحى كبير فاتجه للسيطرة على العالم الإسلامى وتبوء الزعامة فيه.

د/ محمد أنيس:الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤-١٩١٤، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤.

٤- الخاقانية:لقب خاص بحكام الترك، وله صيغة أخرى هى دقا آن ، ودقاغان ، وهى فى الأصل لقب حكام الصين ثم اطلقت من بعد على حكام المغول والتتار والاتراك ، وأصلها فى الصين (HO.HONG)

د/ حسين مجيب المصرى :معجم الدولة العثمانية ، الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٩م

والصبا[1] وأشاد هذا الدين القويم بشبا[2] السمهرية [3] والظبا[4] ، وعلى آله وأصحابه الداحضين لشوكة كل قامع متمرد، الفايزين ببذل [5] نفيس نفوسهم بكل نصر بديع متجدد.

أما بعد ، فإن وقوع وقايع [6] الأيام وخطوبها، وحوادث الحادثات وكروبها، لم تزل من حين خلق الله العالم متتالية، وفى ضمن الليالى والأيام متوالية[7] وهى بحسب اقتضا التجليات ومظاهر الأسما والصفات متنوعة إلى أنواع، داخلة فى حيز الابتداع[8] والاختراع، بما أودعه الله من الخصايص فى الآثار العلوية [ص٣] عند اقتران بعضها ببعض، وارتباط المناسبات الخفية بينها وبين ما على

١- الصبا: هى ريح ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها الدبور : وهو الريح التى تقابل الصبا [مختار الصحاح]، وفى الحديث الشريف عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور" وفى حديث آخر عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت الارض مسجداً وطهوراً .." راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، جـ١ ، ص ٥١٩ ، ٦٠٤.-

٢- فى النسخة (ب) كتب"بشب" وما كتبناه فى المتن من باقى النسخ وهو الأصح ، والشبا هو حد كل شئ والمقصود هنا حد السيف والرمح .

٣-السمهرية :السمهرى وهو الرمح الصلب العود يقال هو منسوب إلى "سمهر" وهو رجل كان يقوم الرماح وامرأته رزينة التى ينسب إليها الرماح أيضاً فيقال رمح رزينى [المعجم الوجيز] وكذلك [لسان العرب جـ٣]

٤- الظبا:حد السيف والسنان والنصل والخنجر وأشبهها[لسان العرب جـ٤] ولا شك أن المؤلف مخطئ فيما زعم فالإسلام لم ينتشر بحد السيف وإلا فما هو تفسير وصوله إلى إندونيسيا والشرق الأقصى وغرب أفريقيا وهى مناطق لم تصل إليها الجيوش الإسلامية .

٥- فى النسخة (أ) كتبت"لبذل"والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٦-هكذا فى النسخة (ب) أما باقى النسخ فكتبت "فإن وقايع الأيام "

٧- فى النسخة (جـ) "متوارية".

٨- فى النسخة (جـ) "غير الابتداع".

وجه الأرض، وذلك بحسب جرى العادة الإلهية له مسببات، وحوادث يستدل عليها بتلك القرانات (١) والمناظرات. وقد أودع الله في بعض خالصي (٢) النفوس البشرية، والأرواح المجردة عن العلايق الجسيمة، والشهوات النفسية، معرفة بعض تلك الحوادث، إما بإلهام، أو باكتساب ونظر في علم الأحكام، "فبالنجم هم يهتدون "(٣) وبالنظر في ملكوت السموات والأرض يستدلون فيعرفون، من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات، وإنما هي أسباب عادية وعلامات.

وإن من أعظم الدلايل على ما رميت به مصر، وحل به لأهلها تنوع البؤس والإصر، بحلول كفرة الفرنسيس، ووقوع هذا العذاب البئيس، حصول الخسوف (٤) الكلي في شهر ذي الحجة بطالع مشرق الجوزاء (٥) المنسوب إليه إقليم مصر. وقد كان هؤلاء الأقوام وأمثالهم ممن لهم في الخروج مشارك، ولروم الإفساد متربص متدارك.كلّ يريد الحلول بأرضها، والتفي (٦) بظلال خصبها وروضها، فيرجع بخفي حنين، وتنقلب أمنيته منية وحين.

١- القرانات:القرن خصلة من الشعر ، والقرن جانب الرأس ، وقرن الشمس أعلاها ، وأول ما يبدو منها في الطلوع . [المعجم الوجيز] .

٢- في النسخة (أ) كتبت " خالص" وما أثبتناه في المتن هو الأصح.

٣-القرآن الكريم:سورة النحل . آية ١٦.

٤- الخسوف: هو وقوع الأرض بين الشمس والقمر على خط واحد فيقع ظل الأرض على القمر فلا يظهر نوره، وعكسه الكسوف وهو وقوع القمر بين الأرض والشمس على خط واحد فيحجب ضوء الشمس عن الأرض وقد يكون كسوفاً كلياً أو جزئياً أو حلقياً ، وفي الأخيرة يبدو القمر في وسط الشمس وحوله هالة من الضوء .

٥- الجوزاء: أحد أبراج السماء الاثني عشر ، وسميت الجوزاء لاعتراضها في السماء.

٦- الأصح والتفيؤ .

ولم تزل منذ وضع أساسها، وأضا[1] في ديجور الأقطار نبراسها ، محمية عن تطرق أيدى المفسدين ، مصانة عن أن يطرق حماها عصابة المعتدين . لا يطمع خارجي في الحلول بساحتها، ولا تحدثه نفسه بالتغلب على رياستها ، رهبة من سطوة حماتها ، وأسود غيضاتها، الذين كانوا من قديم الزمان كالشجا في حلق العدو، والحسام المجرد في وجوههم بحيث سلبهم الراحة[ص٤] والهدوّ[2] لا يتوجهون لجيش إلا هزموه ، ولا يحاربهم متغلب إلا غلبوه،هؤلاء التتار[3] قد استولوا على كل أرض، وأنزلوا دولة كل ملك من شامخ عال إلى خفض، كثيراً ما قهرتهم جند القاهرة ، وباؤا عند توجههم إليها بصفقة خاسرة ، بحيث لم تقم لهم بعد تلك الهزيمة دولة ، ولا تحقق منهم بعد تلك الغلبة صولة، وذلك وقت أن كان الناس ناس، والزمان زمان، وجند أهل هذا القطر مستيقظين لسداد

١- "وأضاء" وقد أشرنا في المقدمة إلى أن المؤلف قد درج على حذف همزة المد وأننا حرصنا على الإبقاء على لغة المؤلف كما هي .

٢- المقصود " الهدوء" ولكن المؤلف أراد النطق العامي للكلمة لتكون على وزن كلمة "العدو" في العبارة السابقة حيث أنه درج على اتباع أسلوب السجع .

٣- التتار كتبت في النسخة (ب) "التاتار" والمؤرخ هنا يشير إلى موقعة عين جالوت وهي أنه بعد أن ملك هولاكو بغداد عزم على الوصول إلى مصر وأرسل إلى قطز يطلب إليه التسليم وأنه لا قبل له بجيوشه ، وهنا جهز قطز الجيوش وخرج إلى الشام والتقى بعسكر التتار في"عين جالوت" في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وكانت النصرة للمسلمين وقتل أمير التتار "كتبغا توين" وجماعة من بيته واتبعتهم قوات قطز حتى وصلوا إلى حلب وهرب من دمشق منهم وكانت هذه المعركة هي بداية النهاية بالنسبة لامبراطورية المغول لمزيد من التفاصيل راجع :ابن كثير:البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللازقي – ومحمد غازى بيضون ، دار المعرفة ، بيروت ، جـ١٣ ١٩٩٦، جـ١٢، ص٢٥٨

الثغـور[1] بأبطال الرجال وعقبان الفرسان.

وأن الدولة العثمانية أبقاها الله وأشادها، ووضع على أساس العظمة والعز عـمـادها، كـانـت وسـدت أمـور مـصـر لمن بهـا من الحـكـام، اعـتـمـاداً على شـهـرة شـجـاعـتـهـم وحـمـايتـهـم السـائرة بين الخـاص والـعـام ، وهؤلاء [2] الحكـام أيضاً اعتمدوا على سالف الشهرة وركنوا إلى الدهر ولم يأمنوا غدره، فـخـربوا الثغور، وأشادوا القصور، واستـبـدلوا أبـطال الرجـال، بربات الخدور والحجال ، وشـجـعان الـفـرسان، بحسان الغلمان ، وتسابقوا فى حلبة الكميت مع الخيلا والزهو، إلى مـيـدان كل خـلاعة ولهـو ، لا يردون إلـى مـورد مـسرة، ولا يبالون بما أغفلوه من أسـباب المضـرة ، غفل الـدهر عنـهـم فـنامـوا، وظفروا بأمـانـيـهم فتردوا فى جهالتهم وهاموا، حتى قلقت مصر منهم واستقالت ، وللدولة العـثـمانية أبقاها الله شكت وقالت:

فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرساناً وركباناً

١- الثغور : يقصد بها الموانئ المصرية حيث حظيت مصر بموقع جغرافى فريد ، كان له عظيم الأثرفى مكانتها ومركزها الدوليين وعلاقاتها بالعالم ، وترتبط من خلال موقعها على البحر المتوسط مع دول أوروبا وبلاد شرقى البحر المتوسط وآسيا الصغرى وشمال أفريقيا ، كما يربطها موقعها على البحر الأحمر بالجزيرة العربية والسودان وشرقى أفريقيا وبلاد الهند وجنوب فارس وجزر المحيط الهندى وكان لمصر على هذين البحرين من الموانئ المصرية على البحر المتوسط دمياط ورشيد والأسكندرية والبرلس وهى الموانئ التى تؤدى وظيفتها التجارية والاقتصادية كمنافذ تجارية واستراتيجية لمصر فى العصر العثمانى .

راجع . د/ عبد الحميد حامد سليمان : تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى هـ.م.ع القاهرة ١٩٩٥، صـ١٧ وما بعدها .

٢- هؤلاء . كتبت فى النسخة (أ) "وتلك"وفى النسخة (ب) "هؤلاء" وهى الأصح لذا أثبتناها هنا.

وما دروا أن العدو لهم بالمرصاد، وأنه لابد للدهر من يقظة يسترد بها ما وهب ويزداد،

وماهكذا[ص٥] تحفظ البلاد ، وتساس الرعايا والأجناد[١] ، قال صاحبنا الآتى ذكره[٢]

من قصيدة:

إنما هذه البلاد لأقوام	حموها بالصارم المسلول
وأرى دولة المماليك مالت	لضروب اللذات بالتحصيل
واغتنوا عن تجريد سيف ورمح	بقوام لدن وطرف كحيل

ولما لم يقتفوا آثار من مضى من الدول،وأضاعوا ما تعب فى تأسيس قواعده الأول، تطرق الخلل لهذا القطر العظيم من كل جهة، وأضحت وجوه محاسنه بما ابتدعوه مشوهة، فأصبح الغني بالمصادرات فقير، وعز بالتقرب إليهم من سفلة السعاة كل حقير، ورغبوا عن الفضايل فدرست ، ومالوا إلى سفاسف الأمور فراج سوقها وربحت، فقلت الفضلا وكثرة [٣] الجهال ، وارتفع مقدار كل غبى فى كل حال .

١- يلاحظ أن الجبرتى هنا اتخذ من المماليك نفس وجهة النظر العثمانية التى جعلت من المماليك السبب الأصلى فى البلاء والانهيار الذى أدى إلى وقوع مصر فريسة فى أيدى الفرنسيين وذلك بسبب تقاعسهم عن القيام بواجبهم فى حماية البلاد وهى نظرة تهدف إلى تبرئة الدولة العثمانية من التقصير والتى ادعى سلطانها أنه لم يعلم باستيلاء الحملة الفرنسية على مصر إلا بعد شهر من نزولها.

٢- يقصد به الشيخ حسن العطار ، انظر فيما يلى .

٣- هكذا بالتاء المربوطة فى جميع النسخ ، والصواب "وكثرت" بالتاء المفتوحة.

ولقد كانت مصر مجمع الفضلا، ومركز النبلا، وقطب دايرة الفصحا، ومنشأ لبلغا الكتاب والشعرا، جمعت ما تفرق فى غيرها من المحاسن ، وورد أهلها من موارد اللذات شراباً غير آسن. بها تخترع الصنايع البديعة، ويستنبط فيها كل نادرة رفيعة [1] فلما دهمت الفرنسيس ثغرها الخالى، ووقفت منه على طلل بالى، سهل عليهم الحال فاقتحموه .

ودخلوا من باب الإقليم بدون أن يفتحوه، وتقاعدت العساكر المصرية عن التسارع لاستنفاذ الثغر فعظم البلا، وأخذ العدو يطوى بساط الأرض حتى إذا التقى الجمعان لم يسع القوم إلا الفرارفى الفلا ، فكم تركوا من جنات وعيون وزروع [2] وأصبحوا مشتتين فى أقطار الأرض لا يقر لهم لب ولا روع .

وأناخت [ص ٦] دولة الكفار بكلكلها[3] على هذا القطر العظيم، وانتشروا فى أرجايه انتشار السم فى جسد السليم ، فياله [4] من خطب فظيع، وحادث جلل شنيع ، انمحقت به محاسن مصر الفريدة ، وتخلخلت قواعد مملكتها العتيدة، فأصبحت مقهورة بعد أن كانت هى القاهرة ، ومطموسة بعد أن كانت محاسنها لكل قطر باهر .

شعر

بلدة أوقـــــاتها سحر	وصـــــــبا فى ذيلـــه بلل
ونـــــسيم عرفه أرج	ورياض غـــصنها ثـمل

١- فى النسخة (أ) "فيشبط"، وفى النسخة (ب) كلمة "كل" غير موجودة ، وفى (ج) - "ويشبط"

٢- "كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم" سورة الدخان آية ٤٤.

٣- ككل . الكلكل والكلكال: الصدر [مختار الصحاح] وفى المعجم الوجيز "الكلكل " الصدر أو ما بين الترقوتين.

٤- فى النسخة (جـ) "فلله من خطب" وبها لا يستقيم المعنى .

ووجـــوه كلـــــها غـرر وكلام كلـــه[1] مثـــــل

وماذا يبلغ إطرائى ، أو يستوعب عقد ثنائى، بعد ذكر الله لها فى آيات عديدة من كتابه[2] وتوصية النبى على أهلها لمعظم أصحـابه[3] ولم تزل أحـاديث فضايلها على ألسنة المتقدمين والمتأخرين تتلى، وغرر محاسنها[4] تتجدد فى كل وقت فلا تبيد ولا تبلى، قد ملأت تلك الأحاديث أسفاراً، وعمرت تلك المحاسن بلاداً وأقطاراً، سحبت تلك المحاسن ذيل النسيان، على غوطة [5] دمشق وسغد سمرقند وشعب بُوّان، وجرى حديث نيلها المكرر على كل لسان ، حتى كأن لم يكن ثم ذكر لسيحان وجيحان [6] .

١- كلمة"كله" كتبت فى النسخة (ب) "كلها" وما اثبتناه من باقى النسخ هو الأصح.

٢- ورد ذكر مصر صريحاً فى القرآن خمس مرات في الآيات ٨٧ من سورة يونس ، ٢١ ، ٩٩ من سورة يوسف ، ٥١ من سورة الزخرف ، ٦١ من سورة البقرة.

٣- هناك العديد من الأحاديث التى وردت فى كتب السنن عن مصر ولكن علماء الحديث ذكروا أن معظم هذه الاحاديث ضعيفة وبعضها موضوع من الأصل.

٤-لمزيد من التفاصيل عن فضائل مصر راجع -عمر بن محمد بن الكندى: فضائل مصر والقاهرة - تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، القاهرة، ١٩٦٩م.محمد بن ابى السرور البكرى: الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة ، تحقيق عبد الرازق عيسى - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٩٧م.

٥- غوطة دمشق: ويقصد بالغوطة مجتمع النبات والماء ويصف القزوييني غوطة دمشق بقوله" كورة قصبتها فم دمشق وهى كثيرة المياة نضرة الأشجار متجاوبة الاطيار مونقه الازهار، ملتفة الاغصان، مخضرة الجنان، استدارتها ثمانية عشر ميلاً، كلها بساتين وقصور، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، ومياهها خارجة من تلك الجبال، ويمتد فى الغوطة عدة أنهر.راجع محمد بن عيسى بن كنان الصالحى الدمشقى: المواكب الاسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية،

تحقيق د/ حكمت اسماعيل وزارة الثقافة السورية ١٩٩٣م ،ص ٣٩٣.

٦- سيحان وجيحان: نهر "سيحون" هو نهر (سيرداريا) ينبع من جبال "تيان شان" "وهضبة البامير" ويصب فى بحر آرال ، أما نهر "جيحون""أموداريا" فينبع من جبال هندكوش ويصب فى بحر آرال أيضا، والمنطقة الواقعة بينهما تسمى أوزبكستان حالياً وتعتبر من أخصب الأراضى وبها مدن بخارى وسمرقند وطشقند .

هذا وكم للناس فى وصف متنزهاتها، وساحات مسراتها ، ما يجرى فى النفوس مجرى السلاف [1]،ويكون لرياض الأدب أبهى قطاف كقول موسى بن عيسى الهاشمى أمير مصر[2] يصف جزيرة الحبش[3] وقد خرج إلى الميدان الذى بطرف المقابر، فقال لمن معه"أتتأملون ما أرى ؟" ، فقالوا "وما الذى يرى الأمير ؟"، فقال "أرى ميدان [ص٧] رهان ، وجنان نخل، وبستان شجر، ومنازل سكن ، وذروة جبل، وجبانة أموات، ونهراً عجاجاً، وأرض زرع، ومراعى ماشية، ومرتع خيل، وساحل بحر، وصايد نهر، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل ، ومفازة رمل ، وسهلاً ، وجبلاً " فهذه ثمانية عشر منتزهاً فى أقل من ميل. وأنى هذه الأوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله

"شعر" [4]

زر وادى القصر نعم القصر والوادى	لابد من زورة فى غير ميعاد
زره فليس له شيئ يشاكله	من منزل حاضر إن شيت أو بادى

١- السلاف هو ما سال من عصير العنب قبل أن يعصروتسمى الخمر سلافاً "مختار الصحاح" وفى "المعجم الوجيز" السلاف افضل الخمر واخلصها ، والسلاف من كل شئ خلاصته.وفى" لسان العرب" سلاف كل شئ مقدمته ، وسلاف العسكر طليعتهم ، وسلاف الخمر أول ما يعصر منها [جـ ٣] .

٢- موسى بن عيسى الهاشمى: ولى مصر ثلاث مرات من قبل هارون الرشيد وكان ولى للعهد ولكن الرشيد خلعه منها وولى ابنيه "الأمين"و"المأمون" وكانت ولايته الأولى عام١٧١هـ

٣-جزيرة الحبش أرض زراعية خصبة تنسب إلى قتادة بن قيس بن حبش من جند عمرو بن العاص الذين شهدوا فتح مصر ، وتسمى الآن قرية دير الطين ، وفى النسخة (جـ) "جزيرة الجش" وهو خطأ من الناسخ .

٤- كلمة " شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

تلقى به السفن والأفراح حاضرة والنون والضب والملاح والحادى (١)

ولقد كادت تعم الرزية، وتصير القضية أندلسية(٢) لولا عناية من أيده الله بالنصر والتمكين ، وتلى عسكره المنصور مهما توجه لمعقل آية الفتح المبين ،(٣) وهو الملك الأعظم، والسلطان الأفخم غياث المسلمين، ملاذ المؤمنين، مالك رقاب الأمم، ملجأ العرب والعجم، حافظ ناموس الشريعة الغرا بقوة سطوته، باسط بساط العدل والإحسان على كامل رعيته، قامع الطغاة المعتدين، مبيد الفجرة المتمردين، سيف الله المسلول على كل طاغى ، قاطع أصل شجرة كل مفسد وباغى ، غيث الندا(٤) مجيب الندا، قمر الهدى، ليث العدا، المحتف بعناية الكريم، مولانا السلطان المغازى(٥) سليم(٦) اللهم أدم ملكه، واجعل الدنيا بأسرها

١- النون هو الحوت ، والضب حيوان صحراوى فى حجم القط ، والحادى هو المنشد في القافلة ينظم سير الابل وخطواتها على أنغامه.

٢- يقصد الجبرتى بقوله"وتصير القضية أندلسية" أى ضياع مصر كما ضاعت الأندلس وهى الفردوس المفقود والتى سقطت آخر معاقل المسلمين فيها عام ١٤٩٢م وهى مدينة غرناطة.

٣- فى جميع النسخ "تلى" بالياء ، ولعلها "تلا" من التلاوة أى أن جنوده يتلون آية الفتح المبين [إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً] فى كل مكان يتوجهون إليه إشارة إلى النصر الدائم .

٤ - كذا فى الأصل والصواب"الندى".

٥- المغازى:نتيجة لأن الدولة العثمانية قامت فى الأساس كأحدى إمارات الغزاة المجاهدين ضد الدولة البيزنطية لذا فقد اتخذ حكامها ومنذ عهد عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية لقب "الغازى"وذلك تشريفاً لهم كمجاهدين غزاة فى سبيل الله.

٦- السلطان سليم الثالث : ابن السلطان مصطفى الثالث جلس على العرش عام ١٧٨٩م فى فترة كانت أوضاع السياسة تموج وتضطرب ، والحروب مشتعلة فرأى نفسه فى ضرورة بذل الجهد فى العناية بتعزيز وتحديث الجيش العثمانى لذا أمر بترجمة الكتب العسكرية لمن يدرسون فنون الحرب ، وأمر بتدريب الجنود العثمانيين على النظم الأوربية تحت قيادة قائد إنجليزى أسلم وسمى مصطفى ، ولكن وقف الانكشارية وكذلك العلماء الجامدون من هذه الإصلاحات موقف معادى وكانت النتيجة هى عزله بفتوى مؤداها "أن كل سلطان يدخل على البلاد نظام الفرنجة، ويجبر رعيته على الأخذ بها لا يصلح للملك على أى حال من الأحوال" ومات السلطان سليم الثالث وله من العمر ثمانية وأربعون عاما، عام١٨٠٧م.
راجع د/ حسين مجيب المصرى:مرجع سابق :ص ٢٧٨ وما بعدها

ملكه، ولا تدع له عدواً إلا قصمته، ولا مخالفاً إلا أهلكته، واجعل اللهم روس الكفار حصيداً لسيوف عساكره، وبلادهم داخلة تحت نواهيه وأوامره ، مخدومة عساكره بالعز والنصر أينما توجهت، مقترنة بالظفر [ص ٨] والفوز أينما سلكت فتوجهت انتصاراً للإسلام عزيمته، وتسامت لاستنقاذ مصر من أيدى أوليك الأشرار همته، فوجه إليها بوجوه دولته، وعساكر حمايته، من كل رئيس بصير بأمور العواقب، مدبر الأمور على أوفق رأى صايب، فطن بقوانين السياسة، خبير بمراسم الرياسة، حازوا لكل فضيلة تعد غرة فى جبهة الدهر، وأضا مصباح أذهانهم فى إيراد القضايا وإصدارها إذا أشكل الأمر

"شعر"

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أصابوا(١) وأجزلوا

ولا يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن أحسنوا فيما أتوه وأجملوا

عصابة بذلوا نفوسهم فى تشييد الدين وتأييده، واقتنا الذكر الحسن وتخليده، وتشددوا فى إجرا الشريعة وإنفاذها، وبددوا أرواح من خالفها لاستنفاذها.

"شعر" (٢)

قوم إذا لم يقبل الحق(٣) منهم ... ويمضوه عاذوا بالسيوف القواضب

أوليك النجوم الطوالع، والغيوث الهوامع(٤) تزينت بهم سما الممالك ، وأنارت بهم

١- كذا فى الأصل وربما الصواب "أطابوا ".

٢-كلمة شعر غير موجودة فى النسخة (ب)

٣- كلمة "الحق" كتبت فى النسخة (ب) "الخسف" والصواب هو ما اثبتناه هنا فى النسخة (أ) ، (جـ) .

٤- الغيوث الهوامع ، الهموع ، السائل والهموع السّيلان وقد همعت عينه أى دمعت وسحاب همع أى ماطر والغيث المطر وربما سمى السحاب غيثاً "مختار الصحاح"

للرشاد مسالك ومولانا الوزير أيده الله، شمس تلك السما، وأساس افتخار أوليك الرؤسا، صاحب السيف والقلم معدن العلم والحكم، رافع علم الإسلام، مشيد الشريعة والأحكام، حايز أشتات الفضايل، تاج الرؤسا والأماثل، بهى [1] الدين والدنيا، مرتقى ذروة الشرف العليا، سيف السلطنة المجرد لقمع الأعدا، نبراسها المضى فى ساير الأقطار والأرجا، مدبر بصايب رأيه قوانين المملكة، منقذ الأمة المحمدية من التردى فى كل مهلكة:

"شعر"

إنْ عُد أيام اللـقا فإنما	يوماه يوم ندا ويوم طعان
يكسو الأسرة والمنابر بهجة	ويزينها بفصاحة وبيان
تمضى أسنته[2] ويسفر وجهه	فى الحرب عند تغير الألوان

ألقت صعاب الحصون مقاليدها إليه، وأصبح الدهر فى عداد[3] عدته وعدده، فيمينه الغرا ملثم شفاة الجبابرة، وغمامة الكرم المغيثة الماطرة:

فباطنها للندى	وظاهرها للقبل [4]
ونايلهاللغنى	وسطوتها للأجل [5]

وماذا عسى أن أصف من محاسنه الكريمة، وأعدد من غرر فضايله الجسيمة،

١-كلمة "بهى" كتبت فى النسخة (ب) "بهجة" والاقرب إلى الصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- كلمة "اسنته" وكتبت فى النسخة (أ) "أسنة" .

٣- كلمة "عداد"من النسخ (أ)، (جـ) ،(د) ولكنها كتبت"عدايد"فى النسخة(ب)

٤-هذه الأبيات كتبت كتبت نثراً فى النسخة(أ) فى سطر واحد

٥- كلمة للأجل كتبت فى النسخة (ب) " للأصل" وما أثبتناه هنا من باقى النسخ وهو أقرب للصواب و لاستقامة المعنى.

وهو تاج المجاهدين الذين عليهم الحق قد أثنى ، ووعدهم فى مقابلة بيع نفوسهم فى مرضاته بالحسنى، له المنة العظمى على المسلمين ، باستنقاذهم من أسر الكفرة المعتدين، ورد النوم إلى أجفانهم، والأمن إلى أوطانهم ، بعد أن سلبوا نوماً وأمناً، واستبدلوا بالعز(١) والسرور ذلاً وحزناً .

" شعر"

إذا الوزير لنا جادت يداه ندا(٢)	لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرته	تضاءل النيران الشمس والقمر
من لم يمت حذراً من خوف سطوته	لم يدر ما المزعجان السيف والحذر
ينال بالظن ما يعيى العيان به	والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه وزمام الملك فى يده	يرى عواقب ما يأتى وما يذر

اللهم اجعل أيامه كلها سعيدة ، ومفاخره مشيدة عنيدة، والنصر حيث سار يقدمه، والعز أينما توجه يخدمه، بالغاً بمزيد الإجلال أمانيه، مشكوراً على ألسنة العالم مساعيه، محموداً فى إيراده وإصداره، ممدوحاً فى علانيته وإسراره، منقادة إليه من الأمور أسبابها، مذللة لديه صعابها تنشده[ص١٠] كل يوم ألسن(٣) المعالى ، على مر (٤) الأيام والليالى:

"شعر" (٥)

بقيت بقا الدهر يا كهف أهله	وهذا دعاء للبرية شامل

١- كلمة "بالعز" غير موجود فى النسخة (أ) والعبارة مكتوبة هكذا"واستبدلوا بالسرور ذلا" وما أثبتناه بالمتن من النسخ (ب) ، (جـ) .

٢-هكذا فى الأصل ولعله يقصد الندى أى الجود والكرم.

٣- كلمة"ألسن" كتبت "ألسنة " فى النسخة(ب) وما كتبناه الأصح حيث أن جمع لسان ألسن.

٤- فى النسخة (أ) كتبت "على ممر الأيام " .

٥- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

ثم من الاتفاقات التى يتفطن لها الأديب، وينقاد لحكمتها اللبيب، أن مصر إذا تشوهت محاسنها، وغصت بشرار الدول (١) مساكنها ، لا يكون تطهيرها من أرجايها، وإعادة ما ذهب من بهجتها وإيناسها ، إلا بمن تسمى بهذا الاسم الشريف أعني يوسف، فهو الذى بهذه المنقبة ينعت ويوصف، وهذا من السر البديع الذى أودعه الله فى المسمى به، وارتباط الخصوصية بينه وبين إصلاح حال مصر، وأنه إذا حل بها دولة خاسرة فى الغالب لا تزال إلا بمن اسمه يوسف . ووجود الخصوصيات والارتباط بالمناسبة الطبيعية، والأسرار الفلكية، أمر شوهد من بعضه مالا يصلح معه أن ينكر باقيه فإن الله قد جعل فى كل شئ من المخلوقات خصوصيات فى نفسه ، وخصوصيات يقع الارتباط بها بينه وبين بعض الأشيا المشاكلة له حتى الألفاظ كما هو معلوم، لكن تلك الخصوصيات لا يطلع عليها إلا من أحاط بكل شئ علما، وقد أطلعنا الله على بعضها، منها الخصوصية فى هذا الاسم.

والشاهد على ذلك أن أول يوسف أصلح حال مصر، وبنى فيها إقليماً كبيراً، وهو إقليم الفيوم، ووضع مقياساًللنيل(٢) ، وحفر الخليج المسمى الآن ببحر يوسف،

١-كلمة "الدول" كتبت "الدولة " فى النسخة (أ)

٢-مقياس النيل: اهتم المصريون القدماء بضبط مياة النيل منذ أربعين قرنا قبل الميلاد كما اهتموا بتسجيل حركات الفيضان بإنشاء مقياس نقالى يقيسون به عمق مياة النيل، وكذلك كان عندهم مقاييس ثابتة من البناء مثل جزيرة الروضة، وبعد الفتح الإسلامى أمر عمرو بن العاص بإنشاء مقياسين أحدهما بأسوان والآخر بأرمنت وفى سنة ٨٠هـ أنشأ عبد العزيز بن مروان مقياساً صغيراً على النيل فى حلوان وفى سنة ٩٧هـ بنى مقياس فى جزيرة الروضة وبإنشاء السد العالى عند اسوان انتهت أهمية المقياس وأصبح لا قيمة له إلا من الناحية الأثرية التاريخية ، راجع محمد كمال السيد محمد: أسماء ومسميات من مصر القاهرة.هـ.م.ع القاهرة ١٩٨٦ص ٦٢وما بعدها.

ونصب الجسور، ودبر معاش الناس[1] فى الجدب المتوالى سبع سنين، ولولا ذلك التدبير لهلكوا، وهو يوسف الصديق عليه السلام [2]

ويوسف صلاح الدين[3] هو الذى استنقذها من

١- نسبة هذه الأعمال ليوسف الصديق هو من قبيل المبالغة لأن إقليم الفيوم منخفض طبيعى بدأ استغلاله على نطاق واسع فى عهد الفرعون"أمنمحات الثالث" الذى أنشأ سد اللاهون، ووضع مقياساً للنيل، أما بحر يوسف فهو فرع طبيعى قديم للنيل كان يخرج من عند اسيوط حتى عام ١٨٧٣م أما الآن فيخرج من ترعة الإبراهمية عند مدينة ديروط ، وهو الآن قناة تستخدم فشى الرى.

٢- يوسف الصديق: ورد ذلك فى قوله تعالى "وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء " سورة يوسف آية٢١ وقوله تعالى"اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم" سورة يوسف آية ٥٥ لمزيد من التفاصيل راجع ابو عبدالله محمد بن احمد القرطبى: الجامع لأحكام القران دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٣م.

٣-يوسف صلاح الدين: اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأمه من بلدة "دوين" وأنهم أكراد روادية وولد صلاح الدين عام ٥٣٢هـ فى قلعة تكريت وحضر إلى مصر مع جيش عمه "اسد الدين شيركوه"فى ١٧ ربيع الآخر ٥٦٤هـ وبعد وفاة "شيركوه" استقرت الأمور لصلاح الدين ، وقضى على الدولة الفاطمية ، وأعاد مصر لحظيرة الدولة العباسية السنية مرة أخرى ، وحارب الصليبين فى بيت المقدس وأخرجهم منها كما حاربهم فى بلاد الشام كلها، وتوفى يوم الأربعاء ٢٧ صفر ٥٨٩هـ ويذكر ابن خلكان ذلك بقوله" وكان يوم موته يوماً لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وغشى القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله"راجع شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر بن خلكان : وفيات الأعيان و وأنباء و أبناء الزمان تحقيق د/ إحسان عباس ، بيروت ، جـ٧ ، من ص ١٣٩وما بعدها .

الفواطم(١) وأزال البدعة وأظهر السنة، وبنى قلعة الجبل(٢) وجدد دولة الأكراد التى هى من خير[ص١١] الدول وكذلك لما قدم المغفور له السلطان سليم الأكبر إلى مصر كان وزيره يسمى يوسف باشا فتوفى قبل دخوله إلى مصر ، فحزن السلطان عليه حزناً شديداً حتى قال"ماذا نصنع بمصر من غير يوسف"(٣)

١- الدولة الفاطمية: ظهرت الدولة الفاطمية في المغرب علي يد أبو عبد الله الشيعى أحد دعاة الفاطميين وبعد نجاحه فى السيطرة على المغرب استقدم عبيد الله المهدى وبايعه بالخلافة ومنذ عام ٣٢٤هـ والدولة الفاطمية تعمل على الاستيلاء على مصر من أيدى الإخشيد ولكنهم هزموا الفاطميين فعمل الخليفة الفاطمى على استخدام الحيلة لذا طلب من الاخشيد الدخول فى طاعته وعندما رفض عمل الفاطميون على بث دعاتهم فى مصر فاستطاعوا أن يأخذوا البيعة للمعز لدين الله من كثير من وجوه القوم ورؤساء الجند الإخشيديين من الطوائف المختلفة وقبيل وفاة كافور الاخشيدى كان الفاطميون يستعدون للاستيلاء على مصر وبدأ المعز فى تسيير الحملة عام ٣٥٨هـ ونجح قائده جوهر فى دخول البلاد والاستيلاء عليها واقامة الخطبة للفاطميين ، واستمر ذلك حتى قضى على الفاطميين فى عهد الخليفة العاضد وبدأت الدولة الأيوبية التى عملت على إعادة المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى السائد فى البلاد. .د/ سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عهد الإخشيديين مطبعة فؤاد الاول القاهرة ،١٩٥٠، ص٣٦٦ وما بعدها.

٢- قلعة الجبل: يرجع بناؤها إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى وإلى الأمير بهاء الدين قراقوش أحد قادة جيشه وقد تم البناء فى عام ١١٧٦م ، وعند باب المدرج غربى القلعة كتابة مؤرخة فى عام ٥٧٩هـ تشير إلى نهاية أعمال صلاح الدين تتألف من ساحتين مستقلتين الشمالى منها يشبه مستطيلا ذا أبراج بارزة ويفصله عن المربع الجنوبى حائط سميك وأبراج ضخمة ، ويخرج المربع الجنوبى عن الشمالى مكوناً معه زاوية قائمة ثم جزء كبير من القلعة فى عام ١١٨٣ وتمت البئر فى عام١١٨٧م وكان للقلعة بابان أحدهما الباب الاعظم المواجه للقاهرة واسمه الباب المدرج وبداخله يجلس والى القلعة والثانى اسمه باب القرافة يطل على تلال المقطم وعلى مر عصورها أُنشئ بداخلها عدة قصور ومساجد راجع د/ عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ط٨ ، ص ٢١٤

٣- يذكر ابن إياس فى"بدائع الزهور" أن وزير السلطان سليم الأول اسمه "يونس باشا" ويذكر الإسحاقى أن السلطان سليم قتله وكلمة "يسمى" غير موجودة فى النسخة (ب)

ومولانا الوزير أبقاه الله هو ثالث من ملك مصر ممن تسمى بهذا الاسم ، وانفرد بهذه الخصوصية، لأنه أزال دولة الكفار، وجدد دولة الأخيار، وعادت به بهجة مصر بعد انمحاقها، وأشرقت شمس طلعته على آفاقها ، فانصلح بعد الفساد حالها، ورد إليها بعد النشوة جمالها، وإلى هذا يشير صاحبنا الآتي ذكره.

"شعر" (١)

يوسف الصديق النبي إليه ملك مصر من بعد فرعون صارا
فأزال الشقا عنها وفاقت كل قطر نضارة ونضارا
وصلاح الدين يوسف قد أذهب من دولة الفواطم عارا
وبه دولة الكرام من الأكراد شادوا للدين فيها منارا
ثم قد جاءها الوزير مزيلاً للفرنسيس حتى(٢)أخلوا الديارا
وأذاقوا أبناءها كل (٣) ذل واستباحوا المحرمات جهارا
فأزيلت بعزمه ظلمة الكفر ونجم السرور فيها استنارا
أصبح الحق ظاهراً بالعوالي يتسامى وضده يتوارا(٤)
يالها من نصره بها كمل السعد وشادت للمسلمين فخار
وجزاه الديان خير جزا وحياه مهمايؤم انتصارا

١- كلمة شعر غير موجودة فى النسخة (أ)

٢- كلمة "حتى" وكتبت"حين" فى النسخة (ب) وما أثبتناه من باقى النسخ هو الاقرب للصواب.

٣- كلمة "كل" وكتبت فى النسخة (أ) "كأس " وقد أثبتنا "كل" لأنها أشمل فى المعنى وأقوى وأقرب للصواب.

٤- الصواب "يتوارى ".

ولما استقر بمصر ركابه الشريف، وأعاد المسلمين بعد انحطاط(١) رتبتهم لمقامهم المنيف، واستنارت بمقدمه البلاد، وابتهج بالسرور جميع العباد، فعاد لمصر بعد الهرم شبابها، ورتعت فى ميادين المسرة صحابها، وطلعت شمسها المنيرة بعد الظلام، ورد إليها ما استلبته من محاسنها الأيام.

"شعر" (٢)

وللنجم من بعد الرجوع استقامة	وللبدر من بعد الغروب طلوع

[ص١٢] كان ذلك ولله الحمد مصداق قوله تعالى، وهو أصدق القايلين (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)(٣)ونعم العاقبة لمصر بحلول ركاب مولانا الوزير فيها(٤) وطلوع نجوم عساكره فى آفاق نواحيها، فانبهجت بهم مصر وأضاءت، وتاهت على ساير الأقاليم وباهت.

ولقد كنت سطرت ما وقع وحصل من الوقايع، من ابتدا تملك الفرنسيس

١- كلمة"انحطاط" غير موجودة فى النسخة (ب)

٢- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

٣- سورة الأعراف الآية رقم ١٢٨، وفى النسخة (أ) كتبت كلمة يورثها "يرثها" وما أثبتناه فى المتن هو الصحيح.

٤- يقصد يوسف باشا ضيا الصدر الأعظم فى عهد السلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثانى، وأصله من جورجيا وعين والياً على " أرضروم" وأرسل قائداً للجيش العثمانى إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها، ثم عين واليا على بغداد فى عهد السلطان مصطفى خان، ولما قامت الحرب ثانية بين العثمانيين والروس، تولى قيادة الجيش فى الروميللى ثم عزل ، و كان أديباً وشاعراً بيد أنه لم يكن واسع الدراية بأمور الحرب وشئون الإدارة فما وفق فى مهمته الحربية فى مصر، ولا فى الأناضول ولا الروميللى ، وتوفى عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م . راجع د/ حسين مجيب المصرى : مرجع سابق ، ص٢٥٣ .

لأرض مصر، إلى أن دخلها مولانا الوزير، فى أوراق غير منظومة فى سلك الاجتماع والاتفاق ، وكثيراً ما كان يخطر ببالى - وإن لم يكن ذلك من شأن أمثالى - أن أجمع افتراقها، وأكسبها بالترصيف اتساقها، ليكون ذلك تاريخاً مطلعاً اللبيب على عجايب الأخبار، وغرايب الآثار ، تذكرة بعدنا لكل جيل ، وإحاطة بهذا الخطب الجليل ، فيتأسى إذا لحقه مصاب، ويتذكر بحوادث الدهر إنما يتذكر أولو الألباب ، فإن هذه الحوادث غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجابها

وكان ممن اعتنى أيضاً بجمع تلك الأخبار ، ونقل غرايب هاتيك الآثار، قطب الفضلا ، تاج النبلا ، ذو الذكاء المتوقد، والفهم المسترشد، الناظم الناثر، الآخذ من العلوم العقلية والأدبية بحظ وافر، صاحبنا العلامة حسن بن محمد الشهير بالعطار[1] نظمنا الله وإياه فى سلك الأخيار، فضممت ما نمقه مع بعض من منظومة ومنثورة بحسب المناسبة إلى هذا السفر، لينتظم معنا فى سلك حسن

١-حسن العطار: ولد الشيخ حسن العطار فى عام ١٧٦٦ م بالقاهرة ، وهو ينتمى إلى عائلة مغربية أصلا، وكان أبوه عطاراً ومن هنا جاءه هذا اللقب ، وكان لوالده مشاركة فى بعض العلوم، وعند مجئ الحملة الفرنسية هرب إلى الصعيد ثم عاد واتصل بهم، واستفاد منهم، وأثناء الحملة اشتغل بالتدريس فى الأزهر، وقد كان من أخص أصدقاء الجبرتى الذى استعان بكثير من أشعاره فى كتابنا هذا "مظهر التقديس" وكذلك في كتابه الآخر "عجائب الآثار" وقد ارتحل فى العديد من البلاد الإسلامية مثل استانبول والشام والتقى بالعديد من علماء هذه البلاد مما أكسبه خبرة كبيرة، وفى عام ١٨٣٠م تولى الشيخ حسن العطار مشيخة الأزهر ، وظل فى هذا المنصب إلى أن توفى سنة ١٨٣٥ م ، والشيخ العطار يعد من أبرز رواد النهضة الفكرية الحديثة فى العالم العربى وله العديد من المؤلفات فى مجالات كثيرة. لمزيد من التفاصيل راجع/ محمد عبد الغنى حسن العطار، دار المعارف ، القاهرة، د. ت ، ص ٢٠ وما بعدها.

الذكر. وسميناه [مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس] (١) وإنا لنرجو ممن اطلع عليه وحل بمحل القبول لديه، ألا ينسانا من صالح دعواته، وأن يغضى عما عثر عليه من هفواته.

مقدمة (٢)

[ص١٣] اقتضت الحكمة الربانية، والأسرار الإلهية ، نصب خليفة به يرتبط للعالم نظامه، وتجرى عليه بحسب مطابقة قوانين الشرع أوامره وأحكامه، إذ النوع الإنسانى بحسب ما أودع فيه من فضيلة العقل، وكمال الحدس، وسر النطق، ما فضل به علي سائر الحيوانات، وامتاز به عن العجماوات والجمادات، وكل لتدبير نفسه فى معاشه ومعاده، واحتاج لمخالطة أبناء جنسه، للتعاون على قضاء اغراضه ولوازمه، ومعلوم أن الأغراض متخالفة ، والعقول متباينة ، والطباع متنوعة. وكل ذلك يستدعي اتفاقاً بين الخلايق فى أمور، وافتراقاً فى أخرى، وإنفاذ غرض عن غرض.

وقد وضع الله الشريعة المطهرة، قانوناً تجرى عليه جزييات الافعال الصادرة عنا، لتنتظم الأفعال كلها فى سلك واحد ولا بد من ذى سطوة وقوة يجرى الناس على تلك القوانين الشرعية، وينتظم به أمر هذا النوع، لئلا يهلك الضعيف بالقوى، ويغلب الشريف على الوضيع، وترجع الناس إلى تحسين عقولها ، والمشى مع أغراضها، وما وافق طباعها، فيختل نظامهم، وتخف أحلامهم، فيلحقون بمهملات

١- هذا هو العنوان الذى اعتمدناه لهذا الكتاب ولم نأخذ بالعناوين المكتوبة على غلاف نسخ المخطوطات المختلفة ولا الطبعات السابقة .

٢-العنوان من وضع المؤلف ولذلك اعتبرنا ما سبق تمهيداً أو مدخلاً وفى طبعة التربية والتعليم حذف هذا العنوان ووضع بدله "لمحة تاريخية " وهو عنوان غير موجود فى جميع النسخ .

البهايم، ورواتعات السوايم . وكان أول خليفة جعل فى الأرض آدم عليه السلام، بمصداق قوله تعالى (إنى جاعل فى الأرض خليفة)(١) ثم توالت الرسل بعده ، لكنها لم تكن عامة الرسالة، بل كل رسول أرسل إلى فرقة ، فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرايع الله بين عباده، وملزموهم بتوحيده وامتثال أوامره ونواهيه ؛ ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم فى الدنيا، وفوزهم بالنعيم السرمدى إذا امتثلوا فى الأخرى.

ثم جاء بعدهم الرسول الكريم، والنبى الأعظم، سيدنا محمد[ص ١٤] صلى الله عليه وسلم، فكان خاتمهم، ، وناسخاً لكل شريعة تقدمته، بل هم فى الحقيقة نوابه بشهادة قوله تعالى(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٢)

فبعث صلى الله عليه وسلم والناس مختلفة فى أديانهم، ضالة عن طريق الحق عكافة على أوثانهم ، فهو الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمره بالصدع به والإعلان، وتطهيره من عبادة الأوثان، وأرجاس الشيطان، وآمن به الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم" وعزروه ونصروه "واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون"(٣) فلم يزل هذا الدين الدين القويم من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو، ويتعالى ويسمو ،

١- سورة البقرة الآية (٢٨) .

٢- سورة آل عمران الآية ٧٩.

٣- سورة آل عمران الآية ١٥٧ .

حتى تم (١) ميقاته، وقربت من النبى وفاته، فأنزل الله(٢) عليه وهو واقف بعرفة آخر وقفة وقفها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٣)

ولما قبض صلى الله عليه وسلم ، قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ثم عمر، ثم عثمان ، ثم على، ولم تَصْفُ له الخلافة بمغالبة معاوية رضوان الله عليهم أجمعين فى الأمر، ويموت على رضوان الله عليه تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :(الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضاً)(٤) وبخلافة معاوية عليه السلام (٥) كان ابتداء دولة [ص ١٥] الأمويين(٦)

١- كلمة" تم" كتبت "تتم" فى النسخة (أ) وما أثبتناه هو الأقرب لاستقامة المعنى.

٢- "الله" غير موجودة فى النسخة(أ)

٣- سورة المائدة الآية ٣.

٤- ورد هذا الحديث فى سنن أبى داود و الترمذى ونصه فى مسند الإمام أحمد : عن سفينة مولى رسول الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك " قال سفينة : أمسك خلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتين ، وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنين ، وخلافة عثمان رضى الله عنه اثنى عشر سنة ، وخلافة على رضى الله عنه ست سنين "مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الفكر ، جـ٥ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

٥- "عليه السلام" غير موجودة فى النسخة (أ) وموجودة فى باقى النسخ .

٦- فى النسخة (جـ) "دولة مونين" ، وهو خطأ ، وقد نجح معاوية بن أبى سفيان فى إقامة الدولة الأموية وتوارث الحكم بين بيت بنى أمية الذين نجحوا فى إقامة دولة عربية غلب فيها العنصر العربى ولكن نشأ فى داخلها "الأحزاب المعارضة" وكان أشدها الحزب الشيعى الذين كانوا يرون الإمامه حق لعلى ولأولاده من بعده فتحالف أتباعهم مع أتباع بنى عمهم العباس فى إسقاط الدولة الأموية، وفى سنة ١٣٢ هـ دخل العباسيون الكوفة ونادوا بأبى العباس خليفة وعهد بدوره إلى عمه عبد الله بقتال"مروان بن محمد" آخر خلفاء الأمويين ونجح فى هزيمته وأجبره على الفرار إلى مصر حيث قتل ، وتتميز الدولة الأموية بأنها كانت دولة عربية ساد فيها العنصر العربى على بقية العناصر د/ جمال الدين الشيال : الدولة العباسية ، دار الكتب الجامعية القاهرة ،١٩٩٧ ، ص ١٨

وانــــقـرضـــت بظـــهور أبى مسلم الخراسانى[1] وإظهـاره دولة بنى العـبـاس وقتل مروان الحمار [2]، فكان أول دولة بنى العبـاس السـفـاح[3] وظهرت دولتهم الظهور التام، وبلغت القوة الزائدة، والضخامة العظيمة، بحيث أنه لم يبق فى زمن الخليفة هارون الرشيد كافر إلا أدى الجزية[4] ثم أخذت فى الانحـــطاط بتـــغلب

١- أبو مسلم الخراسانى : أحد أتباع بنى العباس وكان أكبر الأثر فى نشأة الدولة العباسية حيث نجح فى القضاء على نفوز الامويين فى خراسانمستغلا النزاع بين المصريين واليمنيين واستطاع أن يتولى على "مرو" عاصمة الإقليم ثم زحف إلى العراق حيث طرد الأمويين منه وبايع أبو العباس السفاح بالخلافة واستكمل الحرب ضد الأمويين حتى هزم مروان بن محمد آخر خلفاءهم ونتيجة لفضله الكبير على الدولة العباسية فقد داخله الغرور مما جعل الخليفة العباسى "أبو جعفر المنصور" يتخلص منه خوفاً من طموحه ونفوذه لمزيد من التفاصيل .

راجع:د/ جمال الدين الشيال. مرجع سابق، ص ١٧.

٢- هو مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية وقد بذل جهوداً كبيرة من أجل النهوض بالدولة الأموية وبعثها من جديد ويروى عنه أنه كان لا يكل من العمل حتى لقب "بالحمار" ومع ذلك فإن محاولاته جاءت بعد فوات الأوان وسقطت دولته وقتل على يد أبى مسلم الخراسانى عام ١٣٢هـ

٣- السفاح : هو أبو عبدالله السفاح أول خلفاء الدولة العباسية بويع بالخلافة عام ٧٥٠م وتوفى عام ٧٥٤م ورغم قصرمدة خلافته إلا أنه استطاع أن يثبت دعائم الدولة وفى سبيل ذلك أراق الكثير من الدماء ولذلك لقب بالسفاح.

راجع د/ جمال الدين الشيال مرجع سابق ص ١٨.

٤- بلغت الدولة العباسية أقصى اتساعها فى عهد هارون الرشيد فامتدت من حدود الصين شرقا حتى المحيط الأطلنطى غربا ويؤثر عنه أنه رأى سحابة ذات يوم فخاطبها قائلاً "امطرى حيث شئتى فسوف يأتينى خراجك".

الأتراك وظهورهم وقتلهم المتوكل[1] وتغلبهم على الخلفاء، وضعف أمرهم بالديلم[2] والسلجوقية[3] . ولم تزل منحطة حتى خرج هولاكو فأباد العالم وملك بغداد، وقتل الخليفة المستعصم، وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد[4] وفي مدة

١- يطلق على العصر العباسى الثانى العصر التركى لغلبة هذا العنصر و سيطرته على الجيش والإدارة وهذه العناصر موطنها الأصلى إقليم "تركستان" وأول من أكثر من الترك فى الجيش العباسى هو الخليفة المأمون ثم ولى المعتصم فجعلهم عصبة له وأسقط العرب من الديوان وأصبح جيشه كله تقريباً من الترك وعنى بهم عناية خاصة، وبنى لهم عاصمة جديدة هى مدينة "سامراء" ولكن قوة المعتصم حالت دون طغيان النفوذ التركى الذي ظهر بوضوح عندما تولي الحكم خلفاء ضعاف فاستأثر الأتراك بالنفوذ واحتكروا مناصب الوزارة وقيادة الجند وولاية الأقاليم ثم انفصلوا بأطراف الدولة شرقاً وغرباً حتى أصبحت السمة الأساسية لذلك العصر "عصر الولايات المستقلة .راجع د/ جمال الدين الشيال مرجع سابق ص٨٥ .

٢- الديلم: هي قبائل عاشت فى المنطقة جنوب شرق بحر قزوين، فتحت بلادهم على يد "البراء بن عازب" سنة ٢٤هـ ولكنهم لم يعتنقوا الاسلام إلا بعد مدة طويلة وقد خرجت منهم دول عديدة اكبرها الدرلة البويهية التى مدت نفوذها إلى العراق وسيطرت على الخلافة فى احدى الفترات.

٣- السلاجقه: هى قبائل عاشت فى المنطقة الواقعة شمال بحر قزوين وانتشر الاسلام بينهم وكونوا دولة كبرى مدت نفوذها إلى بغداد فى عهد ملكهم "طغرل بك" سنة١٠٥٦م وكانت دولة السلاجقة من القوة بحيث أن الهزائم التى ألحقتها بالدولة البيزنطية كانت من أهم أسباب الحروب الصليبية لمزيد من التفاصيل. راجع د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحروب الصليبية ، جـ١ ،القاهرة ١٩٨٦م .

٤-اكتسح المغول بقيادة جنكيز خان جهات عديدة من آسيا : فاستولوا على الصين ، وأسقطوا الدولة الخوارزمية وزحفوا بقيادة هولاكو إلى بغداد فدخلها فى ٩ صفر ٦٥٨هـ / ١٥ فبراير ١٢٥٨م ، واستحل جنوده المدينة فنهبوها وأحرقوها وقتلوا كل من صادفوه من سكانها ودام القتل والنهب ٤٠يوماً حتى بلغ عدد القتلى نحو ٨٠ ألف نسخة : راجع د/ السيد الباز العرينى : المغول ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٩ و بعد سقوط الدولة العباسية فى بغداد أحياها الظاهر بيبرس في القاهرة وظل خلفاء بنى العباس يقيمون فيها وليس لهم من الخلافة إلا الاسم حتى غزا العثمانيون البلاد العربية ويقال أنهم تلقبوا بألقاب الخلافة وهم بذلك أول من تلقب بها من خارج قريش ، وظلت فيهم حتى عام ١٩٢٢م عندما ألغاها كمال أتاتورك . لمزيد من التفاصيل راجع: على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم ، هـ. م .ع القاهرة ١٩٩٥م .

ضعف الخلافة تغلب على النواحي كل متملك لها، وانفرد ابن طولون(1) بمملكة مصر والشام، وذريته من بعده، ثم الإخشيد(2) وبعده كافور ممدوح المتنبى ثم قدم جوهر القايد، بعد موت كافور، من قبل المعز (3) ، فملكها من غير ممانع، وأسس القاهرة

١- ابن طولون: جاء أحمد بن طولون إلى مصر للمرة الاولى عام ٢٥٤هـ ٨٦٩م وكيلا عن الوالى التركى "باكباك" الذى عينه الخليفة واليا على مصر فاستقل بها وضم إليها الشام والحجاز واهتم بالجيش والاسطول واقامة العمائر التى من أهمها مسجد أحمد بن طولون وكما انشأ عاصمة جديدة لمصر هى القطائع وقد فشلت الدولة العباسية فى استعادة مصر فى عهد أحمد بن طولون ولكن نتيجة للإسراف الشديد سقطت مصر فى عهد خمارويه على يد القائد العباسى "محمد بن سليمان" الذى نجح في إعادة مصر إلى حظيرة الدولة العباسية عام٩٠٥م راجع د/ سيدة إسماعيل كاشف، حسن أحمد محمود : مصر فى عهد الطولونيين والإخشيديين ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠

٢-الإخشيد: هو "محمد بن طغج الإخشيد" استقل بمصر بعد سقوط الدولة الطولونية بثلاثين عام وخرج بها من حظيرة الدولة العباسية للمرة الثانية وقد خلفه فى حكم مصر ابناه " أبو القاسم" وأبوالحسن على" تحت وصاية "ابو المسك كافور" الذى كان عبدا حبشيا اشتراه الاخشيد وقربه اليه، ورقاه فى المناصب حتى اصبح الحاكم الفعلى بعد وفاة الاخشيد وبعد وفاة كافور تولى "أبو الفوارس أحمد" حفيد الإخشيد وكان صبياً صغيراً لا يستطيع أن يحفظ استقلال الدولة التى كانت تعانى من الأزمات الاقتصادية وانتشار القحط والأوبئة واضطراب الأمن فسقطت مصر فريسة سهلة فى يد القائد الفاطمى جوهر الصقلى د/ سيدة اسماعيل كاشف: مصر فى عصر الإخشيديين مطبعة جامعة فؤاد الأول ،القاهرة، ١٩٥٠، صـ ٥٥

٣- هذه العبارة مرتبكة فى النسخة (جـ) ونصها "وبعده كافور من قبل المغرب فملكها من غير ممدوح المتنبى ثم جوهر القايد من المغرب بعد موت كافورمن قبل المغرب فملكها من غير ممانع" .

والجامع الأزهر(١) وقدم سيده المعز وهو أول الفواطم بمصر، فملكوا نيفاً ومائتين من السنين، إلى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد، وسوء سياسة وزيره شاور(٢) فتملكت الإفرنج بلاد السواحل الشامية وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكى(٣) فبذل همته فى الجهاد واستنقذ منهم عدة من البلاد التى استولوا عليها،

١- الجامع الأزهر: بعد أن دانت مصر "لجوهر الصقلى" القائد الفاطمى عسكر هو وجنده فى الأراضى الرملية الممتدة فى شمال شرقى الفسطاط، وبدأ فى بناء قصر حصين لاستقبال سيده المعز لدين الله الفاطمى وحول القصر وضع حدود العاصمة الجديدة التى سميت القاهرة وفى يوم الأحد ٣ أبريل عام ٩٧٠م وضع جوهر أساس الجامع الازهر الذى تم بناؤه وأقيمت أول صلاة فيه يوم ٢٤ يونيه ٩٧٢ ومنذ عام ٩٨٨م أصبح العلماء يؤمونه من كل حدب وصوب حتى صار ذلك الجامع من أهم الجامعات الإسلامية يجتمع فيه طلاب العلم من الملايو شرقا حتى ساحل الذهب غربا ولكل شعب رواق خاص به، وقد تعرض الجامع للترميم والاصلاح أكثر من مرة واعيد بناؤه على نطاق واسع فى القرن الثامن عشر وأواسط القرن التاسع عشر الميلاديين راجع د/ حسن الباشا : القاهرة تاريخها وآثارها وأيضاً: لين بول استانلى، القاهرة ، هـ. م. ع

٢- شاور: فى عهد الخليفة "العاضد" الفاطمى تولى الوزارة الوزير "ضرغام الذى سمح للصليبيين بالتدخل فى أمور البلاد وذلك للاستعانة بهم على منافسه شاور الذى استعان بدوره بالسلطان "نور الدين محمود زنكى" السجلوقى والذى أرسل جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى وهى الخطوة التى أعقبها سقوط الدولة الفاطمية وإقامة الدولة الأيوبية لمزيد من المعلومات .

راجع: د/ جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية دار المعارف القاهرة ،١٩٩٧م

٣- كان "عماد الدين زنكى" حاكم إمارة الموصل هو أول من أعلن الجهاد ضد الصليبيين الذين تملكوا الشام وكونوا أربع امارات صليبية هى "الرها" و"انطاكية" "وبيت المقدس" و"طرابلس" وقد نجح عماد الدين فى هزيمة الصليبيين والاستيلاء على إمارة الرها فى عام ١١٤٤م مما كان سبباً فى مجئ الحملة الصليبية الثانية ثم ركز "نور الدين محمود" ابن عم عماد الدين زنكى جهوده لإنقاذ مصر من الوقوع فى قبضة الصليبيين الذين انتهزوا ضعف الخليفة وحاولوا الاستيلاء عليها.

وكانت[1] الحـرب بينهم وبينه سـجـالاً وقـد كـانت الإفـرنج فى زمن العـاضـد إلى بلبيس[2] وصلت، ولإقليم مـصـر أرهبت وأزعـجت، وضـربت على أهله . الضرايب ووقعت الحروب بين الفريقين، تكون الغلبة فيها على المصريين لسوء تدبير مشير الدولة، ثم أنه أشار بحرق الفسطاط[3] فأمر الناس بالجلاء عنها[ص ١٦] وأرسل

١- كلمة "كانت" كتبت فى النسخة (أ) "كان" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ.

٢- بلبيس : وهى من المدن القديمة ذكرها"جوتييه" فى قاموسه وقال "أن اسمها القبطى"becok"وردت فى المصادر العربية بأسم بلبيس فى كتاب المسالك "لابن خردانبة" ضمن القرى الواقعة على الطريق من الفسطاط بمصر إلى الرملة بفلسطين قال وبينها وبين الفسطاط ٢٤ميلا وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى ايام العرب تم قاعدة الاعمال الشرقية إلى سنة ١٨٣٢ وفى تلك السنة أصدر "محمد على باشا" أمرا بنقل ديوان المديرية والمصالح الاميرية إلى الزقازيق لمتوسطها بين بلاد المديرية وبذلك اصبحت بلبيس قاعدة لقسم بلبيس الذى أنشئ فيها بدلا من ديوان المديرية من تلك السنة حتى سنة ١٨٧١م سمى مركز بلبيس. لمزيد من المعلومات راجع :محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى الجزء الاول ص ١٠٠.

٣-الفسطاط: بعد أن دانت مصر للمسلمين عام ٦٤١م قام عمرو بن العاص بتأسيس مدينة الفسطاط التى سميت بهذا الاسم نسبة إلى فسطاط عمرو- أى خيمته- وقد ظلت عاصمة لمصر حتى بنى صالح بن على العباسى مدينة العسكر ، ثم بنى ابن طولون مدينة القطائع، فى أقصى الشمال الشرقى بين جبل يشكر وسفح المقطم ، وبعد سقوط الدولة الطولونية دمر العباسيون القطائع واستقروا فى العسكر التى اصبحت جزءا من الفسطاط وفى نفس الاتجاه الشمالى الشرقى أسس جوهر "القاهرة" ومع ذلك فقد ظلت الفسطاط عامرة بأهلها حتى عام ١١٦٨م عندما هاجم عمورى ملك بيت المقدس الصليبى مصر ولما استولى على بلبيس أمر شاور بحرق الفسطاط لإيقاف الزحف الصليبى واستمرت النيران مشتعلة اربعة وخمسين يوما، هذا ولا تزال آثار هذا الحريق واضحة فى ثنايا التلال الرملية جنوبى القاهرة راجع – استانلى لين بول : مرجع سابق

عبيدة بالشعل والنفوط ، فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوماً، وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين الشهيد، وبعث إليه بشعور نسايه، فأرسل إليه جنداً كثيفاً، وعليهم أسد الدين شيركوه (١) وأخوة (٢) الناصر يوسف صلاح الدين، فحصل النصر، وارتحل الإفرنج عن البلاد، وقبض أسد الدين على الوزير وصلبه، ولم يزل هو وأخوه يعملان الحيلة فى المملكة، وإظهار السنة وإخفا البدعة، واستوزر الخليفةُ العاضدُ أسدَ الدين، فتوفى، وأقام عوضة فى الوزارة الناصر يوسف، فبذل همته فى مقصده، وظهر أمره لخليفته، فأثار فتنة فى جنده ليتوصل بها إلى هزيمة الأكراد، وإخراجهم من بلاده، فتعاظم الأمر، وانشقت العصا، ووقعت حروب بين الفريقين، أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاءً حسناً، وانجلت الحروب عن نصرتهما، وخذلان العسكر الفاطمى، فعند ذلك ملك الناصر القصر وضيق على الخليفة ، وحبس أقاربه وأولاده، وقتل أعيان دولته وأخذ أموالهم، واحتوى ما فى القصور من الذخاير والأموال، وصرفها فى الغزو والجهاد ومصالح المسلمين ، وهلك العاضد قهراً، وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وطهر الإقليم من البدع والتشيع

١- عمل أسد الدين شيركوه هو وأخوه نجم الدين أيوب فى خدمة عماد الدين زنكى حاكم الموصل، ثم فى خدمة "نور الدين محمود" ابن عم "عماد الدين زنكى" حاكم الموصل ولما هجم الصليبيون على مصر استنجد العاضد بنور الدين محمود فأرسل اليه"أسد الدين شيركوه" وبعد أن نجح فى طرد الصليبين من مصر ؛ نجح فى التخلص من الوزير شاور، وتولى الوزارة مكانه راجع جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب . تحقيق د/ جمال الدين الشيال مطبعة جامعة فؤاد الاول / ١٩٥٣، ص٧

٢- من الثابت تاريخيا أن "أسد الدين شيركوه" هو العم الأكبر للناصر صلاح الدين الأيوبى، وليس أخوه، وهو خطأ وقع فيه مؤرخنا.

والعقايد الفاسدة . وأظهر عقايد أهل السنة والجماعة[1] وهى عقايد الأشاعرة[2] والما تريدية[3] وبعث إليه أبو حامد الغزالى[4] بكتاب ألفه له فى العقايد، فحمل

١- منذ تولى صلاح الدين الأيوبى الوزارة للعاضد الفاطمى وهو فى موقف غريب فهو وزير لصاحب مصر الخليفة العاضد الفاطمى الشيعى، وهو فى نفس الوقت قائد لجيش نور الدين صاحب الشام السنى فهو موزع الولاء ولكن كان نور الدين يود أن يقوم صلاح الدين بالقضاء على الدولة الفاطمية وقطع الخطبة لاخر خلفائها العاضد ولكن صلاح الدين قام بخطوات تمهيدية لذلك كانت بمثابة تقليم أظافر العاضد وقواد جيشه ثم قام بالخطوة الفعلية يوم الجمعة أول محرم سنة ٥٦٧هـ عندما خطب للخليفة المستضئ بالله العباسى ولم ينكر عليه أحد ذلك ، وفى الجمعة الثالثة أمر صلاح الدين بتعميم الخطبة للخليفة العباسى فى الفسطاط والقاهرة وبذلك انقطع أخر خيط فى حياة الدولة الفاطمية.د/ جمال الدين الشيال:مرجع سابق ، جـ١ ص٢٨

٢- الأشاعرة: ينسب الأشاعرة إلى الأشعرى أبو الحسن على بن أبى بشر ولد سنة ٢٦٠هـ بالبصرة تتلمذ على يد ابو على الجبانى وقد ظل على مذهب الاعتزال لا يفارقه ٤٠سنة وكان ينوب عن أستاذه فى المناظرة وبلغ فى الجدل والمناظرة مرتبة كبيرة وذكر له العديد من التصانيف ولقد تحول الأشعرى عن مذهب المعتزلة ، وحول اسباب هذا التحول يحكى اتباعه قصصا موضوعة الغرض منها اضافة نوع من القداسة علي ذلك التحول وكأنه جاء بأمر إلهى وموافق لما جاء به النبى وأنه تم بأمر النبى الكريم وتحوم حولها العديد من الاساطير المزيد من المعلومات راجع د/ على عبد الفتاح المقرى : الفرق الكلامية الإسلامية ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٥، ص ٢٦٨ .

٣- الما تريدية:تنتسب الما تريدية إلى منصور الماترى ٣٣٢هـ وتسمت باسمه وهو المؤسس للاتجاه الكلامى فى المذهب الحنفى وتلقى على يديه الكثير من التلاميذ والاتباع وامتدت آثار هذه المدرسة فى أنحاء عديدة من البلاد الإسلامية ، بل لقد تأثر ببعض أفكارها بعض المتكلمين من معتزله وأشاعره وغيرهم وامتد آثرها الفكرى للعصر الحديث في آراء الشيخ محمد عبده فى " رسالة التوحيد" خاصة وأن كتب الما تريدية كانت تدرس فى الازهر على عهد الشيخ محمد عبده راجع د/ عبد الفتاح المقرى : مرجع سابق ، ص ٣٢٨ .

٤- أبو حامد الغزالى: ولد الإمام أبوحامد الغزالى فى "غزالة" إحدى قرى طوس عام ١٠٥٨م وتوفى عام ١١١١م وقد قضى الغزال فترة قصيرة من حياته فى طوس ثم انتقل إلى نيسابور حيث التقى بامام الحرمين"ابى المعال الجوينى" فتتلمذ عليه ودرس الفلسفة والمنطق وتعلم الجدل وكان له مكانه كبيرة فى عصرهوما زالت كتبه حتى الان تدرس ومنها "الفلسفة والأخلاق "و"مقاصد الفلاسفة "وتهافت الفلاسفة "و"الاقتصاد فى الاعتقاد" و"المنقذ من الضلال" ثم "إحياء علوم الدين" د/ محمد عزيز نظمي سالم:الفكر السياسى والحكم فى الإسلام – شباب الجامعة الاسكندرية ، ص ١٥٥ .

الناس على العمل بما فيه، ومحا من الإقليم مستنكرات الشرع، وأظهر الهدى .

ولما توفى[1] نور الدين الشهيد انضم اليه ملك الشام، [ص ١٧] وواصل الجهاد، وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس[2] وحارب من خالفه من ملوك الأطراف واتسع ملكه، وافتتح الفتوحات الكثيرة، وأخذ البلاد الفراتية وديار بكر وغيرها، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى، وأنفق جميع ماله فى الغزو حتى قيل أنه لم يترك إلا أربعين درهماً، ولما مات استقر الأمر لأولاده وأولاد أخيه الملك العادل ، وحضر الفرنج أيضا إلى

١-كلمة "توفى" كتبت فى النسخة (ب) "تولى" والصحيح ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ ومعنى العبارة أنه لما توفى نور الدين انضم ملك الشام إلى صلاح الدين فى مصر.

٢- منذ تولى صلاح الدين الحكم فى مصر بذل قصارى جهده لإخراج الصليبين من المشرق فلما اتصل به نبأ اغارة "رينو دى شاتيون " صاحب حصن الكرك على سواحل بلاد الحجاز وقطعة طريق الحج وأخذه بعض قوافل المسلمين وهم فى طريقهم لبيت الله ؛ أغار صلاح الدين علي الولايات الصليبية ، وهزم الصليبين هزيمة منكرة فى موقعة حطين القريبة من طبرية سنة ٥٧٩هـ/١١٨٧م ثم أخذ يطاردهم حتى استولى على حصن طبرية بعد قليل ولما فرغ من طبرية واصل زحفه حتى بلغ عكا فحاصرها واستولى عليها ثم وقعت في يده نابلس والرملة وقيسارية وارسوف ويافا وبيروت كما سقطت ايضا صور وطرابلس وعسقلان وبذلك أخذ صلاح الدين يعد العدة لاسترداد بيت المقدس ونجح فى ذلك لأن سكانها من الصليبين بعدما رأوا ما آلت اليه أحوال المدن الصليبية المحيطة بالقدس وانتصارات صلاح الدين عليها ؛ تحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك اليه فطلبوا الأمان وفتحت القدس فى٢٧رجب ٥٨٣هـ .

راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان .

مصر فى أيام الملك الكامل بن العادل[1] وملكوا دمياط وهدموها، فحاربهم شهوراً حتى أجلاهم، وعمرت بعد ذلك دمياط، هذه الموجودة الآن فى غير مكانها، وكانت تسمى بالمنشية[2] وحضروا أيضا فى دولة الملك الصالح نجم الدين أيوب الكردى [3] من أولاد العادل، فملكوا دمياط أيضا، وزحفوا إلى

١- بعد وفاة صلاح الدين تولى الحكم أخيه العادل الذى حافظ على وحدة البلاد واستمر يناضل ضد الصليبين، وعندما كان فى الشام جاءت الحملة الصليبية الخامسة بقيادة" حنادى بريين" فى أسطول ضخم وجيش جرار ونجحوا فى الاستيلاء على دمياط فى عام ١٢١٩م فعسكر الكامل الذى كان ينوب عن والده فى حكم مصر عند الموضع الذى سمى المنصورة وفى اثناء ذلك توفى العادل كمداً وتولى الكامل الذى نجح فى حصار الصليبين مستغلا الفيضان فطلبوا الصلح لما ايقنوا بالهلاك وهكذا تم جلاء الصليبين عن دمياط دون قيد أو شرط فى عام ١٢٢١م وفشلت الحملة الصليبية الخامسة. لمزيد من التفاصيل راجع سعيد عبد الفتاح عاشور : اوروبا العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م جـ١، ص ١١.

٢- المنشية:أحيط تاريخ دمياط القديم وتسميتها بالكثير من الغموض ولكن الثابت هو أنها كانت إحدى أهم موانئ مصر على البحر المتوسط فى خلال العصر الإسلامى وظلت دمياط تمثل ميناء هاماً فى القرن الثامن عشر الهجرى حيث وصفها سافارى الذى زارها سنة ١٧٧٩م بأنها مدينة كبيرة بها حوالى ثمانية الاف نسمة ولها ضواحى عدة منها المنشية وهى ذات اسواق حافلة بالبضائع ووكائل وخانات رحبة بها بضائع الشرق والغرب.راجع د/ عبد الحميد حامد سليمان : تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى هـ. م .ع القاهرة ١٩٩٥م ص ١٨

٣- نجم الدين أيوب الكردى: خلف الملك الكامل على عرش مصر ابنه العادل الثانى ولكنه كان طفلا غراً وليس له صفات أبيه، وقد تمكن أخوه الصالح نجم الدين أيوب من خلعه فى سنة ٦٣٧هـ ١٢٤٠م وسجنه بالقلعة ثم قتله بعد قليل ولذلك فالصالح من اولاد الكامل وليس العادل كما يقول مؤرخنا ، وكان الصالح شخصية قوية تعيد إلى الأذهان شخصية جده العادل الاول وشخصية أبيه الكامل، وقد شهد عصر الصالح حدثين خطيرين: اولهما: حركات المغول نحو الشرق الأدنى وثانيهما حملة لويس التاسع على مصر ولكنه أخذ يشترى المماليك حتى انهم استطاعوا بعد ذلك القضاء على ابنه توارن شاه وتأسيس الدولة المملوكية د/ جمال الدين الشيال مرجع سابق جـ١ .

فارسكور[1] واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهراً وهو مريض، وانحصر جهة الشرق، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة[2] وثقل مرضه ومات ، وأخفت زوجته شجر الدر[3] موته ، ودبرت الأمور حتى حضر ولده توران

١- فارسكور: قاعدة مركز فارسكور وهى من القرى القديمة ، وردت فى نزهة المشتاق باسم فارسكور ووردت فى نسخ أخرى منها محرفة باسم فارسكر وفارسكو وقال وهى على الضفة الشرقية من الخليج ووردت فى معجم البلدان باسم الفارسكر قال : وهى من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية وفى قوانين ابن مماتى فارسكور من أعمال الدقهلية وفى تحفة الإرشاد فارس كور ، وفى التحفة فارسكور من أعمال الدقهلية والمرتاجية ، ولما أنشئ قسم فارسكور سنة ١٨٤٠ اصبحت فارسكور قاعدة له ومن سنة ١٨٧٠ سمى مركز فارسكور وهى الآن تابعة لمحافظة دمياط راجع . محمد رمزى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية هـ. م. ع القاهرة ١٩٩٤ ، القسم الثانى الجزء الاول ص ٢٤١ .

٢- المنصورة : أنشأها الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب فى سنة ١٢١٩م عندما احتل الفرنج مدينة دمياط ، وقد جعلها الكامل منزله لعسكره وسماها المنصورة تفاؤلا بانتصاره على الصليبين وأول من كتب من الجغرافيين عن المنصورة هو ياقوت الحموى فقد ذكرها فى معجم البلدان الذى كتبه بعد إنشائها بست سنوات وأصبحت المنصورة قاعدة لإقليم الدقهلية منذ عام ١٥٢٧م عندما أصدر سليمان باشا الخادم امرا بنقل ديوان المحكمة من بلدة اشمون الرمان الى مدينة المنصورة لتوسطها بين الاقليم وحسن موقعها علي النيل وبذلك اصبحت المنصورة عاصمة اقليم الدقهلية ومقر دواوين الحكومة من تلك السنة إلى اليوم محمد رمزى القاموس الجغرافى القسم الثانى الجزء الأول ص ٢١٥ .

٣- شجر الدر: هى أم الخليل التركية ، من حظايا الملك الصالح وكان ولدها منه خليل مات صغيرا ، ولم تكن تفارق زوجها لشدة محبته لها ، ملكت الديار المصرية بعد مقتل توران شاه، وضربت السكة باسمها وعملت على المناشير مدة ثلاثة أشهر، تزوجت عز الدين أيبك التركمانى ، وتولى السلطنة ، ولكن غارت عليه عندما علمت بنبأ استعداده للزواج من بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فتحايلت عليه حتى قتلته فتمالأ عليها مماليكه المعزية فقتلوها وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام ثم نقلت إلى تربة لها بالقرب من قبر السيدة نفيسة رحمها الله ابن كثير مصدر سابق ، جـ١٣، ص ٣٤ .

شاه(1)من حصن كيفا(2) وكانت الكفار قد انهزمت قبل مجيئة شر هزيمة وأسر ملكهم (3) وكانت الفرنج هم طايفة الفرنسيس.

والملك الصالح أول من اشترى المماليك وأمّرهم بمصر، وبنى لهم قلعة الروضة (4) وأعدهم للجهاد، وسماهم المماليك البحرية، وبعد هزيمة الفرنج استوحش المماليك من ابن سيدهم فغدروه وقتلوه ، وآل الأمر لتملكهم فكان أولهم أيبك التركماني ، ولما مات ولوا ابنه المظفر علي ، فوقعت حادثة التتار ، فخلع المظفر لصغره وتولى قطز(5) فحارب التتار وظهر عليهم بعد أن

١-توران شاه : عندما توفى الملك الصالح أخفت زوجته شجرة الدرمونه وأظهرت أنه مريض لا يوصل اليه وبقيت تعلم بعلامته وأعملت إلى أعيان الامراء فأرسلوا إلى ابنه الملك توران شاه وهو بحصن كيفا فأقدموه إليهم سريعا ولما قدم عليهم ملكوه عليهم وبايعوه أجمعين ولكن قتله الأمير عز الدين ايبك فضربه فى يده فقطع بعض أصابعه فهرب الى قصر من خشب فى المخيم فحاصروه فيه وأحرقوه عليه فخرج من بابه مستجيرا برسول الخليفة فلم يقبلوا منه فهرب إلى النيل فانغمر فيه . ابن كثير مصدر سابق ، جـ١٣، ص ٢١٠ .

٢- حصن كيفا : هو حصن فى العراق .

٣- الحقيقة أن هزيمة الفرنسيين وأسر ملكهم لويس التاسع تم على يد توران شاه فى قرية ميت الخولى عبد الله القريبة من فارسكور وليس كما يذكره مؤرخنا أنه تم قبل مجيئه من حصن كيفا وكل ما حدث قبل مجيئه هو ارتدادهم عن المنصورة.

٤- قلعة الروضة: انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بجزيرة الروضة فى سنة ٦٣٨هـ-١٢٤٠م وقد انفق فى عمارتها اموالا كثيرة حيث بنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبنى بها جامعا، ثم اتخذها دار ملك وسكن فيها بأهله وحرمه واسكن فيها معه مماليكه البحرية وقد اندثرت هذه القلعة وقد شغلت مساحة من الارض لا تقل عن ٦٥ فدان. د/ عبد الرحمن زكى: موسوعة مدينة القاهرة فى الف عام . الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٢١٥.

٥- قطز: كان أنبل مماليك المعز أيبك ويقال أنه ابن أخت خوارزم جلال الدين وأنه حر واسمه "محمود بن ممدود" ، وبعد مقتل المعز تولى ابنه المنصور ، وكان صغيرا فخلعه ونفاه هو وأمه إلى بلاد "الاتكرى" وقبض على عدد من الامراء وهزم التتار فى "عين جالوت" ، ويذكر أنه يوم عين جالوت لما رأى انكشافاً فى المسلمين رمى الخوذة من على رأسه وحمل ونزل الميدان وهو يقول "وإسلاماه". قتل فى ذى القعدة ٦٥٨هـ/ ١٢٦١م . وكان شاباً أشقراً وافر اللحية تام الشكل.الامام شمس الدين الذهبى :سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢ جـ١٨

كـانوا ملكوا[ص ١٨] بغداد، ومعظم المعمور من الأرض ، وقهروا كل ملك، ثم تولى الظاهر بيبرس أبو الفتوحات البندقارى وأولاده (١) ثم الملك المنصور صاحب الخيرات قلاوون الألفى وأولاده(٢) منهم الأشرف خليل، والملك الناصر محمد وطالت مدته، وتولى من أولاده بمصر اثنا عشر سلطاناً، وفى أيام ابن ابنه الملك الأشرف شعبان بن حسين، حضرت الفرنج إلى الاسكندرية على حين غفلة، وملكوها ونهبوا اموالها وأسروا نساءها، ووصل الخبر إلى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره، فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها، ولهذه الواقعة تاريخ اطلعت عليه فى مجلدين ويقال أن الفرنساوى الذى يكون فى أذنه قرط.أمه أصلها من

١- بيبرس البندقدارى: بعد موقعة عين جالوت وفى أثناء عودة المظفر قطز إلى مصر قام عليه بعض الأمراء عند الصالحية بقيادة بيبرس وقتلوه وتولى بيبرس خلفه وكان حازماً شجاعاً حارب التتار عندما حاولوا العودة إلى الشام مرة أخرى وانتصر عليهم فى عام ١٢٧٧م ومنعهم من التحالف مع بقايا الصليبيين فى الشام ، كما تحالف مع مغول القبجاق [القبيلة الذهبية] وتزوج ابنةزعيمهم المدعو "بركة خان" الذى أسلم وأسلمت معه قبيلته ، وقد استطاع بيبرس بهذا التحالف القضاء على أطماع مغول فارس فى الشام كما تفرغ بعد ذلك للصليبيين واستولى على أكبر إماراتهم بالشام وهى إمارة أنطاكية . قام بالعديد من الإصلاحات وأحيا الخلافة العباسية فى مصر كذلك أقام العديد من العمائر التى ما زالت باقية حتى الآن.ابن كثير : مصدر سابق ، جـ ١٣، صـ ٢٦٠ .

٢- قلاوون الألفى وأولاده: لم يؤمن المماليك إطلاقاً بمبدأ الوراثة فى الحكم فالأمراء جميعاً سواء والحكم للأقوى وفى بعض الأحيان كان المماليك يظهرون جزءاً من الوفاء للسلطان الراحل فيعينون ابنه بعده سلطانا ، ولكن لا تلبث أن تنقشع الغيوم وتزول صدمة الموت وعند ذلك يدرك المماليك أن هذا الوضع غير طبيعى ولم يحدث طوال فترات الحكم المملوكى أن ظلت السلطنة فى بيت واحد مدة طويلة باستثناء بيت قلاوون الذى حطم تلك القاعدة والذى يعتبر مثلاً فريداً فى تاريخ المماليك لبقاء الحكم فى بيت واحد أكثر من قرن ١٢٧٩/ ١٣٨٢م ويرجع ذلك للعديد من الظروف التى أحاطت بالبيت ويعطى أفراده فضلا عن البلاد راجع د/ سعيد عبد الفتاح عاشور:العصر المملوكى فى مصر والشام،الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٩٤، ص ١٠٦

النساء المأسورات فى تلك الواقعة (١)

ثم كانت دولة الجراكسة(٢) وأولهم الملك الظاهر برقوق العثمانى من مماليك الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون فاستمر (٣) الملك فيهم وفى بيتهم إلى أن كان آخرهم الملك الأشرف قانصوه الغورى فلم يزل فى الملك إلى أن كان ما كان بينه وبين السلطان الأكبر، والملك الأفخم، السلطان المجاهد المغازى، قامع كل عدو، وله على مخالفته مجازى، مولانا السلطان سليم خان (٤)ووقع بينه وبين الأشرف

١- كتبت "الوقعة" فى النسخة (أ) وفى النسخة (جـ) كذلك وفى طبعة لجنة البيان العربى كتبت هذه العبارة هكذا "الفرنساوية التى يكون فى أذنها قرط أصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة " .

٢-الجراكسة: ينسب الجراكسة إلى إقليم جركسيا الذى يطل على الساحل الشمالى الشرقى للبحر الأسود والذى ظل مورداً للرقيق الأبيض للعالم الإسلامى قروناً عديدة وقد تأثرالجراكسة بطبيعة بلادهم الجبلية الباردة ، التى تتخللها السهول الخصبة والمروج الخضر وكانت أجسام الجراكسة بصفة خاصة والشعوب القوقازية بصفة عامة تتميز بالقوة وتمام النمو وشدة الاحتمال وجمال المنظر والسلطان المنصور قلاوون هو أول من استقدم المماليك الجراكسة وأشرف بنفسه على تدريبهم على السلاح وأسكنهم بجواره فى أبراج القلعة ولذلك اطلق عليهم اسم المماليك البرجية لمزيد من التفاصيل راجع:عماد أحمد هلال : الرقيق فى مصر فى القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب المنصورة ١٩٩٦ .

٣-كلمة " فاستمر" كتبت فى النسخة (ب) هكذا "واستمر"

٤-السلطان سليم خان: ابن السلطان بايزيد استطاع خلع والده عن الحكم عام ١٥١٢م بمساعدة الانكشارية وقد ابدى سليم منذ بداية حكمة ميلا الى سفك الدماء وخوض المعارك لذا فقد خاض العديد من المعارك ووسع الدولة العثمانيةفى المشرق الإسلامى وعلى حين أنه اتصف بالحيوية الذهنية والجسدية فانه كان لا يبدى اكتراثا بالمباهج الحسية ويؤثر عليها الصيد ولم يكن ينام الا قليلا ممضيا قسطا طويلا من الليل فى الدراسات الادبية راجع /د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى: اصول التاريخ العثمانى ، دارالشروق ، القاهرة ١٩٩٣، ص ٧٦ .

الغورى ماهو مسـطر فى محله[1] ولما استقر أمره بملك مصر عفى[2] عن الكثير من الجراكسة وأبنائهم، ورتبت الخيرات والعلوفات[3] وقرر مرتبات

١-لمزيد من المعلومات عن هذه الأحداث راجع محمد بن أحمد بن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور تحقيق محمد مصطفى ، هـ.م.ع القاهرة ١٩٧٦ ، وانظر أيضاً أحمد بن زنبل الرمال: واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ، تحقيق عبد المنعم عامرهـ.م.ع ١٩٩٧، وأيضاً : محمد بن أبى السرور البكرى: الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة تحقيق عبد الرازق عيسى ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ١٩٩٧.

٢-عمل السلطان سليم بعد استقرار أحوال البلاد لصالحه على الاستفادة من المماليك فى الإدارة المحلية وذلك بحكم خبرتهم الطويلة فى هذا المجال كما عمل على تكوين أوجاق الجراكسة منهم .

٣- العلوفات : هى المرتبات النقدية التى يأخذها أعضاء الأوجاقات العسكرية العثمانية وظهرت فى الوثائق إشارات إليها وأُربابها من مختلف العناصر وكانت تباع العلوفات على أيدى دلالين من رجال الأوجاقات المختلفة ، ولقد أدت زيادة بيع العلوفات إلى إقبال أهل الحرف من أصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شرائها لتكون مورداً هاماً لتحسين أوضاعهم ، ولقد انتسب أرباب العلوفات إلى مختلف الأوجاقات ، دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى ، وهم ينتمون إلى فئات اجتماعية مختلفة.
د/ عراقى يوسف محمد : الوجود العثمانى المملوكى فى مصر، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

الأوقـــاف وغـــلال الحـــرمـــين والأنـــبـــار(١) ورتبـت عـــلوفـــات الأيـــتـــام والمـــشـــايخ (٢) المتـقـاعـدين، ومـصـارف القلاع والمرابطين، وأبطل المظالم، ورفع المكوس والمغارم ، وغير ذلك مما تقصر عنه العبارة، [ص١٩] ويعلم بعضها من المعنى والإشارة، حتى قيل أنه لم يصحب من مصر شيئاً سوى اكتساب جميل الذكر ونفاذ الهمة واتساع الملكة:

"شعر" (٣)

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ولما انتقل إلى رحمة مولاه، وتولى بعده الملك الأعظم، والخاقان الأفخم،

١- الأنبار: كان هناك مبنى يتبع خزينة مصر يسمى مبنى "الأنبار أمين" ويعنى المخازن السلطانية للمواد العينية، وكان يشار إليه احيانا باسم "الشئون السلطانية" أو "العنبر" وكانت تلك الأنبار مكونة من مخزنين كبيرين على شاطئ النيل فى مصر القديمة ، وينسب بناء هذه المخازن إلى سيدنا يوسف ولكنها أخذت اشكالا مختلفة على أيدى آلاف الحكام الذين اتبعوه ، ولقد عرف مدير الشئون السلطانية أو الأنبار الأميرية فى مصر العثمانية بلقب "أمين الأنبار الشريفة " ، وكان مختصاً بحفظ الإيرادات النوعية للخزينة وفى القرن السادس عشر كان أمين الأنبار يرسل من استانبول ثم اصبح يؤخذ من بين ضباط فرقة الجاويشان فى مصر ثم سيطر البكوات المماليك على هذا المنصب كغيرة من المناصب الإدارية الهامة فكان يشغله واحد منهم حتى أواخر العهد العثمانى . وكان لامين الانبار سلطة إدارية أعظم من سلطة الخازندار ، فقد كان أمين الأنبار يحصل على إيرادات نوعية هامة من المدفوعات النوعية التى يقدمها الاشخاص المقرر عليهم تقديمها للشئون السلطانية لمزيد من المعلومات راجع د/ ليلى عبد اللطيف :الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٨، صـ ٣١٤ وما بعدها. جدير بالذكر أن الأنبار فى اللغة العربية تعنى أهراء الطعام كما تعنى بيت التاجر الذى يضع فيه متاعه . راجع "لسان العرب" ، جـ٦ ، ص٤٣٢٤ .

٢- فى النسخة (د) (المشائخ) وهذه هى المرة الأولى التى تكتب فيها هذه الكلمة بالهمزة وهى ليست من أسلوب الجبرتى ، ولعل الناسخ تعمد كتابتها بهذا الشكل .

٣- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

صاحب المناقب المشهورة، والمآثر الحميدة المنشورة، حضرة السلطان المغازى سليمان،(1) عليه الرحمة والرضوان، فأسس القواعد ، وتمم المقاصد ونظم الممالك وآثار الحوالك ورفع منار الدين، وأخمد نيران الكافرين ، وسيرته الجميلة غنية عن التعريف،وتراجمه مشحونة بها التصانيف، ولم يزل هذا شأنهم، أدام الله أيامهم، من عهد جدهم الأعلى غازى عثمان، دائما إن شاء الله تعالى لآخر الزمان،باقية دولتهم، قائمة دعوتهم، قوية شوكتهم وافرة حرمتهم، نافذة سطوتهم، مفروضة طاعتهم، فإنهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفا المهديين ، وأشد من ذب عن الدين ، وأعظم من جاهد فى المشركين ، فلذلك اتسعت ممالكهم، بما فتحه الله على أيديهم وأيدى نوابهم ، وملكوا أحسن المعمور من الأرض ، ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض هذا مع عدم اغفالهم الأمور، وحفظ النواحي والثغور، وإقامة الشعائر الاسلامية، والسنن المحمدية وتعظيم العلما وأهل الدين ، وخدمة الحرمين الشريفين(2) والتمسك فى الأحكام والوقايع، بالقوانين والشرايع، فتحصنت

1- السلطان سليمان: اتفق المؤرخون أنه ولد فى غرة شعبان سنة ٩٠٠هـ ٢٧ أبريل ١٤٩٥م وهو عاشر سلاطين آل عثمان، تولى الحكم فى ٢٩ سبتمبر ١٥٢٠م وقام بالعديد من الفتوحات أهمها فتح جزيرة "رود س" لتكون حلقة اتصال بين مصر واستانبول، وأكد السلطان حماية أرواح وأملاك وشرف الأشخاص أيا كانت عقائدهم، نظم سليمان الضرائب، وفرض على الجنود أن يدفعوا ثمن ما يستولون عليه وهم فى طريقهم إلى الجبهة وعمل على إعادة تنظيم الإدارة وجعل الكفاءة أساسا للتعيين والترقية.محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق د/إحسان حقى دار النفائس، بيروت ، ط١، ١٩٨٨، ص١٠٦ .

2- يذكر المؤرخ محمد بن أبى السرور البكرى فى ذلك قوله: وقد أبقى مولانا السلطان سليم خان الصداقات بمكة المشرفة من جهة الديوان العالى، ومن جهة اوقاف الحرمين بمصر وهى التى يقال لها الصرالمكى ولا زالت سلاطين آل عثمان خلد الله ملكهم إلى آخر الزمان يزيدوها إلى الآن. راجع محمد بن أبى السرور البكرى الروضة مصدر سابق ص ٧٨ .

دولتهم، وطالت مدتهم، وهابتهم الملوك ، وانقاد لهم المالك والمملوك. وقد استمر ملك مصر متشرفاً بانتظامه فى ممالك الدولة العثمانية ، أبقاها الله تعالى إلى وقتنا [ص ٢٠] هذا، ومن فيها من الحكام فنوابهم وخدامهم .

ثم إن من اطلع على التواريخ وطالع أخبار الدول، يرى أن كل دولة لابد أن يتحقق فيها شئ من البدع يخالف الشرع، فإن فى دولة الأمويين كان يسب سيدنا على على المنابر(١)،حتى أبطله عمر بن عبد العزيز، وجعل بدله فى الخطبة(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٢) وفى دولة العباسيين ظهر القول بخلق القرآن(٣) وامتحن بسبب ذلك كثير من العلماء وأعاظم المجتهدين، حتى بطل فى زمن الواثق(٤) وأما دولة الفواطم فكانت كلها بدعاً ومساوى، وكذلك كل دولة آل عثمان أبقاها الله عن كل من هذين، وهذه منقبة مختصة بملكهم، وكذلك لم تزل قوتها متزايدة، وعماد قواعدها إلى ذروة العز والشرف متصاعدة

١- فى النسختين (جـ) و(د) كتبت "سيدنا على المنابر"

٢- سورة النحل الآية ١٩٠.

٣- فى النسخة (ب) كتبت "بخلق الرحمن "وهو خطأ من الناسخ .

٤-فى العهد العباسى الأول حدثت نهضة فكرية وترجم المسلمون التراث الفلسفى اليونانى ووضعوا أصول علم الكلام واستخدموه لمجادلة الفرق الإسلامية بعضها لبعض ، ولا سيما في مسألة القرآن وهل هو مخلوق أو قديم، ومال المأمون إلى ما ذهب إليه المعتزلة لأنه أكثر حرية واعتماداً على العقل فقرب أتباع هذا المذهب إليه ومن ثم اصبحوا ذوى نفوذ فى قصر الخلافة ببغداد ، ووافقهم فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق وعهد إلى تسخير قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق القرآن وكانت أزمة كبيرة مرت بها الدولة الإسلامية راجع د/ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام دار الجيل، بيروت، جـ٢ ، ص٢٧٤ .

"شعر" (١)

ويزيدها مَرُّ الليـالى جـدة وتَقَادُم الأيامُ حسـن شباب

أيدها الله بأسـود أجناد، أينمـا سلكوا ملكوا، وباءوا بالغنايم التى أثمـرها النصر والعدو ضعيفاً تركوا، ولم يتفق أنه من حين تملكهم لمصر تطرق إليها شر وأشرار، أو إلى الدخول فيها عصابة كفار، سوى هذه الحادثة التى وقعت، ولكنها غير قادحة فى محاسن حيازتهم، وضخامة صيانتهم، وقوة شوكتهم، وسرعة نصرتهم، فإن المقضى واقع، والمقدر ليس له دافع، وما زالت الأيام تأخذ وتعطى، وسهام التدبير تصيب وتخطى، والحروب سجال، والمقدور بآجال(٢) والعبرة فى الأمور بعواقبها، وكانت العاقبة لكونها للمتقين بحمد الله حميدة، وقد مضت والشكر لله الأيام المنحوسة، وأقبلت الأيام السعيدة:

شعر" (٣) [ص ٢١]

سعد الزمان وساعد الإقبال ودنى (٤) المنى وأجابت الآمال

على أن ما وقع من هؤلاء الأشرار، وخسرة الكفار، خلسة مغافل، وغدر عدو جاهل، وسارق وجد أبواب الدار مفتحة فدخلها، ولو كان ثم حارس لما سلكها، وقد أقشعت سحابة (٥) صيفهم، وتدفق عليهم من عارض ما توسموه شآبيب حتفهم، (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) (٦) (وأصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين). (٧)

١- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (ب).

٢- يلقى الجبرتى بمسئولية الغزو الفرنسى على القدر وفى موضع آخر يحمل المماليك المسئولية، ولكنه فى عجائب الاثار لا يجد حرجاً فى التصريح بأن المثولية يتحملها العثمانيون وحدهم

٣- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (ب)

٤- الصواب "ودنا".

٥- فى النسخة (د) "وقد أشعة سحابة صيفهم"

٦- سورة "الأعراف" الاية ١١٩.

٧- نص الآية [فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين] سورة المائدة الآية ٥٢.

يوميات سنة ١٢١٣هـ

شهر المحرم: (١)

(فصل): -(٢)وأول شرح القضية : أنه في يوم الأحد العاشر من شهر حرم الحرام افتتاح سنة ثلاثة عشر(٣)ومايتين وألف(٤) وردت مصر مكاتبات على السعاة من ثغر الأسكندرية(٥) مضمونها أنه(٦) في يوم الخميس ثامن الشهر

- العنوان من وضع المحققين: وعند إعادة الجبرتي يوميات هذه السنة في كتابه"عجائب الآثار" أضاف الفقرة التالية "**سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف** وهى أولى سنى الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالي المحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب "وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون" عجائب الآثار جـ٣، ص ٢ .
- كلمة "فصل" غير موجودة في النسخة (ب)وموجودة في باقي النسخ .
- هكذا في الأصل والصواب " ثلاث عشرة ".
- يوم الأحد ١٠ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ يونيو١٧٩٨م.
- ثغر الأسكندرية: كانت الأسكندرية إحدى أهم موانئ مصر على ساحل البحر المتوسط في العصر الإسلامي وذلك لكونها تقع على مسافة متساوية تقريبا من اليونان واسيا الصغرى وسوريا والساحل الشرقي للبحر المتوسط مما أهلها لاجتذاب تجارة البحر الإدرياتي وبحر إيجه والبحر الأسود فضلاً عن بلاد الحوض الشرقي للبحر المتوسط وقد اتصلت الأسكندرية بالنيل عن طريق ترعة شديا القديمة التي عرفت بعد ذلك باسم الخليج الناصرى وقد تأثرت الأسكندرية تأثراً شديد بتحول تجارة الهند إلى أوروبا عبر طريق رأس الرجاء الصالح وشيئا فشيئا بدأت الاسكندرية في استعادة شطرا من هذه التجارة الا أن ذلك لا يقارن بمكانتها القديمة في العصر الاسلامي ولقد وصفها سوينتي الذى زارها في القرن الثامن عشر بقوله"مدينة يبلغ عدد سكانها حوالي خمسة الآف نسمة تأتيها التجارات من كل اقطار الشرق والأقطار الأجنبية مما جعلها مركز للتجارة ويتنوع فيها السكان واللغات والأزياء ففيها خليط من الناس بين أتراك وعرب وافرنج تضبح بهم شوارعها الصاخبة" وقد ازدهرت المدينة في القرن التاسع عشر بعد قيام محمد على بحفر ترعة المحمودية لإمدادها بالمياة العذبة وإربطها بالنيل مما أدى لتضاعف سكان المدينة عدة مرات حتى أصبحت ثاني سكان القطر المصرى بعد القاهرة . لمزيد من التفاصيل راجع د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٢ وراجع أيضاً جابرييل بير : دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة ، ترجمة د/ عبد الخالق لاشين ، مكتبة الحرية الحديثة ، ١٩٧٦، ص ٢٧٥ وما بعدها .
- كلمة "أنه" كتبت "أن" في النسخة (أ) وما أثبتناه بالمتن من باقي النسخ هو الأصوب.

المذكور[١] حضر إلى الثغر عشر مراكب من مراكب الإنكليز[٢] ووقفوا على البعد بحيث يرونهم أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً أخرى[٣]فانتظر أهل الثغر ما يريدون، وإذا بقايق [٤] صغير واصل من عندهم، وفيه عشرة أنفار، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد، والرئيس إذ ذاك فيها، والمشار إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتي ذكره، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم، فأخبروا أنهم إنكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس، لأنهم خرجوا بعمارة[٥] عظيمة يريدون جهة من الجهات، ولا ندرى أين قصدهم.فربما دهموكم فلا

١- ٨ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ يونيو١٨٩٨م وهو يوافق يوم الجمعة وليس الخميس كما يذكر مؤرخنا، أما إذا كان الجبرتي يقصد يوم الخميس ٧ محرم فهو يوافق ٢١ يونيو ١٧٩٨م.

٢- كلمة"الإنكليز" من النسخ (ب) ،(د) و عادة تكتب هذه الكلمة بالكاف عكس النسخ (أ)، (ج) التى تكتبها بالجيم دائما ، وقد فضلنا أن نكتبها بالكاف لأنها تطابق مصطلح الفترة الزمنية.

٣- كلمة"أخرى"كتبت "أيضا" فى النسخة (أ) .

٤- القايق: من المصدر التركى (قايمق) بمعنى الانزلاق ، والقايق هو القارب الصغير يجرى فى الماء بالمجاديف أو بالشراع. راجع د/ أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد فى الجبرتى من الدخيل، دار المعارف ١٩٧٨، ص١٦٤.

٥- ظنت انجلترا أن فرنسا عقدت عزمها على غزوها فى جزيرتها وأنها أعدت لهذا الغرض أسطولها فى الأقيانوس وأن استعداداتها فى ثغور البحر الأبيض المتوسط كان الغرض منها إمداد ذلك الاسطول عن طريق بوغاز جبل طارق ولذلك شددت مراقبتها على موانى فرنسا وتعقب أسطول فرنسا فى الأقيانوس ومواصلة حصار أسطول أسبانيا فى قادس، وعهد اللورد "سان فنسان " إلى الأميرال "نلسن" بأن يتجول فى البحر المتوسط لمراقبة حركات الأسطول الفرنسى به وجاء إلى الأسكندرية فى الفترة ما بين ٢٢إلى ٢٥ يونيو. ولكنه لم يعثر على الفرنسيين إلا بعد نزولهم إلى البر راجع عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية، دار المعارف، القاهرة، جـ١ ص٨٢ ..

تقدرون(١) على دفعهم، ولا تتمكنوا من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول، وظن أنها مكيدة، وجاوبوهم بكلام خشن(٢) فقالت رسل الإنكليز لهم: نحن نقف في البحر بمراكبنا محافظين على الثغر، لكن تمدونا بماء وزاد بثمنه، فلم يجيبوهم لذلك وقالوا: هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم(٣) عليها[ص٢٢] سبيل ، فاذهبوا عنا، فعندها عادت رسل الإنكليز. ، وأقلعوا في البحر ليمتاروا(٤) من غير الأسكندرية وليقضى الله أمراً كان مفعولاً. ثم إن أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف(٥)البحيرة، ليجمع العربان(٦) ويحضر لمحافظة

١- كلمة "فلا تقدرون" كتبت فى النسخة (أ) "فلا تقدروا" والأصوب ما أثبتناه فى المتن.

٢- كلمة "خشن " كتبت فى النسخة (ب) "غليظ" وعبارة "فلم يقبل" كتبت فى (د) "فلا يقبل "

٣- كلمة "ولا لغيرهم" كتبت فى النسخة (أ) "ولا غيرهم" والأصوب ما أثبتناه .

٤- ليمتاروا: أى يتزودوا بالمؤن والميرة وهى الطعام ونحوه.

٥-كاشف: هو حاكم الإقليم كما كان يطلق عليه فى السلطنة المملوكية، وكان يطلق على المنطقة التى يحكمها كشوفية والجمع كشوفيات، وفى مصر فى العصر العثمانى ظلت الوحدات الإدارية تعرف بالكشوفيات ويعرف حكامها بالكشاف ولم يطلق على تلك الوحدات الإدارية اسم الصنقجيات (جمع صنجقية) كما كان الحال فى الولايات العثمانية الأخرى، وتراوح عدد الكشاف فى مصر فى نهاية القرن الثامن عشر ما بين ٦٠: ٧٠ كاشف بينما عدد الكشوفيات ٣٦ كشوفية لهذا فقد كان الكشاف يتناوبون هذا المنصب، وكانت مهام الكشاف الرئيسية تنحصر فى تنظيم الإقليم الذى يحكمونه لمزيد من المعلومات راجع

P.M. Holt : Egypt and the fertile cresent 1516:1922 london.1966 P202-220.

٦- العربان : مما يذكر للعربان فى تلك الفترة أنهم لعبوا دوراً أثناء وجود الحملة الفرنسية سواء بمقاومة الحملة أو التعاون معها أو بالاستفادة من الفوضى التى حدثت فى أعقاب قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر، فعندما نزلت الحملة انضم العربان إلى أهل الأسكندرية وعندما توجهوا إلى أبى قير اجتمعت المماليك والعربان ضدهم، وبمجرد أن بدأ الفرنسيون فى مغادرة الأسكندرية عمل العربان على مهاجمتهم حتى صدرت الأوامر للوحدات بأن تسير فى مربعات بدلا من الطوابير، وتخلف كثيرون لأنهم ماتوا من ضربة الشمس، أما الذين ظلوا على قيد الحياة من المتخلفين فقد قتلهم العربان أو أسروهم، وعندما اقترب الفرنسيون من القاهرة أرسل إبراهيم بك إلى العربان وطلب منهم أن يكونوا فى المقدمة بنواحى شبرا وما والاها. كذلك اجتمع عند مراد بك الكثير من العربان . د/إيمان محمد عبد المنعم: العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الاول من القرن التاسع، هـ.م.ع، ١٩٩٧، ص ٢٨ وما بعدها.

الثغر، فلما قريت هذه المكاتبات بمصر، وقع بها اللغط الكثير بين الناس، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت القالة ، ولاحت لوايح الأراحيف.

ثم وردت في ثالث يوم بعد ورود المكاتيب الأول(1) مكاتبات مضمونها أن المراكب التي وردت الثغر عادت راجعة، فاطمأن الناس، وبطل القيل والقال، وأما الأمرا فلم يهتموا بشئ من ذلك ولم يكترثوه(2).اعتماداً على قوتهم، وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الفرنج لا يقفون في مقابلتهم، وأنهم بحطمونهم بسنابك(3) الخيول، ويحصدوا روسهم ببوارق السيوف.

فلما كان يوم الأربعا العشرون من الشهر المذكور(4) وردت مكاتبات من

١- الثلاثاء ١٢ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٧٩٨م.

٢- مضت خمسة قرون على الحروب الصليبية زال فيها النظام الإقطاعي في أوربا وما ترتب عليه من طرق الحكم والحرب وعلاقات طبقات الأمة بعضها ببعض . خمسة قرون شهدت انفصام وحدة الغرب الدينية والسياسية وظهور مناهج العلم الحديثة وطرق التنظيم السياسي والاقتصادي الجديدة، أما مماليك مصر فكانوا في ١٧٩٨م كما كانوا في ١٢٥٠م في أسلوب الحرب والتفكير أو كانوا على كل حال أسوأ . كذلك أهل مصر لم يصلهم عن انقلابات الغرب إلا أضعف الأنباء وظلوا في كل مقومات الحياة الوطنية حيث كان أباؤهم ولذلك كانت صدمة حضارية عنيفة عندما اصطدم المماليك في صيف ١٧٩٨م بغرب غير الغرب الذي عرفوه أيام الحروب الصليبية . شفيق غربال:الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس – مطبعة المعارف– القاهرة، ١٩٣٢، ص٥ كذلك فقد وردت كلمة " ولم يكترثوه " في النسخة (ب) هكذا "ولم يكترثوا "وما أثبتناه بالمتن هو الأصوب .

٣- كتبت"بسنانك"في النسخة (ب) .

٤- يوم الأربعاء ٢٠ المحرم ١٢١٣هـ الموافق ٤يوليو ١٧٩٨م.

الثغر ومن رشيد[1]ودمنهور[2] بأنه[3]فى يوم الاثنين ثامن عشره[4] جاءت مراكب للفرنسيس كثيرة، فأرسوا فى البحر، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل [5]وبعض أهل البلد، فنزلوا لهم، وعوقوهم فى المراكب ، وفى الليل تحولت مراكب إلى[6]جهة العجمى[7] وأنزلوا آلات الحرب والعساكر، فلم يشعر أهل الثغر فى وقت

١- رشيد: هى قاعدة مركز رشيد وهى من مدن الثغور المصرية القديمة، وردت فى كتاب المالك لابن حوقل، بأنها مدينة على النيل قريبة من مصبه فى البحر المالح من فوهه تعرف- بالاشتوم- وهي المدخل من البحر ووردت فى معجم البلدان "رشيد بليدة على البحر والنيل قرب الأسكندرية بمصر"وكانت مدينة رشيد محافظة من محافظات مصر، وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٥م صدر أمر عال بالغاء محافظة رشيد وجعل هذه المدينة مقراً لمركز ثامن من مراكز مديرية البحيرة، اعتبارا من أول يناير سنة ١٨٩٦م وبذلك أصبحت رشيد قاعدة مركز بعد أن كانت محافظة - محمد رمزى: مصدر سابق- القسم الثانى- الجزء الثانى ص٣٠٠.

٢- دمنهور: كان يوجد ناحيتان قديمتان وهما كفر حريز، وحوض القضاية، وردتا فى التحفة مع شبرا النخلة، وفى العهد العثمانى توزع زمام هاتين الناحيتين على نواحى شبرا النخلة(شبرا الدمنهورية) ودمنهور وفى تأريخ سنة ١٢٧٣هـ انشئت ناحية مالية جديدة، باسم ابعادية دمنهور وقد تكون زمامها من (أ) زمام دمنهور باكمله(ب) من أراضى من ناحيتى كفر حريز (أبو الحريز) وحوض القضاية، السابق توزيعها فى العهد العثمانى على ناحيتى شبرا النخلة وطلمسوس ومن تلك السنة أصبحت دمنهور بغير زمام، وحل محلها أبعادية دمنهور هذه-محمد رمزى: مصدر سابق، القسم الثانى:الجزء الثانى. ص٢٨٢

٣- كتبت "بأن" في النسخة (ب) وما أثبتناه من باقى النسخ وهو الاصوب.

٤- يوم الاثنين ١٨ المحرم ١٢١٣هـ الموافق ٢ يوليو ١٧٩٨م.

٥- كان قنصل فرنسا العام فى ذلك الوقت هو المسيو شارل مجالون Magallon الذى كان فى ذلك الوقت موجوداً فى فرنسا أما الذى قابلهم فهو مجالون الصغير ابن أخى القنصل العام.

٦- كلمة "إلى" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٧-العجمى،إحدى ضواحى الأسكندرية توجد فى غرب المدينة .

الصباح(1) إلا والعساكر كالجراد المنتشر حول البلد، فعندها خرج أهل الثغر ومن(2)انضم إليهم من كاشف البحيرة، والعربان المجتمعين(3)معه، فلم يستطيعوا مدافعتهم، ولا أمكنهم(4) مما نعتهم، فانهزم كاشف البحيرة ومن(5) معه من العربان، ورجع أهل الثغر إلى التترس فى البيوت والحيطان، ودخلت الفرنج البلد، وانبث فيها الكثير [ص ٢٣] من ذلك العدد، كذلك وأهل البلد لهم بالرمى بالبنادق يدافعون، وعن أنفسهم وأهليهم(6) يقاتلون ويمانعون، فلما أعياهم الحال، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال(7)وليس ثم عند أهل البلد للقتال استعداد، لخلو(8) الأبراج

١- صباح يوم الثلاثاء ١٩محرم ١٢١٣هـ الموافق ٣يوليو١٧٩٨م، جدير بالذكر أن الرافعى يذكر أن جنود الحملة نزلوا غرب الاسكندرية ليلة ٢يوليو وزحفوا على المدينة فاحتلوها فى نفس اليوم، وهو ما يخالف رواية الجبرتى.

٢- كلمة"من" كتبت فى النسخة (أ) "ما" وما أُثبتناه فى المتن هو الصحيح، والجدير بالذكر أن المؤلف كثير ما يستخدم "ما" كاسم موصول للعاقل وهو خطأ والصواب استخدام كلمة"من"...

٣- فى النسخة (أ) كتبت "المجتمعة" والأصوب ما أثبتناه فى باقى النسخ .

٤- فى النسخة (ب) كتبت "ولا امكنتهم" والأصوب ما أثبتناه بالمتن من النسخة (أ).

٥- فى النسخة (أ) كتبت "وما معه من العربان" والأصوب ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ .

٦- فى النسخة (أ) كتبت "وأصلهم" وما أثبتناه بالمتن هو الأصوب من باقى النسخ .

٧- فى النسخة (ب) "بكل حالة".

٨-فى النسخة (ب) كتبت "أخلو الأبراج" والصواب ما أُثبتناه من باقى النسخ ليستقيم المعنى.فلم يكن فى الأبراج ثمة سلاح ولا بارود بدليل قوله وليس عند أهل البلد للقتال استعداد .

من آلات الحرب والبارود ،، وكثرة العدو وغلبته(1) ؛ طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم، ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم، ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد، ورفع بنديراته عليها، وطلب أعيان الثغر(2)فحضروا بين يديه، فألزمهم بجمع السلاح وإحضاره، وأن يضعوا "الجوكار"(3) فى صدورهم فوق ملبوسهم و"الجوكار" ثلاث قطع من الجوخ أو الحرير أو غير ذلك، مدورة فى قدر الريال، سودا وحمرا وبيضا، يوضع بعضها فوق بعض(4)بحيث تكون كل دايرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدواير المحيط بعضها ببعض [وطلبوا الكلف والمال](5)ولما وردت هذه الأخبار مصر حصل للناس انزعاج(6)وعول أكثرهم

1- بلغ عدد قوات الحملة ٣٦٨٢٦مقاتلا معظمهم من جيش إيطاليا ، الذى حقق به نابليون الكثير من الانتصارات ، وضم إلى جيشه عدداً من صفوة القواد ، الذين ظهرت عبقريتهم ومواهبهم فى حروب إيطاليا والراين ومنهم : كليبر، ديزيه، بليار، رينيه وغيرهم بالإضافة إلى جيش آخر من علماء فرنسا ونوابغها فى العلوم والفنون، وقد حملتهم عمارة فرنسية مكونة من حوالى ٣٠٠ سفينة يحرسها أسطول حربى مكون من ١٣ بارجة و٧ فرقاطات وأربع سفن كبيرة و٦ فرقاطات غير مسلحة، ونحو ٢٥ سفينة خفيفة مسلحة بالمدافع. لمزيد من التفاصيل راجع:عبد الرحمن الرافعى: تطور الحركة القومية دار المعارف / القاهرة ١٩٨١، جـ١ ص ٨٢:٨٤.

2- فى النسخة (ب) كتبت هكذا"وطلب أهل الثغر وأعيانها" والأقرب للصحة ما أثبتناه من النسخة(أ) إذ من المنطق أن يطلب الأعيان فقط وليس أهل البلد كلهم.

3- الجوكار:هو علامة ثلاثية الالوان تمثل شارة الثورة الفرنسية.

4- العبارة مرتبكة فى النسخة (ب) حيث كتبت هكذا "يوضع فوقها بعضها فوق بعض".

5- فى عجائب الآثار حذف الجبرتى هذه العبارة - عجائب الآثار- جـ٣، ص٢وهذا ولا شك يضعف من مصداقية الجبرتى .

6- فى النسخة (أ) "حصل للناس الانزعاج" وما اثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب .

على الفرار والهجاج . وأما ما كان من حال الأمرا ، فإن إبراهيم بيك [1] ركب لقصر العيني ، وحضر عنده مراد بيك من الجيزة ، لأنه كان مقيماً بها، وحضر بقية الأمرا والقاضي والعلماء وتكلموا في شأن هذا الأمر الذي دهم المسلمين. فاتفق الرأي على أنهم يرسلون مكاتبة للدولة العلية[2] بخبر هذه الحادثة ، فأرسلها باشا[3] مصر إذ ذاك وهو بكر

١- بيك: في التركية تعني أمير، وفي مصر العثمانية التصق هذا اللقب مع مصطلح صنجق المستعمل في التعبير الإداري المصري، وقد استعمل مصطلح صنجق ليدل على رتبة بك، ولذا استخدم الجبرتي مراراً تعبير تقلد الامارة والصنجقية ليدل على الشخص الذي رقى إلى رتبة بك وقد كان بكوات مصر يتسلمون رواتب سنوية"ساليانات"من خزينة مصر وكان هناك٢٤صنجقا يحكمون اقاليم مصر المختلفة.

P.M Holt,:the beylicate in Ottoman Egypt, during the sevenceeth, century, b,s,o,a s,xxiv,1961,p.219

٢- كلمة" العلية "غير موجودة في النسخة (أ).

٣- باشا: كلمة تركية ما زال أصلها الاشتقاقي خلافياً فقيل أنها من "باش أغا"أي رئيس الأغوات ، أو كبير الخصيان، وقيل إنها من الكلمة الفارسية "بادشاه" وقيل :إنها من "باش" بمعنى الرأس والرئيس. وهي لقب كان يطلق في مصر على رجال الجيش إذا صاروا ألوية، وعلى أعيان المدنيين ووكلاء الوزارات ومحافظي الأقاليم وكبار التجار وملاك الاراضي غير أنه في العصر العثماني كان لقب الباشا يطلق على الوالي فقط فيقال باشا مصر أي واليها وقد ألغي هذا اللقب في مصر ١٩٥٢.أحمد السعيد سليمان: مرجع سابق، ص ٣٦ د/ حسين مجيب المصري – مرجع سابق ص ٣٨

باشا[1] على يد قاصد[2] من جهة[3] البر، وأنهم يجهزون[4] عسكراً يكون كبيره مراد بيك، وانفض المجلس على ذلك، فأخذت العساكر للسفر وجمع مهمات الحرب[5] فمكثوا نحو خمسة أيام يجهزون الأقوات والبارود وغير ذلك من القرب

١- بكر باشا: حاكم مصر وقت وصول الحملة الفرنسية وهناك بعض المصادر التى تطلق عليه لقب "ابوبكر باشا" ولقد أرسل اليه بونابرت برسالة من على ظهر البارجة "أوريان" فى ١٢ مسيدور من السنة السادسة (٣٠ يونيه ١٧٩٨م) ونصها كالآتى: أن حكومة الجمهورية الفرنسية قد طلبت غير مرة من الباب العالى عقاب بكوات مصر الذين كانوا يرهقون التجار الفرنسيين بمختلف أنواع الإيذاء والاعتداء، وصرح الباب العالى بأن أولئك البكوات قدتمادوا فى أطماعهم وأهوائهم، وتنكبوا سبيل العدالة والاستقامة، وأنه لا يقرهم على إساءة معاملة أصدقائه الفرنسيين الأوفياء، ولا يراهم جديرين بعطفه وحمايته، وعلى ذلك قد اعتزمت الجمهورية تجريد جيش جرار للقضاء على مظالم البكوات المماليك، كما اضطرت أن تجرد حملات فى خلال القرن الحالى على بكوات تونس والجزائر، ويقينى أنك و نت الذى يجب أن يكون حاكم البلاد ومع ذلك قد سلب منك البكوات كل حول ونفوذ وجعلوك فى القاهرة رهن إدارتهم لابد أن تقابل حضورى إلى هنا بالسرور والارتياح، ولعله قد وصل إلى علمك أنى ما حضرت بنيات عدائية نحو القرآن أو نحو السلطان وانك تعلم أن الأمة الفرنسية هى الحليفة الوحيدة للسلطان في اوروبا، فبادر إلى مقابلتى واشترك معى فى استنزال اللعنات على طائفة المماليك الممقوته "بونابرت" عبد الرحمن الرافعى-مرجع سابق، ص ٤٠٦ وما بعدها.

٢- قاصد : رسول يحمل الرسائل.

٣- كلمة "على يد قاصد من جهة" كتبت بالتاء المفتوحة فى النسخة(أ) وفى عجائب الآثار يعلق الجبرتى على ذلك تعليقاً ساخراً بقوله "البر ليأتيه بالترياق من العراق" فهو يسخر فى عجائب الآثار من العثمانيين الذين يعلم أن نجدتهم لن تأتى إلابعد فوات الأوان أو كما يقول المثل الشعبى "على ما يجى الترياق من العراق يكون العليل مات" راجع أحمد تيمور: الأمثال العامية مشروحة ومرتبة على الأحرف الأولى من المثل، دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٥٦، ص٢١.

٤- فى النسخة (أ) "ويجهزون عسكراً" وكلمة "أنهم" محذوفة.

٥- فى النسخة (أ) "مهمات حرب"

والخـــيم،ومـــصـــر فى كـــرب زايد من هذا الأمـــر ،ومما ورد عليـــهم من الخبر[ص٢٤]فإن العساكر لم يكن عندهم استعداد لمثل هذا، ولم تسمح نفوسهم ببـذل المال فى هذه المهـمـات[1] فـصـاروا يصـادرون الناس ويأخـذون أغلب مـا يحتاجونه بدون ثمن.

ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة[2] وبرز خيامه ووطاقة[3] إلى الجسر الأسود فمكث به نحو يومين[4] حتى تكامل معه من العسكر وهم صناجقه وعلى باشا الطرابلسى وناصف باشا[5] فإنهما كانا من أخصاية المقيمين معه بالجيزة ، وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسافر فى البر مع العساكر الخيالة ، وأما السكمان [6]

١- فى النسخة (أ) "ببذل الاموال فى هذا المهم " والأصوب ما أثبتناه من باقى النسخ

٢- الجمعة ٢٢محرم ١٢١٣هـ- ٦يوليو ١٧٩٨م.

٣- الوطاق:فى التركية أوتاق وأوتاخ، وأوطاق، وهى إما من كلمة "أوت" بمعنى النار، وإما من المصدر"أوتوزمق"بمعنى أن يجلس، وقد دخلت فى اللغة الفارسية فى صيغ أطاق وأتاف وأتاغ بمعنى الغرفة، والارجح أن تكون هذه الكلمة هى أصل الكلمة المصرية"أودة" بمعنى الغرفة، والاطاق فى التركية اسم للخيمة الكبيرة المزخرفة تعد للعظماء والوطاق في العربية هو الخيمة والمعسكر المكون من خيام.د/ احمد السعيد سليمان:مرجع سابق، ص ١٩٨.

٤- فى النسخة (أ) "فمكث به يومين" وعلى ذلك فإن مراد بك رحل بعساكره يوم الأحد ٢٤ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٨ يوليو ١٧٩٨م على وجه التقريب.

٥-فى النسخة (ب) تكتب "نصوح"أو "ناصوح" ولكن هذا هو الاسم الصحيح الذى اثبتناه بعد تحقيق الاسم من باقى النسخ .

٦-فى النسخة (ب) تكتب "السمكان " وفى النسخة (أ) تكتب "الرجالة" والسكبان: فى الفارسية بمعنى مربى الكلب، وكان السكبان يخرج فى جماعة من رفاقه فى معية للصيد ولهؤلاء كيان خاص بهم إلى سنة ١٤٥١م ثم انضموا إلى فرقة الانكشارية وكان السكبانية قسمين: قسم من المشاة، وقسم من الفرسان أنشئ متأخراً ليساعد على بالصيد البعيد، وإذا قيل فرسان الانكشارية فالمراد بهم فرسان السكبانية أى المشرفين على كلاب الصيد . راجع د/ حسين مجيب المصرى مرجع سابق، ص ١٠٧ .

وهم الألضاشات(1) والغليونجية (2) والمغاربة ، فإنهم سافروا فى البحر مع الغلايين الصغار التى كان قد(3) اصطنعهم مراد بيك. ولما ارتحل من الجسر الأسود، أرسل إلى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد فى غاية التخن والمتانة طولها ماية وثلاثون ذراعا، تنصب عند بوغاز(4)رشيد عند برج مغيزل من البر الشرقى للغربى، لتمنع عبور مراكب الفرنسيس لبحر النيل، وذلك باشارة على باشا، وأن يعمل عندها جسر من المراكب، ويعمل عليها(5)متاريس ومدافع ظنا

١-الأنضاشات: وتكتب كذلك"يولداش":(يول) أى الطريق و(داش) أداة المشاركة"واليولداش" هو الرفيق فى الطريق وتطلق على الزملاء وأعضاء الحزب الواحد وجمعها فى العامية المصرية"الأديش" والألداشات القلينجية فرقة من المشاة سلاحهم السيوف راجع د/ أحمد السعيد سليمان مرجع سابق، صـ ٢٥.

٢- الغليونية : فى الأسبانية "جاليون" وفى الإيطالية"جاليونه" وفى الفرنسية"جاليون" وفي التركية عن إحدى هذه اللغات الاوروبية، وهى جنس سفن حربية ضخمة، كان الأسبان يحملون فيها الذهب والبضائع النفيسة من مستعمراتهم، وهكذا نشأت فى الترسانه العثمانية منذ عهد بايزيد الثانى طائفة جديدة هى طائفة الغليونية، وربطت الرواتب الوافية لقبطانها، وسمى بحارة الغلايين – الغليونجية– فالجى للإضافة. د/ أحمد السعيد سليمان/ المرجع السابق، ص٥٥ وما بعدها.

٣-كلمة " قد " غير موجودة فى النسخة (ب).

٤- فى النسخة (أ) "بغاز"وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأقرب للنطق الصحيح وكلمة بوغاز من المصدر التركى "بوغمق" أن يخنق ويطلق فى التركية على الحلقوم وعلى الجزء الضيق من كل شئ فيقال مثلاً: بوغاز الزجاجة:أى عنقها، وتطلق على الممر الضيق بين جبلين أو بين ارضين ، فيقال بوغاز جبل طارق د/ أحمد السعيد سليمان – مرجع سابق ، ص٤١.

٥- فى النسخة (ب) "ويعمل عندها متاريس" .

منهم أن الفرنج لا يقدرون على مقاتلتهم[1] فى البر، وأنهم يعبرون بالمراكب فى بحر النيل، ويقاتلونهم وهم فى المراكب، وأنهم يصابرونهم ويطاولونهم فى القتال حتى تأتيهم النجدة وكان الأمر بخلاف ذلك فإن الفرنسيس عندما ملكوا الأسكندرية[2] تجهزوا سريعاً للتوجه إلى مصر من جهة البر، بحيث أنهم التقوا مع مرة بيك عند الرحمانية كما سيأتى. وفى أثناء خروج مراد بيك بالعساكر وسفره بدت الوحشة فى الأسواق، وكثر الهرج بين الناس والإرجاف ، وانقطعت [ص ٢٥] الطرق، وأخذت الحرامية فى كل ليلة تطرق أطراف البلد، وتقطع[3] الطرق من المغرب، فلا تكاد تجد أحداً يمشى، فنادى الأغا[4] والوالى[5] بفتح الأسواق والقهاوى ليلاً، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين، وذلك لأمرين: الأول

١- فى النسخة (أ) "مقابلتهم" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأقرب إلى الصواب.

٢- فى النسخة (ب) "ملكوا اسكندرية" .

٣- فى النسخة (ب) "وتنقطع" ولكن "تقطع" من النسخة (أ) أصوب لأن الفعل هنا "فاعله الحرامية" فالمقصود "الحراميه" تقطع الطرق.

٤- الأغا: لقد أخذت فرقة الانكشارية منذ بداية العهد العثمانى فى مصر، مهمة حراسة مدينة القاهرة والقلعة مركز الحكم والإدارة فيها، وكان لقائد الانكشارية "الأغا" صاحب الصدارة على قواد بقية الأوجاقات وهو رئيس قوات حفظ الأمن في القاهرة وضواحيها ،وكانت سلطة أغا الانكشارية تشمل الحفاظ علي الأمن والأشراف على كل شئون الشرطة فى كافة المجالات التى لا تخضع لسلطة المحتسب راجع د/ ليلى عبد اللطف مرجع سابق ص٢٢٩

٥- الوالى:كان فى القاهرة ثلاثة من الولاة لكل من القاهرة ومصر القديمة وبولاق وهم تحت إشراف أغا مستحفظان ورئاسته ويعملون ضمن جهاز الأمن بالعاصمة، وبمرور الوقت أصبح لوالى القاهرة سلطة الإشراف على زميلية المذكورين ويعرف الوالى أيضاً باسم "الصوباشى" أو الزعيم حسبما يرد فى الوثائق ومؤلفات المؤرخين المعاصرين وهو امتداد لما كان متبعاً فى العصر المملوكى، وكان مقره بجوار باب زويلة لمزيد من التفاصيل راجع د/ عراقى يوسف. الوجود العثمانى المملوكى في مصر . دار المعارف . القاهرة.ص ٢٤٩.

إذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستيناس ، والثانى الخوف من الدخيل[1] فى البلد.

وفى يوم الاثنين[2] وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى[3] دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل البلاد على وجوههم ، فذهبوا إلى فوا[4] ونواحيها ، والبعض أقام ببلده وطلب الأمان فأمن[5]وقد كانت الفرنسيس حين حلولهم بالاسكندرية كتبوا مكتوباً وطبعوه ، وأرسلوا منه نسخاً إلى البلاد التى يقومون عليها تطمينا لهم "ومكيدة لئلا تعصى البلاد وتحاربهم، وأوهموهم فيه أنهم قدموا من طرف السلطان، وأنهم جاءوا ليزيلوا عنهم الظلم"[6] ووصل هذا المكتوب مع

١- فى النسخة (أ) "الدخول" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب .

٢- يوم الاثنين ٢٥ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٩ يوليو ١٧٩٨م.

٣- كلمة "إلى" غير موجودة فى النسخة (ب).

٤- مدينة فوا: وهى من القرى القديمة ذكر أميلينو فى جغرافيته أن "مصيل" و"صليح" هما اسمان لقرية واحدة هى فوه ووردت "فوة" ، فى معجم البلدان :بأنها بليدة على شاطئ النيل من نواحى مصر قرب رشيد بينها وبين البحر ستة فراسخ ووردت فى نزهة المشتاق :إنها على فرع النيل الغربى واسمها القديم كما ذكر اميلينو "poei" وبالبحث تبين أن "بوى" المذكورة هو الاسم القديم لمدينة "فوه" فقد قلبت الباء فاء وهى الآن مقراً لمركز فوة الذى أنشئ منذ سنة ١٨٩٦م.

محمد رمزى مصدر سابق، القسم الثانى الجزء الثانى ص١١٤.

٥- فى عجائب الآثار يصف الجبرتى هؤلاء الذين طلبوا الأمان بقوله " وهم العقلاء" والغريب أن الجبرتى عندما وصل الفرنسيون إلى القاهرة كان من اوائل الفارين منها .

٦- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى عند إعادة كتابة هذه "اليومية" فى عجائب الآثار ، فهو يرى أن المكتوب أرسل للبلاد تطمينا لهم فقط وليس مكيدة ولا إيهاما بأنهم قدموا من طرف السلطان . عجائب الاثارجـ٣، ص٤

الأسارى الذين وجدوهم بمالطة(1) فإنهم أحضروهم معهم ، وقبل الحرب الذى وقع بانبابة بيوم ، أرسلوا هؤلاء الأسارى فى مراكب لبولاق حيث عرضى(2) إبراهيم بيك ومعهم عدة نسخ من هذا المكتوب، ومعهم جواسيس من كفار مالطة متزيين بزى الأسارى ، لأن كفار مالطة يعرفون العربى ، ويتكلمون بلغة المغاربة(3) فلا يكادون يتمايزون (4) عن الأسارى ، فكانت أيضاً من المكايد الحربيةحيث أرسلوا الأسارى الذين معهم لمن ببولاق توصلاً لإخفا الجواسيس فيهم، وليقع فى أوهام

1- أسارى مالطة: كانت مالطة حتى استيلاء نابليون عليها تحت حكم فرسان القديس يوحنا الذين عملوا فى مجال القرصنة البحرية ضد السفن الإسلامية ، وأدى ذلك بالتالى إلى وقوع العديد من الأسرى المسلمين فى أيديهم وكان بعض الحكام المسلمين يتدخلوا لفداء هؤلاء الأسرى مثلما حدث من"مولاى محمد"حاكم مراكش من ١٧٥٧-١٧٩٠م ففى عام ١٧٦٧م أرسل نائبة إلى مالطة حيث حرر ٥٣٦ من أسرى المسلمين وأرسلهم إلى الأستانة وبعد استيلاء الحملة الفرنسية على مالطة وفى طريقها لمصر حررت هؤلاء الأسرى وجاءت بهم معها إلى مصر كدليل على حسن نيتها تجاه المسلمين راجع د/ عبد الله عزباوى : العلاقات العثمانية المغربية فى عهد كل من مولاى محمد وابنه يزيد ، المجلة التاريخية المصرية القاهرة ١٩٨٤، ص٣٨٥ وما بعدها.

2- العرضى: من التركية"أردو" بمعنى الجيش، والعرضى المعسكر، وهى تطلق على القسم الكبير من الجيش الجامع لأصناف الجند يكون فى جهة من جهات المملكة وذلك بأن يقسم جيشها إلى فرق كبيرة كاملة العدة تخص كل ولاية كبيرة أو مجموع بعض الولايات الصغيرة بفرقة منها برزسها قائد كبير برتبة "مشير"وقد يطلق العرضى على مخيم العسكر أى محل اقامتهم ويرادفه فى هذا المعنى "المعسكر" راجع احمد تيمور: الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية والقلمية ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠م ، ص٥١.

3- يقصد لهجة المغاربة.

4- فى النسخة (أ) "يمتازون".

الناس أنهم لا يأسرون أحداً، لأنهم قد خلصوا الأسارى، وصارت الجواسيس الذين على هيئة الأسارى من المالطية توسوس للناس، وتحل عزايمهم عن القتال، وتتبع حال العرضى، ثم فى يوم الحرب خفى الكثير من هؤلاء [ص ٢٦] الأسارى، فلايدرى أين ذهب، وما ذهب فى الحقيقة إلا إلى عرضى الفرنسيس ليخبرهم بما شاهد ونص المكتوب المرسل:

صورة المكتوب (١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله،لا ولد له ولا شريك فى ملكه ، من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على أساس الحرية والتسوية(٢) السر عسكر الكبير بونابارتة أمير الجيوش الفرنساوية يعرّف أهالى مصر جميعهم ، أن من زمان مديد، السناجق الذين يتسلطنوا فى البلاد المصرية يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ، ويظلمون تجارها بأنواع البلص(٣) والتعدى ، فحضر الآن ساعة عقوبتهم ، واحسرتا(٤) من مدة عصور

١- هذا العنوان وضع فى الهامش الأيسر للنسخة (ب) وهو غير موجود بباقى النسخ وقد رأينا وضعه فى منتصف السطر.

٢- هذه الديباجة غير موجودة بالأصل الفرنسى للمنشور، حيث أن النص الفرنسى يبدأ بالعبارة التالية"المعسكر العام بالاسكندرية فى ١٤ مسيدور من السنة السادسة الموافق ١٨ محرم ١٢١٣هـ، بونابرت عضو المجمع العلمى الاهلى والقائد العام"ويتميز النص الفرنسي بالبلاغة والفصاحة، وقد صاغة فى قالبه العربى جماعة من المستشرقين والتراجمة الذين احضرهم بونابرت معه وبخاصة فانتور ومارسل ولذلك فإن المنشور ملئ بالأغلاط والعبارات الركيكة. وقد طبع هذا المنشور على ظهر البارجة أوريان فى عرض البحر.

٣- بلصة من المال، أى لم يترك له منه شيئاً (المعجم الوجيز) وفى عجائب الاثار يحذف الجبرتى كلمة"بلص"ويكتبها هكذا"بأنواع الايذاء والتعدى"

٤- واحسرتا:هكذا فى النسخ كلها ولكن فى عجائب الآثار يكتبها الجبرتى "وأخرنا".

طـويلة هذه الزمرة [1] المـماليك المجـلوبين [2] من بلاد الأبـــازا [3] والكرجستان [4] يفسدون الإقليم الأحسن[5] الذى لايوجد فى كرة الأرض كلـها، فـأمـا رب العـالمين القـادر على كل شئ قـد حـتّم[6]على انقـضـا دولتـهم، يا أيهـا المصريين قد يقولون[7] لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك

١- فى النسخة (أ) كتبت "الزمها" ويبدو أنها خطأ من الناسخ وما أثبتناه هو الأصوب.

٢- في النسخة (أ) "المجلوبون" والاصح ما أثبتناه من باقي النسخ .

٣- الأبازة : إحدى قبائل الجراكسة حيث يتألف الشعب الجركسي من مجموعة كبيرة من القبائل بعضها كبير العدد وبعضها الآخر صغير، وأكبرها عددا قبيلة القبردى ومنهم قبائل الأبزاخ والحاتقواى والشاسوغ والأبازة راجع عماد أحمد هلال:المرجع السابق، ص ٣:٥.

٤- الكرجستان: وردت فى الأصل الفرنسى للمنشور بأنها بلاد جورجيا وهى تقع فى شمال شرق البحر الاسود وقد جلب منها الكثير من المماليك الى مصر وينسبون اليها فيقال فلان الكرجى . عماد أحمد هلال : المرجع السابق ، ص٧.

٥ - هكذا فى كل نسخ مظهر التقديس، ولكن فى عجائب الاثار يكتبها الجبرتى هكذا "الاقليم الحسن الأحسن" وقد فضلنا عدم الاكتفاء بمقارنة هذا المنشور بنسخ مظهر التقديس فقط لأنه يعتبر وثيقة تاريخية من الواضح أن الجبرتى كان حريصاً على نقلها بنصها في الكتابين.

٦- فى عجائب الآثار يكتبها الجبرتى"فقد حكم" ولكن واضح أنها نقلت خطأ لأنه فى تعليق الجبرتى علي هذا المنشور فى الصفحات التالية يعلق على كلمة"حتم" هذه بأنه تحكم على الغيب.

٧- فى النسخة(ب) "قد يقولوا"وفى عجائب الآثار"قد قيل" وما اثبتناه فى المتن هو الأرجح وهو من النسخة (أ).

كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفتريين إننى ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص دينكم(١) وحقكم من يد الظالمين. وأننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم، وقولوا أيضاً لهم إن جميع الناس متساويين عند الله، وإن الشئ الذى يفرقهم من بعضهم بعضاً فهو العقل والفضايل والعلوم فقط، وبين المماليك ما العقل والفضايل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين ويستوجب أنهم يتملكوا وحدهم كلما يحلو به حياة الدنيا، حيثما يوجد أرض مخصبة فهى مختصة للمماليك، والجوارى الأجمل، والخيل الأحسن، والمساكن الأشهى، فهذا كله لهم خالصاً. إن [ص٢٧] كانت الأرض المصرية التزام للمماليك.فليرونا(٢) الحجة التى كتبها لهم الله ولكن(٣) رب العالمين هو رؤفاً وعادل على البشر، بعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى أحداً من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية، فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيدبروا الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها، سابقاً فى الأمور المصرية، كانت المدن العظيمة والخليجات الواسعة، والمتجر المتكاثر، وما أزال ذلك كله إلا الطمع وظلم المماليك. أيها القضاة والمشايخ والأيمة، ويا أيها الشورباجية(٤) وأعيان البلد، قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمين

١- كلمة دينكم غير موجودة فى النسخة (أ) كما أنها غير موجودة فى عجائب الآثار وما اثبتناه من النسخة (ب)

٢- فى النسخة (أ) كتبت هكذا "فليورونا" وهى عامية وفى النسخ (جـ) ، (د) كتبت"فاليورونا"

٣- فى النسخة (د) كتبت "فلكن ".

٤- شورباجى: أوجوربجى : كلمة تركية من الأصل الفارسى"شور" بمعنى لذيذ وملح و"با" بمعنى الطعام المطهو والجوربجى ضابط انكشارى يقول سامى بك إنه يعادل اليوزباشى، وإنه كان يشرف علي مرجل المرق فى المعسكر وهوأيضا رئيس المشاه.

راجع د/ أحمد السعيد سليمان . مرجع سابق ، ص ٦٦ .

خالصين ، وإثباتاً لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى[١] وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان يحث دائماً النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردوا منها الكواللرية[٢] الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات ، صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمنلى، وأعدا أعداية، أدام الله ملكه، وبالمقلوب المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان، غير متمثلين لأمره، فما طاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم . طوبى ثم طوبى[٣]لأهالى مصر ، الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح أمرهم[٤] ويعلى مراتبهم ، طوبى أيضاً للذين يقعدوا فى مساكنهم غير ما يلين لأحد من الفريقين المحاربين، فإذا عرفونا بالأكثر يتسارعوا إلينا بكل قلب، لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع المماليك، ويساعدوهم فى الحرب علينا، فما يجدوا طريق الخلاص، ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى

جميع القرى الواقعة فى دايرة قريبة بثلاثة ساعات عن المواضع التى يمر بها

١- يشير بونابرت هنا إلى حملاته على إيطاليا والتى نتج عنها ضم إيطاليا إلى الجمهورية الفرنسية رغم معارضة البابا وهذه العبارة غير موجودة فى الأصل الفرنسى للمنشور .

٢- الكواللرية: يقصد فرسان القديس يوحنا فى مالطة وقد تحدثنا عنهم سابقاً .

٣- فى النسخة (أ) كتبت "طوبى ثم الطوبى".

٤- فى النسخة (أ) كتبت "فيصلح حالهم" .

العسكر الفرنساوى . فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر(1) بعض[ص ٢٨] من عندها لكيما يعرفوا المشار إليه أنهم أطاعوا، وأنهم نصبوا السنجاق (٢) الفرنساوى الذى هو أبيض وكحلى وأحمر.

المادة الثانية

كل قرية التى تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار.

المادة الثالثة

كل قرية التى تطيع للعسكر الفرنساوى ؛ الواجب عليها نصب السنجاق الفرنساوى، وأيضا سنجاق السلطان العثملى محبنا دام بقاه.

المادة الرابعة

المشايخ فى كل بلد ليختموا حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك بتاع (٣) المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكى لا يضيع أدنى شئ منها.

١- السر عسكر: بفتح وسكون فى الفارسية بمعنى قائد العسكر، وهو لقب كان يطلق على الوزير العثمانى الذي يقود الجيش، وكان إطلاق هذا اللقب منذ عهد السلطان محمود الثانى وبعد المشروطية استبدل هذا اللقب بحربية ناظرى أى وزير الحربية/ حسين مجيب المصرى: مرجع سابق / ص١٠٦ .

٢- السنجاق: علم كبير وكان من قماش حريرى ذى ألوان مختلفة يرفع على رمح عند الأتراك فى وسط آسيا رمزاً لجدارة وبسالة أحد الأبطال وفى عهد السلطان محمود الثانى غير الانكشارية اسم العلم من بايراق إلى سنجاق وهو تشكيل إدارى من الدولة العثمانية.حسين مجيب المصرى.: نفسه ، ص ١٠٩ .

٣- هكذا فى جميع النسخ بالعامية جدير بالذكر أن طبعة التربية والتعليم يوجد بها تعديل لكثير من كلمات هذا المنشورففى المادة الأولى " ثلاث ساعات " ، وفى المادة الثانية "كل قرية تقوم " وفى المادة الثالثة "كل قرية تطيع " "وصنجق " وفى المادة الرابعة "الخاصة بالمماليك "...الخ.

وحجبه عن الوصول إلى طريق الرشاد[1] وفى الكلام تقديم وتأخير، وأن المعنى أننى أكثر من المماليك عدداً فحذف التمييز، ويكون قوله "أعبد الله" كلام مستأنف ، و كذبة مستقلة.

قوله : "وأحترم نبيه" معطوف على ما قبله من عطف [ص٣٠] الكذب على الكذب، لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته .

قوله: "والقرآن العظيم" معطوف على نبيه، أى وأحترم القران العظيم، وهذا كذب أيضاً، فإن احترام القران تعظيمه، وتعظيمه بالتصديق بما فيه، وهو من آيات النبى الدالة على صدقه، وأنه نبى آخر الزمان، وأن أمته أشرف الأمم، وهؤلاء لجميع ذلك نافون، وفيما عددوه كاذبون(وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)[2] وأما التعظيم الحسّى فهو فرض مأمور به بقوله تعالى(لا يمسّه إلا المطهرون)[3] فيحرم على المحدث والجُنُب مس آية من القرآن، وهؤلاء قد شوهد الكثير منهم يتغوطويمسح بأوراق المصاحف ويرميها ملطخة[4]فى الطريق ومحل النجاسات، فإنهم لا يستنجون بالماء البتة، وجليلهم وحقيرهم يستعمل ما يجده من الأوراق ودخل بعض الناس داراً من دورهم فوجد باب المهمنة مسنوداً بمصحف كبير، فأخذه وفتحه، فوجده ختمة شريفة مكلفة، فتأثر واغتم وطلب أن يفتديه منه بدارهم،فامتنع صاحب الدار من بيعه إلا بمبلغ كذا ، فسعى الرجل حتى استرضى خاطره واستنقذ الختمة، وهم فى كل ذلك يضحكون ويعدون الرجل كأنه مجنون، فأين أعزك الله التعظيم الذى يزعمه هذا المفترى؟!

١- فى النسخة (جـ) " غطى على فوايده ... طريق رشاده .

٢- سورة يوسف آية ١٠٥.

٣- سورة الواقعة آية ٧٩.

٤- فى النسخة (ب) كتبت "ملخطة"وما أثبتناه من باقى النسخ هو الصواب .

ذكر هذه الجمل الثلاث إشارة إلى أنهم موافقون للملل الثلاث، ومخالفون لهم بل ولجميع الملل، موافقون للمسلمين فى ذكر التسمية ونفى الولد والشريك، ومخالفون لهم فى عدم الإتيان بالشهادتين وجحد الرسالة ورفض[ص ٢٩] الأقوال والأفعال الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة،وموافقون للنصارى فى غالب أقوالهم وأفعالهم، ومخالفون لهم فى القول بالتثليث،وجحد الرسالة أيضاً، ورفض ديانتهم، وقتل القسوس، وهدم الكنايس، وموافقون لليهود فى التوحيد، فإن اليهود لا تقول بالتثليث، وإنما هم مجسّمة مخالفون لهم في ديانتهم، والذى تحرر من عقايدهم أنهم لا يقفون على دين، ولا يتفقون على ملة، بل كل واحد منهم ينحو دينا يخترعه بتحسين عقله، ومنهم الباقى على نصرانيته المتكتم لها، وفيهم فرقٌ من اليهود الحقيقيون، لكن كل ذى دين منهم ساير له مُصِرٌّ عليه موافق للجمهور .

قوله"فأما رب العالمين"كلام مستأنف.

قوله "القادر على كل شئ" ومن قدرته الباهرة وآياته الظاهرة جلب هؤلاء الشياطين إلى مراتع الملوك والسلاطين، ورجوع الكرة عليهم وقطع دابرهم ونواصيهم.

قوله"قد حتم" هذا تحكم على الغيب، وما بعد الكفر عيب.

قوله " إننى ما قدمت لكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين" هذه أول كذبة ابتدرها، وفرية ابتكرها، ثم ترقى إلى ما هو أعظم من ذلك، رماه الله فى المهالك.

قوله:"وإننى أكثر من المماليك أعبد الله"، إلى آخره، لا شك أن هذا خبل فى العقل، وغلو فى الجهل، أى عبادة فضلاً عن كثرتها، مع كفر غطى على فؤاده،

وحجبه عن الوصول إلى طريق الرشاد[1] وفى الكلام تقديم وتأخير، وأن المعنى أننى أكثر من المماليك عدداً فحذف التمييز، ويكون قوله"أعبد الله" كلام مستأنف ، و كذبة مستقلة.

قوله :"وأحترم نبيه" معطوف على ما قبله من عطف [ص٣٠] الكذب على الكذب، لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته .

قوله:"والقرآن العظيم" معطوف على نبيه، أى وأحترم القران العظيم، وهذا كذب أيضاً، فإن احترام القران تعظيمه، وتعظيمه بالتصديق بما فيه، وهو من آيات النبى الدالة على صدقه، وأنه نبى آخر الزمان، وأن أمته أشرف الأمم، وهؤلاء لجميع ذلك نافون، وفيما عددوه كاذبون(وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)[2] وأما التعظيم الحسّى فهو فرض مأمور به بقوله تعالى(لا يمسّه إلا المطهرون)[3] فيحرم على المحدث والجُنُب مس آية من القرآن، وهؤلاء قد شوهد الكثير منهم يتغوط ويمسح بأوراق المصاحف ويرميها ملطخة[4]فى الطريق ومحل النجاسات، فإنهم لا يستنجون بالماء البتة، وجليلهم وحقيرهم يستعمل ما يجده من الأوراق ودخل بعض الناس داراً من دورهم فوجد باب المهسنة مسنوداً بمصحف كبير، فأخذه وفتحه، فوجده ختمة شريفة مكلفة، فتأثر واغتم وطلب أن يفتديه منه بدارهم،فامتنع صاحب الدار من بيعه إلا بمبلغ كذا، فسعى الرجل حتى استرضى خاطره واستنقذ الختمة، وهم فى كل ذلك يضحكون ويعدون الرجل كأنه مجنون، فأين أعزك الله التعظيم الذى يزعمه هذا المفترى؟!

١- فى النسخة (جـ) " غطى على فوايده ... طريق رشاده ".

٢- سورة يوسف آية ١٠٥.

٣- سورة الواقعة آية ٧٩.

٤- فى النسخة (ب) كتبت "ملخطة"وما أثبتناه من باقى النسخ هو الصواب .

قوله:" إن جميع الناس متساويين عند الله تعالى"، هذا كذب وجهل وحماقة، كيف وقد فضل الله بعضهم على بعض، وشهد بذلك أهل السموات والأرض.

قوله:"ما العقل" مبتدأ وخبر، والاستفهام للإنكار، وفى الكلام حذف "أى لهم"، فالمعنى لا عقل للمماليك.

قوله:"فليوروناً" (١) هذه كلمة عامية خارجة عن الطريقة العربية. (٢)

قوله:"الحجة التى كتبها [ص٣١] الله لهم"، هذا من الجهل والكفر بمكان، فإن الله لا يملك الناس شيأً بحجة يكتبها لهم، غايته أن الناس يتداولون البلاد عن أسيادهم كهؤلاء، أو عن أسلافهم، أو بالغلبة والقهر .

قوله:"فى المناصب السامية"أى المرتفعة، احترازٌ عن دفع اللوم عنهم بتقليدهم مناصب الأحكام الجليلة للأسافل والرعاع(٣).كجعلهم برطلمين الطبجى، وهو المسمى عند العامة بفرط الرمان كتخدا مستحفظان (٤)

قوله:"وبذلك يصلح حال الأمة ،"نعم بتدبير العقلا والفضلا ينصلح حال الأمة

١- فى النسخة (ب) "فليرونا"وما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- فى النسخة (ب) و (جـ) "الطريق" وما أثبتناه من باقى النسخ .

٣- فى النسخة (ب) "والرقاع" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الاصوب.

٤- مستحفظان:عرف أوجاق الانكشارية فى الوثائق والمراجع العربية باسم جماعة مستحفظان قلعة مصر، وكان الانكشارية فى القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن السابع عشر يمثلون وجاق السلطان فى مصر ويمثلون بصفة خاصة السلطة العثمانية، وقد أدت سيطرة الانكشارية على سلطة الشرطة فى القاهرة إلى ازدياد قوتها وبسيطرة رجالها على الالتزامات المربحة، ودار ضرب النقود ومراكز المكوس وعنابر المؤن ؛ زادت قوتها ونفوذها ولكن بازدياد سيطرة العنصر المملوكى وتسلله إلى جميع مراكز السلطة والإدارة فى مصر العثمانية فى القرن السابع عشر تحت سيطرة المماليك ونقص فيها العنصر العثمانى تدريجيا حتى أن معظم رجالها فى القرن الثامن عشر كانوا من المماليك د/ ليلى عبد اللطيف مرجع سابق ، ص١٩١.

؛ ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

قوله: "وخربوا كرسي البابا"[1] بهذه الفعلة خالفوا النصارى كما سبقت الإشارة إليه ، فهؤلاء القوم خالفوا النصارى والمسلمين، ولم يتمسكوا من الأديان بدين، فتراهم دهرّية مبطلون [2]، وللمعاد والحشر منكرون، للنبوة والرسالة جاحدون، ويقولون بقدم العالم، والحوادث الكونية، بالحركات الدورية، وظهور الملل، وانتقال الدول، بموجب طبع القرانات، وامتزاج المناظرات، وربما[3] اعتقدوا تناسخ الأرواح، إلى غيرها من الأشباح، ومثل ذلك من الخبالات، وأنواع الضلالات، وعقيدتهم السالكون فيها تحكيم العقل، وما تستحسنه النفوس بحسب الشهوات، ولا يبالون بكشف العورات، مع قبحة في العقل والنقل، فمتى دعت أحدهم الحاجة قضاها في أي مكان اتفق، ولو بمرأى من الناس، ويذهب كما هو من غير استنجا ولا استجمار [4] وتارة يمسح المحل بما يجده، ولو ورقة مكتوبة، ويطأون كلما تيسر[5] لهم من النساء ويحلقون لحاهم وشواربهم معاً ومنهم من يبقى شعر عارضيه[6] فقط، ولا يحلقون رؤوسهم ولا عانتهم، ويخلطون في مأكولهم ومشروبهم

١- في النسخة (أ) كراسي .

٢- في النسخة (جـ) "معطلون ".

٣- قوله "ربما " تشير إلى أنه غير متأكد وهذا ليس من صفات المؤرخ خاصة الجبرتي الذي اعتدنا على دقته وموضوعيته ، وربما أن ذلك كان سبباً في حذفه هذا التعليق من عجائب الآثار .

٤- الاستنجاء بالماء ، والاستجمار بالحصى ، ويجوز الاستجمار شرعاً إذا عدم الماء وذلك بمحو أثر البول بثلاث حصوات ولا يجوز استخدام العظم أو الروث الجاف . راجع: الفقه على المذاهب الأربعة .

٥- في النسخة (أ) "على تيسير" ومن عادة الجبرتي دمج كلمتي "كل ما "في "كلما " وأشباهها .

٦- في النسخة (ب) كتبت هكذا"ومنهم من يبقى شعره لعارضيه".

ولا يخلعون نعالاتهم أبداً، ويطأون على الفرش الثمينة، ويمخطون ويبصقون [صـ٣٢] على الفراش ويمسحونه بالمداس.

قوله: "مطمين"(١) صوابه مطميناً لأنه حال فعدوله إلى الرفع فى غير موضعه إشارة إلى أن رفعتهم باستملاك مصر غلطة من الدهر، وأنهم فى أنفسهم(٢) مخفوضون، لا ينتصبون ولا يرتفعون ، ثم ليست هذه أول لحنة ، فإن جميع كلمه ملحون ، ومنشيه ملعون، عجل الله لهم الوبال والنكال، وأخرس منهم عضو المقال، وفرق جمعهم ، وشتت شملهم ، وأفسد رأيهم وأخمد أنفاسهم، وهدم أساسهم، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير ، انتهى.

وفى يوم الخميس الثامن والعشرون من الشهر(٣) وردت الأخبار بأن الفرنسيس زحفوا إلى نواحى فوا، ثم إلى الرحمانية.

وفى يوم الأحد غرة شهر صفر(٤) وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة التاسع والعشرون من شهر محرم، التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس، فلم تكن إلا ساعة، وانهزم مراد بيك ومن معه، ولم يقع قتال صحيح، وإنما هى مناوشة من طلايع العسكرين، بحيث لم يقتل إلا القليل جدا من الفريقين، واحترقت مركب(٥)

١- فى النسخة (ب) "مطمئنين" والاصوب ما كتب بالمتن فى النسخة (أ).
٢- فى النسخة (ب) فى "تعسهم" وهو خطأ من الناسخ. وفى النسخة (أ) "نفسهم" .
٣- الخميس ٢٨ محرم ١٢١٣هـ الموافق ١٢ يوليو ١٧٩٨م.
٤- الاحد غرة صفر ١٢١٣هـ/الموافق ١٥ يوليو ١٧٩٨م.
٥- فى النسخة (ب) "مراكب" حيث الكلام عن حريق مراكب مراد بك كلها ولكن الحقيقة غير ذلك لأن ما يفهم من باقى النسخ أن مركب واحدة هى التى احترقت والتى بها خليل بك الجردلى، ولو كانت المراكب كلها احترقت لما اتفقت النسخ جميعها بما فيها (ب) على أن"المشاة نزلت فى المراكب وانفصل الفريقان بدون طائل" إذ كيف تنزل المشاة فى مراكب محترقة .

مراد بيك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية، واحترق بها رييس الطوبجية خليل الجردلى، وكان قد قاتل فى البحر قتالا عجيباً،[هو ومن انضم إليه من الغليونجية وبقية العسكر والمشاة الذين فى المراكب، مع مراكب الفرنسيس، وأقدم إقدام الأسد، فقدر الله أن علقت نار بالقلع ، فنزل البعض منها إلى البارود الذى فى المركب(1)فاحترقت، فمات هو ومن بالمركب، من المحاربين](2) فلما عاين ذلك مراد بيك، ولى منهزماً وترك الأثقال والمدافع، وتبعته عساكره،والمشاة نزلت فى المراكب وانفصل الفريقان بدون طايل. وقد كانت العلما عند توجه مراد بيك للقتال [ص٣٣] تجتمع فى الأزهر كل يوم لقراءة (3)البخارى وغيره من الأذكار(4) والدعوات وكذلك مشايخ فقرا(5)الأحمدية والسعدية والرفاعية وغيرهم من طرايق الفقرا(6) وأرباب الأشاير كل يوم، يذهبون للأزهر فيجلسون للأذكار والدعاء، وتجتمع أطفال الكتاتيب

١- فى النسخة (ب) كلمة"مركب" تحول دائماً إلى "مراكب". فيما يلى .

٢- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتى عند كتابتة لعجائب الآثار وهو ما يبدو موقفا غريباً، فقد يبدو من المقبول أن يحذف مدحه للدولة العثمانية والوزير يوسف باشا ، أما أن يحذف وصفا لبطولات المماليك فهو أمر غير مبرر ولا مقبول من الجبرتى.
عجائب الآثار – جـ٣، ص ٦.

٣- فى النسخة (ب) "القارة ". وهى خطأمن الناسخ .

٤- هذه الكلمة غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من باقى النسخ .

٥- فى النسخة (ب) "تقراة" وما أثبتناه من باقى النسخ و هو الأصوب.

٦- فى النسخة (ب) "وغير من مشايخ الفقرا"وفى (جـ) " طوايف الفقرا " .

للدعا وتلاوة اسمه تعالى"لطيف" وكل هذا حصل بسببه النفع العظيم، فهو وإن لم يدفع دخول الفرنسيس مصر(1) لكونه أمراً مقضياً محتماً لا يرد بالدعاء، لكن وقع اللطف الجزيل(2) بسبب هذه الدعوات، واجتماع القلوب بمجالس الذكر والاستغفار، وآثار اللطف التي حصلت مشاهده لا تنكر ولله الحمد. ولما وصل خبر الهزيمة لمصر . انزعجت الناس انزعاجاً شديداً، وركب إبراهيم بيك إلى ساحل بولاق ، وحضر الباشا والعلما وروس الناس، وأعلنوا رأيهم في هذا الحادث العظيم، فأجمع الرأى علي عمل متاريس من بولاق إلى شبرا، ويتولى الإقامة ببر بولاق (3) إبراهيم بيك وأمراؤه وكشافهم .

وفي يوم الاثنين(4) حضر مراد بيك إلى بر انبابه وشرع في عمل متاريس هناك (5) من بشتيل (6) إلى آخر انبابة ، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة

1- في النسخة (ب) "مصر الفرنسيس" وما أثبتناه من باقي النسخ وهو الأصوب .

2- كلمة "الجزيل" غير موجودة في النسخة (ب).

3- بولاق: تعود فترة ظهور حي بولاق إلى عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ، الذي شجع القاهريين على البناء والتعمير في أراضي الجزيرة الجديدة التي كونها طمي النيل عاماً بعد عام وسط مجراه تجاه أرض اللوق ، وكثرت المباني والمنشآت بأرض الجزيرة الجديدة التي سميت بولاق وامتد عمرانها حتى اتصلت بشاطئ النيل وبمرور الزمن ازداد عمرانها واتصلت بغيرها من أحياء القاهرة المتاخمة لها وإن بقيت مدة طويلة من تاريخها أشبه ما تكون بضاحية من ضواحي القاهرة.د/ حسين عليوه: بولاق: ضمن ، كتاب القاهرة(الأهرام) 1970 ص 70.

4- الاثنين 2 صفر 1213هـ/ الموافق 16 يوليو 1798م.

5- في النسخة (ب) "هنالك".

6- بشتيل: من القرى القديمة وردت في قوانين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد وفي التحفة من أعمال الجيزية . وذكر أميلينو في جغرافيته قرية باسم "بشتة Bischteh " في عبارة "أن رئيس أبرشية أوسيم هدم معبد بشتة ، ثم قال يوجد بالقرب من أوسيم قرية باسم بشتيل التي تتفق مع هذا الاسم القبطي بعد أبدال الهاء باللام ، فيمكن اعتبار " بشتة " هي الاسم القبطي لقرية بشتيل ، وحصل التعديل في العصر العربي لسهولة النطق . راجع : محمد رمزي ق 2 ، جـ 3 ، ص 58 .

من خشداشينه[1] واحتفل في ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه، هو وعلى باشا الطرابلسي ونصوح باشا، وأحضر المراكب الكبار والغلابين التي أنشأها بالجيزة ، وأوقفها على ساحل انبابه ، وشحنها[2] بالعساكر والمدافع . فصار البر الشرقي والغربي[3] مملوءين بالعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة، ومع ذلك فقلوب الأمرا لم تطمين بذلك فإنهم من حين وصول الخبر لهم من الأسكندرية، شرعوا في نقل أمنعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة، للبيوت الصغار التي لا يعرفها أحد، وصاروا طول الليل في نقل الأمتعة وتوزيعها [ص ٣٤] عند معارفهم وثقاتهم ، وإرسال البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضاً في تشهيل الأحمال، والاستحضار لدواب الشيل وأدوات السفر.وما ذاك إلا للتعويل على الهزيمة، فلما رأى أهل مصر ذلك منهم ؛ داخلهم الخوف والفزع،بحيث أن الأغنيا منهم استعدوا أيضاً للهروب ، ولولا أن الأمرا منعوهم من ذلك لما بقى من الأغنيا ومن له قدرة على الهروب بمصر منهم أحد، قبل دخول الفرنسيس بأيام ، لكن قد منع إبراهيم بيك الناس من النقلة من مصر، وهدد من أراد فعل

١- خشداش: وكذلك خوشداش وخچداش وخوچداش وهي في المعجم الفارسي "خواجه تاش" من الكلمة الفارسية خواجة ومعناها السيد، ومن المقطع التركي"تاش" (أصله داش ويدل على المشاركة) فمعنى خواجه تاش لغويا هوالشريك في السيد ، وتطلق هذه الكلمة بصيغها المختلفة على المملوك ينشأ مع مملوك غيره في خدمة سيد واحد مشترك فهما مولياه وهما أخوي ولاء له " .

د/ أحمد السعيد سليمان-:مرجع سابق، ص ٨٧.

٢- في النسخة (ب) "وأشحنها".

٣- في النسخة (ب) "الغربي والشرقي"

ذلك منهم (١)

وفى يوم الثلاثا(٢) نادوا بالنفير العام، وخروج الناس للمتاريس، وصاروا يكررون المناداة فى كل يوم، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق، وخرج الجميع لبر بولاق ، فكانت كل طايفة من طوايف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خيماً أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم قيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الاخرومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك ، بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم ، وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم ، وسمحت نفوسهم ببذل أموالهم ، فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشئ يملكه ولكن لم

١- الحراك الجغرافى فى القاهرة إبان وصول الحملة: ظلت هذه الظاهرة شبه دائمة فى المجتمع القاهرى، وظل السكان فى حركة جغرافية شبه دائمة، محاولين التكيف بالأوضاع الجديدة ، لقد خبر مجتمع القاهرة على عهد الفرنسيين هذا النوع من الحراك منذ علم القاهريون بقرب وصول الفرنسيين ، وحين تقرر الضرائب الفادحة وحين تهدم المنازل بشكل جمعى بدأت ظاهرة الحراك الفزعى (٨صفر ١٢١٣هـ) حين علم الناس بهزيمة إبراهيم بيك واتجاهه نحو العادلية واستدعائه لحريمه ولنساء من معه من أمراء المماليك ، وتستمر ظاهرة الزحف السكانى طوال الليل اذ يحنو معظم سكان القاهرة حنو المماليك البعض منهم بصحبة حريمه والبعض الأخر أثر النجاة بنفسه.ويمكن القول أن روح الجماعة المعنوية فى هذه الأزمات الحراكية قد تعرضت لهزات عنيفة ، إذ ليس من شك أن ما يقوى هذه الروح المعنوية هو غلبة المشاعر الإيجابية وتعطل السلبية منها ولعلماء النفس تفسيرات عديدة تتضمن ظاهرة انحلال الجماعات بتأثير الذعر الذى يتملكها .

د/ حكمت ابو زيد: المجتمع القاهرى على عهد الحملة الفرنسية ضمن كتاب الجبرتى دراسات وبحوث هـ. م.ع القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٣٥٩.

٢- الثلاثاء ٣ صفر ١٢١٣هـ الموافق ١٧ يوليو ١٧٩٨م .

يـــــساعدهم الدهـــر (١)

وخرجت الفقرا وأرباب الأشاير بالطبول والزمور(٢) والأعلام والكاسات ، وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة، وصعد نقيب الأشراف السيد عمر(٣) للقلعة فأنزل منها بيرق كبير أسمته العامة "البيرق النبوى" (٤) فنشره من القلعة إلى أن وصل به إلى بولاق ، وهو راكب ومعه ألوف [ص٣٥] من العامة بالنبابيت والعصى، يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح (٥) وبصحبته طبول وزمور وغير ذلك وأما مصر فإنها بقيت خالية الطرق ، لا تكاد تجد بها أحداً سوى النسا فى البيوت، والصغار وضعفا الرجال الذين لا يقدرون على الحركة، فإنهم مستترون مع

١-انتظم الحرفيون فى مصر فى طوائف خاصة بهم أشبه بالنقابات فى الوقت الحاضر ولها شيخها وتنظيماتها وقواعدها الخاصة بها وشكلت هذه الطوائف تنظيمات معدة للحركة وقت اللزوم ، وظهر هذا بشكل جلى عند نزول الحملة الفرنسية إلى مصر.

٢- كلمة "الزمور" غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من باقى النسخ .

٣- السيد عمر مكرم: ولد فى مدينة أسيوط من أسرة شريفة تنتسب إلى البيت النبوى الكريم، ولم يحدد تاريخ مولده بالضبط ولكنه على ارجح الاقوال ولد فى حوالى منتصف القرن الثامن عشر وكان أول نشاط سياسى له فى ٢٦ يونيو ١٧٩١م حاملا رسالة من مراد وإبراهيم فى الصعيد إلى محمد عزت الباشا الوالى العثمانى الجديد وكان نجاحه فى هذه السفارة من العوامل الرئيسية التى مهدت الطريق أمام إبراهيم ومراد لعودتهم للحكم فى القاهرة مرة ثانية وكانت مكافأته توليه منصب نقيب الأشراف وشيخ السجادة البكرية بعد وفاة الشيخ محمد البكرى ولعب عمر مكرم دوراً كبيراً في الحياة السياسية المصرية وكان زعيماً شعبياً توفى فى ١٨٢٢هـ بعد أن لاقى العناء من محمد على لمزيد من المعلومات راجع/ د/ عبد العزيز الشناوى: عمر مكرم، دار الكاتب العربى، يوليه ١٩٦٧ ، صـ ٣٥ وما بعدها.

٤- فى النسخة (ب) وردت هكذا "سمته العامة بيرق النبوى" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب.

٥- فى النسخة (ب) "ويكثرون بالصياح" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب .

النسا فى بيوتهم ، والأسواق مجفرة ، والطرق معفرة من عدم الكنس والرش ، وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع[1] الرطل البارود بستين نصفاً[2] والرصاص بتسعين ، وغلا السلاح وقل.وخرج معظم الرعايا بالنبابيت[3] والعصى، ومكث المشايخ والعلما بزاوية على بيك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر، وأقام غيرهم من الرعايا ، البعض بالبيوت والبعض بالزوايا والبعض فى الخيام ، ومحصل الأمر أن جميع ما [4] بمصر من الرجال تحول لبولاق وأقام بها، من حين نصب إبراهيم بيك العرضى هناك ؛ إلى وقت الهزيمة ، سوى ناس قليل[5] لا يجدون [6] لهم مأوى ، فيرجعون لبيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون ببولاق، وأرسل إبراهيم بيك إلى العربان المجاورة لمصر ، ورسم لهم أن يكونوا فى

١- فى النسخة (ب) "يباع".

٢- النصف فضة: نقد تركى أقدم إشارة إليه ترجع إلى سنة ١٥٨٣م ، وقد ضرب أولاً من الفضة بقيمة قدرها أربع أقجات " أخشا "وسرعان ما اختلف مركز " الأخشا " باعتبارها الوحدة النقدية التركية الصغرى حتى أصبحت الفضة تساوى ١:٤٠ من القرش . وفى نظام العملة المجيدى الذى اتبع سنة ١٨٤٤م أصبحت الفضة قطعة صغيرة من العملة النحاسية ، تضرب فى استانبول وفى مصر على السواء ، وقد أطلق الأتراك على الفضة اسم " بارة " الفارسية ويرادف اسم "البارة " والفضة فى عصر الجبرتى " نصف فضة " و"مؤيدى" وقد كانت هذه العمله وسيلة هامة لتحقيق مرونة العمليات التجارية فى مصر .
راجع د/ عبد الرحمن فهمى : النقود المتداولة زمن الجبرتى ، ضمن الجبرتى دراسات وبحوث ، هـ.م.ع ١٩٧٦، ص ٥٧٣ .

٣- كلمة " النبابيت" تكتب فى النسخة (ب) بالدال دائما هكذا "النبابيد".

٤- هكذا فى جميع النسخ ، ويلاحظ أن الجبرتى يستخدم "ما " للعاقل فى أحيان كثيرة .

٥- فى النسخة (ب) "ناس قليلة".

٦- فى النسخة (أ) "لا تجد" .

المقدمة بنواحي شبرا[1] وما والاها. وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرى [2] وغيرهم.

وفى كل يوم [3] يتزايد الجمع ويعظم الهول [4] ويضيق الحال بالفقرا الذين يحصلون قوت يوم بيوم ، لتعطل الأسباب ، واجتماع الناس كلهم فى صعيد واحد ، وتنقطع الطرق ، ويعدو الناس بعضهم على بعض ، لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم من هذا الأمر العظيم.وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على

١- شبرا: كانت شبرا فى ذلك الوقت غير ملتصقة بالقاهرة كما هى الآن ، بل كانت تفصلها مساحة من الأرض الزراعية ، يبلغ طولها حوالى عشرة كم وقد بدأ الاهتمام بشبرا فى عصر محمد على عندما بنى بها قصراً وزرع به الكثير من الحدائق فى شمال فم الترعة الإسماعلية الحالية وأنشأ طريقاً بين القاهرة وهذا القصر الذى اشتهر بحدائقه ونافوراته واقيم على جانبى الطريق الأشجار المظلة من اللبخ والجميز والتوت وعرف أولا هذا الطريق باسم جسر شبرا ثم شارع شبرا. الذى أصبح من أكثر شوارع القاهرة إزدحاماً الآن ، بينما كان يمر وسط الأراضى الزراعية منذ ١٥٠ عاماً راجع د/ عبد الرحمن زكى: مرجع سابق ، ص ١٣٩.

٢- الخبيرى منطقة فى جنوب القاهرة القديمة قرب المعادى الحالية . وأهم عربان البحيرة : أولاد على والجمعيات وهوارة وغيرهم . وأهم قبائل الجيزة : الطرابين والعبابدة وبنى حرام وبلى ، وأهم عربان الصعيد : طرهونة والطميلات والجوابيص والفوايد وغيرهم راجع د/ عبد الله عزباوى : البدو ودورهم فى الثورة العرابية ، مكتبة الكتاب الجامعى ود/ إيمان محمد عبد المنعم : العربان : مرجع سابق ص ٢٧٧ وما بعدها .

٣- امتدت فترة الاستعداد هذه من يوم الثلاثاء ١٧ صفر الموافق ٣ يوليو عندما نودى بالنفير العام ، إلى يوم السبت ٧ صفر الموافق ٢١ يوليو عندما وقعت معركة امبابة.

٤- فى النسخة (ب) "ويكثر الهول".

ساق يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم بعضاً ، وكذلك العرب تغير على الأطراف والنواحى ، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره فى قتل [ص ٣٦] ونهب وإخافة طريق ، وقيام شر ، وإغارة على أموال ، وإفساد مزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد التى لا تحصى ، وطلب أمرا مصر الإفرنج الذين هم تجار بمصر ، فحبس بعضهم بالقلعة ، وبعضهم بأماكن الأمرا ، وصاروا يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنايس والأديرة على الأسلحة . والعامة لاترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود ، فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة فى وقت الفتنة . ثم فى كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر ، وتختلف الناس فى الجهة التى يأتون منها ، فمنهم من يقول يأتون من البر الغربى ، ومنهم من يقول من البر الشرقى ، ومنهم من يقول يأتون من الجهتين ، هذا وليس لأحد من كبرا العسكرين أن يبعث جاسوساً أو يرسل طليعة(١) تناوشهم القتال قبل دخولهم ، بل كل من إبراهيم بيك ومراد بيك ، جمع عسكره ومكث بمكانه لا ينتقل عنه ، ينتظر ما يفعل به ، وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدو (٢)

ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر(٣) وصل الفرنسيس إلى الجسر الأسود.

١- فى النسخة (ب) "أن يبعثوا جاسوساً أو يرسلوا طليعة .

٢- يرجع سبب اختلاف الناس فى الجهة التى يأتى منها الفرنسيون إلى أن القاهرة منذ بنائها لم تغز من طريق الاسكندرية أو رشيد ، ولذلك فإن تحصيناتها تركزت فى الجبهة الشرقية ، وأهم هذه التحصينات الطبع قلعة الجبل ، أما الجهة الغربية فقد كانت خالية من أى تحصينات ، وقد لاحظ ذلك الجبرتى ولكنه لم يدونه فى مظهر التقديس ، فى حين أنه علق على ذلك فى "عجائب الآثار" جـ٣ صـ٧ "وليس ثم قلعة ولا حصن ولا معقل"

٣- الجمعة ٦ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٧٩٨م.

وأصبح يوم السبت(١) فوصلوا إلى أم دينار(٢) فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ، ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزيمتهم ، مختلفة أراؤهم ، حريصون على حياتهم. وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون فى زينتهم ، مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون فى رويتهم ، مغمورون فى غفلتهم ، وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم ، وقد كان [ص ٣٧] الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين [بل أشيع فى عرضى إبراهيم بيك أنهم قادمون من البرين] (٣) فلم يأتوا إلا فى البر الغربى.

ولما كان وقت القايلة(٤) من ذلك اليوم(٥) ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى، وتقدموا إلى ناحية بشتيل، وهى بلدة مجاورة لانبابة ، فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس ، وكرّوا عليهم بالخيول ، فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمى ،

١- السبت ٧ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م.

٢- أم دينار : هى موضع بمصر ذكر فى أخبار فتوح مصر ، وقيل هي قرية كانت بين القاهرة والنيل

اختلطت بمنازل ربض القاهرة. ياقوت الحموى – معجم البلدان – تحقيق فريد عبد العزيز الجندى .

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ ، جـ١ صـ ٢٩٨.

٣- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من باقى النسخ وربما يكون سبب انتشار هذه الاشاعة فى معسكر إبراهيم بك هو عدم رغبتهم فى الانضمام إلى معسكر مراد بك ، وتركه يواجه الفرنسيين وحده ، فأشاعوا ذلك حتى يبرروا بقاءهم فى البر الشرقى. مع أن خط السير الطبيعى من الأسكندرية يكون فى البر الغربى للنيل .

٤- القائلة: الظهيرة ، والقيلولة : نومة نصف النهار أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوما (المعجم الوجيز) والقيل شرب نصف النهار ، يقال "قيله فتقيل أى سقاه نصف النهار فشرب (مختار الصحاح) .

٥- يوم السبت ٧ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م.

وأبلى الفريقان[1]. وفى هذه الكرة استشهد[2] أيوب بيك الصغير[3] ، وعبد الله كاشف الجرف[4] ، وكان عبداً أسود جسيماً معروفاً بالشجاعة والإقدام ، ومات أيضاً عدة من كشاف محمد بيك الألفى ومماليكه . وتبعهم طابور من الإفرنج فى نحو ستة آلاف سرى عسكرهم دزه[5] الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم ، وأما بونابارته فلم يشاهد الوقعة ، بل حضر بعد الهزيمة [6] وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير

١- فى النسخة (ب) "وأبلى الفريقين" والصواب ما أثبتناه بالمتن من النسخة (أ).

٢- من غريب مواقف الجبرتى أنه يبدل كلمة استشهد فى مظهر التقديس بكلمة قتل فى "عجائب الآثار" وكأنه يضن بالشهادة عليهم.

٣- أيوب بك الصغير:من مماليك محمد بيك أبو الدهب ، تولى الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه ، وكان ذا دهاء ومكر ، ويشترى المصاحف والكتب ، ويحب المسامرة وسير المتقدمين ، ويواظب على الصلاة فى الجماعة ، وكان ذا شهامة وصرامة . ولما حضر الفرنسيس عدى إلى بر انبابة قبل الحرب بيومين ، وصار يقول : أنا بعت نفسى فى سبيل الله ولما التقى الجمعان توضأ وصلى وألقى بنفسه وسط المعركة وقاتل حتى استشهد راجع ترجمته فى جـ ٣ من عجائب الآثار .

٤- عبد الله كاشف الجرف : كان عبداً لإسماعيل كاشف الجرف تابع عثمان بيك ذو الفقار الكبيروكان معروفاً بالشجاعة والإقدام كسيده ، وقد أدرك بمصر إمارة وسيادة واشترى العديد من المماليك والجوارى والعبيد واستشهد فى انبابة . راجع : ترجمته فى عجائب الآثار وفيات سنة ١٢١٣هـ .

٥- فى النسخة (ب) تكتب "دزى". فى النسخة(جـ) تكتب "درة " والمقصود هو الجنرال"ديزيه" Desaix.

٦- لا شك أن الجبرتى يكتب هذه المعلومة بالظن والتخمين فقد كان بونابرت فى قلب المعركة حيث رتب فرق جيشه على شكل مربعات ، ووضع المدافع على زاويا كل مربع ، وكانت فرقتا الجنرال ديزيه والجنرال رينيه فى الميمنة ، وفرقتا الجنرال بون وفيال فى الميسرة . وفى القلب كانت فرقة الجنرال دوجا وفيها بونابرت يرسم الخطط ويصدر الأوامر . وبدأ بونابرت بالهجوم من الميمنة على قوات المماليك التى يتألف منها قلب جيش مراد بك وميسرته ؛ ليحول بينهم وبين بقية القوات المرابطة فى انبابة من العربان وغيرهم ، وبذلك اخترق صفوف مراد بك وأحاط بها ودفعها إلى النيل ثم انثنى على انبابة فاستولى عليها . راجع الرافعى مرجع سابق جـ١ ، ص ٢٠٤ .

ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ، ترامى الفريقان بالمدافع ، ورمت عسكر الغليونجية التى فى الغلابين البحرية بالمدافع أيضاً. وكان قد قدم فى صبح هذا اليوم ، عدة من عسكر الأرناؤط من دمياط ، وطلعوا انبابة وانضموا للمشاة من الغليونجية والألضاشات والمغاربة ، وانتظموا معهم فى المتاريس ، [فلما وقع الحرب مات معظمهم ولم ينتقل عن مكانه ، ولم يثبت من هذه الطوايف كلها إلا هذه الفرقة ، بحيث لم ينجح منها إلا القليل ، ولم تتزلزل عن مكانها ، ولم تسلم فى أنفسها ، وهكذا الرجال ، رضى الله عنهم] (١) فلما رأى عسكر البر الشرقى القتال ؛ ركب جماعة من الأمرا الذين به ، وشرعوا فى التعدية إلى البر الغربى فى المراكب ، فتزاحموا على المعادى لكون التعدية من محل واحد ، والمراكب قليلة جداً ، فلم يتمكن الجميع للوصول إلا وقد انهزم العسكر الغربى(٢)

١-يحذف الجبرتى فى عجائب الآثار الكثير من المواقف البطولية للعثمانيين والمماليك التى دونها فى مظهر التقديس ، فنراه هنا يحذف الفقرة التى بين القوسين ، ويضع مكانها وصفاً تفصيلياً لموقف العامة الذى يقف على النقيض من الموقف الذى حذفه، وما كتبه الجبرتى فى عجائب الاثار نصه "فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم يارب ، ويا لطيف ، ويا رجال الله ونحو ذلك ، وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم ، فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم أن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب ، وضرب الرقاب ، لا برفع الأصوات والصراخ والنباح ، فلا يسمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع!"

٢- لا شك أن هذا موقف غريب من الأمراء أولا لأنهم لم يستطلعوا أمر العدو ، وجلسوا منتظرين حتى فاجأهم من البر الغربى ، ثانيا لأنهم لم يوفروا القدر الكافى من المعادى للعبور إلى الجهة التى يأتى منها العدو، ولذلك فان نصف قوات الأمراء لم تشارك فى المعركة إلا بعد نهايتها ، وكان هذا أحد أسباب الهزيمة . ويدعونا هذا إلى تصديق ما قاله "هنرى لورنس" عن قتال المماليك حيث قال"الواقع أن المماليك لم يكونوا مهيئين البتة لهذا النوع من المعارك ، وهم يجهلون تماما الأنضباط الاوربى، ثم إنهم ، باستثناء حملات على بك وأبو الدهب السورية ، لا يملكون أيه ممارسة قتالية فى المعارك . والحرب بالنسبة لهم ليست غير إحدى أدوات سياسية قائمة على المكائد".راجع هنرى لورنس : الحملة الفرنسية فى مصر – ترجمة بشير السباعى دار سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٤٤ . .

هذا والريح النكبا قد اشتدت [ص ٣٨] فى هبوبها ، وأمواج البحر[1] فى قوة اضطرابها ، والرمال يعلو غبارها ، وتنسفها الريح فى وجوه العسكر ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار ، وكون الريح من جهة العدو ، وفى وجوه المقاتلين ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه . ثم إن الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك،انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب،وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطاً بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله ، وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع ، واشتد هبوب الريح ، وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح ، وصمت الأسماع من توالى الضرب ، بحيث خيل للناظر[2] أن الأرض تزلزلت ، والسما عليها سقطت ، فاستمر القتال نحو ثلاثة أرباع ساعة ، ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربى ، فغرق الكثير من الخيالة فى البحر ، لإحاطة العدو بهم ، وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيراً فى يد الفرنسيس ، وملكوا المتاريس ، وفرّ مراد بيك ومن بقى معه إلى الجيزة ، فصعد إلى قصره ، وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب إلى الجهة القبلية ، وبقيت القتلى[3] والثياب والأمتعة والأسلحة ملقاة[4] ببر انبابة تحت الأرجل. وكان من جملة من ألقى نفسه فى البحر سليمان بيك المعروف بالأغا ، وأخوه

١- يقصد نهر النيل .

٢- فى النسخة (ب) "القتلا".

٣- فى النسخة (ب) "خيل للناس".

٤- فى النسخة (ب) "ملقات".

إبراهيم بيك ، فأما سليمان بيك فنجا وغرق إبراهيم بيك المعروف بالصغير[1] ولما انهزم العسكر الغربي حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها ، فقامت صيحة عظيمة ببر بولاق[2] وركب إبراهيم بيك والباشا والأمرا والعسكر والرعايا ، وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيئاً، فأما ابراهيم بيك والباشا والأمرا [ص٣٩] فذهبوا إلى جهة العادلية ، وأما الرعايا فهاجوا إلى جهة المدينة ودخلوها أفواجا وهم في غاية ما يكون من الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ، ويبتهلون إلى الله تعالى من شر هذا اليوم العصيب[3] والنسا يصرخن بأعلى أصواتهن في البيوت . وقد كان ذلك قبل الغروب ، فلما استقر إبراهيم بيك بالعادلية ، أرسل فأخذ حريمه ، كذلك من كان معه من الأمرا ، فأركبوا النسا بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال ، والبعض ماش كالجواري والخدم .

واستمر معظم الناس طول الليل[4] خارجين من مصر البعض بحريمة ، [والبعض ينجو بنفسه، وليس أحد مع أحد ، بل كان كل واحد مشغول بنفسه عن

١- إبراهيم بك الصغير : هو إبراهيم بيك المعروف بالوالي ، وهو من مماليك محمد بيك أبي الذهب ، وتقلد الزعامة بعد موت أستاذه ، ثم تقلد الإمارة والصنجقية ، وتولى إمارة الحاج عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م ولم يسافر به . وتزوج من ابنة إبراهيم بيك الكبير ، ولم يزل في سيادته وإمارته حتى حضر الفرنساوية ووصلوا إلى امبابة ، فمات يومها غريقاً في النيل ولم تظهر جثته . راجع ترجمته كاملة في جـ٣ من عجائب الآثار في وفيات عام ١٢١٣هـ .

٢- كلمة "بر" غير موجودة في النسخة " أ " وكتبت "ببولاق".

٣- في النسخة (ب) "ويبتهلون" إلى الله من شر هذا اليوم العظيم.

٤- ليلة الأحد ٨ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م.

أبيه وابنه] [1] فخرج فى تلك الليلة معظم أهل مصر ، والبعض لبلاد الصعيد ، والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر ، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه ، لا يقدر على الحركة ، ممتثلا للقضا ، متوقعاً للمكروه ، وذلك لعدم وقلة[2] ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ، ويصرفه عليهم فى الغربة ، فاستسلم للمقدور ، ولله عاقبة الأمور .

والذى أزعج قلوب الناس وهيجهم على الترحال بالأكثر ، أن فى عشا تلك الليلة شاع فى الناس أن الفرنج عدو إلى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة ، وأن أولهم وصل إلى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنسا ، وكان السبب فى هذه الإشاعة ، أن بعض الغليونجية من عسكر مراد بيك الذى كان[3] فى الغليون بمرساة انبابة لما تحقق الكرة أضرم النار[4] فى الغليون الذى هو فيه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة ، أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى ، فمشوا به قليلاً ووقف لقلة الماء فى الطين ، وكان [ص ٤٠] به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة ، فأمر بحرقه أيضاً ، فصعد لهيبه إلى عنان السما ، فلما عاين الناس بالمدينة لهيب النار من ناحية الجيزة وبولاق ، ظنوا بل أيقنوا أنهم حرقوا البلدين ، فهاجوا كلهم [5] واضطربوا زيادة عما هم عليه من الفزع والروع والجزع ،

١- العبارة بين القوسين كتبت فى النسخة (جـ) هكذا " والبعض ينجو بنفسه عن أبيه وابنه " .
٢- فى النسخة (ب) "وقلت"
٣- فى النسخة (ب) "الذين كانوا" وما أثبتناه فى المتن من باقى النسخ هو ما يتفق مع أسلوب الجبرتى ، ومع باقى العبارة.
٤- فى النسخة (ب) " الناس " وهى خطأ من الناسخ .
٥- كلمة "كلهم" غير موجودة فى النسخة (أ).

وخرج أعيان الناس وأفندية (١) الوجاقات (٢) وأكابرهم، ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين ، فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزايمهم للهروب واللحاق بهم . والحال أن الجميع لا يدرون أى طريق يسلكون ، وإلى(٣) أى جهة يذهبون ، وأى محل به يستقرون ، فتلاحقوا وتسابقوا ، وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وأبيع(٤) الحمار الأعرج أو البغل الضعيف ، بأضعاف ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشياً ، أو حاملاً متاعه على راسه ، وزوجته حاملة طفلها، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ، ومشى هو على أقدامه ، وخرج غالب النسا ماشيات حاسرات ، وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصبحها ، وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله(٥) من مال ومتاع ، فلما خرجوا من

١- "أفندى" كلمة تسربت من البيز نطيين إلى الأتراك السلاجقة ، فاندمجت فى التركية ، وفى النصف الثانى من القرن الخامس عشر اطلقت عند الأتراك العثمانيين على المتعلم، وحلت محل كلمة "جلبى" على مر الأيام وفى القرن التاسع عشرأطلقت رسمياً على الأمراء العثمانيين ، كما أطلقت على من علت رتبتهم من رجال الدين المسيحيين وخوطب بهذا اللقب ضباط الجيش إلى رتبة البيك باشى.
أى [المقدم] راجع : د/ مجيب المصرى: مرجع سابق ، ص ٢٤.

٢- الوجاق: من التركية "أوجاق" بضم الهمزة ضمة مبسوطة مفخمة ومعناه الأول فى التركية "الموقدة والمدخنة " ثم اطلق على كل ما ينفخ فيه نار، فأطلق على البيت من وبر أو مدر ، ثم على أهله ثم على الجماعة تتلاقى فى مكان واحد ثم أطلق على الطائفة من طوائف ارباب الحرف وعلى الصنف من أصناف الجند.
راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ١٩٤.

٣- "وإلى" غير موجودة فى النسخة (أ).

٤- "وأبيع" كذا فى جميع النسخ.

٥- فى النسخة (ب) " على قدر ما يحمل".

أبواب البلد ، وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم ، بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر عورته أو يسد جوعته ، فكان ما أخذته العرب شيئاً كثيراً يفوت عن الحصر، بحيث أن الأموال والذخاير التى خرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف ما بقى بها بلا شك لأن معظم الأموال عند الأمرا والأعيان وحريمهم.وقد أخذوه صحبتهم ، وغالب مساتير الناس ، وأصحاب المقدرة خرجوا أيضا بما عندهم ، والذى أقعده [ص ٤١] العجز ، وكان عنده ما يعز عليه من مال أو متاع(١) أعطاه لجاره أو صديقه الواحل ، ومثل ذلك أمانات وودايع للحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه ، وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وعروا ثياب النسا (٢) وفضحوهم وهتكوهن وفيهم الخوندات (٣) والأعيان ، فمنهم من رجع من قريب ، وهم الذين تأخروا فى الخروج ، وبلغهم ما حصل للسابقين ، ومنهم من جازف متكلاً على كثرته وعزوته وخفارته ، فسلم أو عطب ، وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة ، جرى فيها ما لم يتفق مثله بمصر (٤) ولا سمعنا بما يشابه بعضه فى تواريخ المتقدمين ، وما راءٍ كما سمعنا (٥)

١- فى النسخة (ب) " مال أو مصاغ".

٢- فى النسخة (ب) "وجروا ثياب للنساء".

٣- الخوندات:" والخوند" بفتح الخاء والواو وسكون النون ، وهى فى الفارسية السيد العظيم والأمير واستعملت فى العربية لقباً بمعنى السيد والسيدة راجع د/ أحمد السعيد سليمان مرجع سابق ، ص ٩٢.

٤- كلمة "بمصر" غير موجودة فى النسخة (أ).

٥- فى النسخة (أ) "وما راء كمن سمعا " ويقصد الجبرتى أن الذين رأوا ذلك وعاينوه لا يقاسوا به فهو قد سمع هذه الأخبار من الذين عاشوها.

ولما أصبح يوم الأحد المذكور[1] والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ، ومتوقعون حلول الفرنسيس ، ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوأ حال من العرى والفزع ، فتبين أن الفرنج لم يعدوا إلى البر الشرقى ، وأن الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها ، فاجتمع فى الأزهر بعض العلما والمشايخ ، وتشاوروا فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الفرنج ، وينتظروا ما يكون من جوابهم ، ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم ، وآخر صحبته ، فغابا وغابا وعادا[2] وأخبرا أنهما قابلا كبير القوم ، وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم ، فقال على لسان الترجمان : " وأين عظماؤكم ومشايخكم ، لما تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ وطمنهم وبش فى وجوههم ، فقالوا:"نريد أماناً منكم " فقال :"قد أرسلنا لكم سابقاً " يعنون الكتاب المذكور ، فقالوا وأيضاً [3] لأجل اطمينان الناس ، فكتب لهم ورقة أخرى مضمونها :

"من معسكر الجيزة [4] خطاباً إلى أهل مصر":

"إننا أرسلنا لكم فى السابق [ص ٤٢] كتاباً فيه الكفاية [5] وذكرنا لكم أننا

١- الأحد ٨ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٧٩٨م.

٢- فى النسخة (ب) "فغابا وعادا".

٣- فى النسخة (أ) كتبت هكذا"وأيضن"وكثيراً ما تكرر هذا الخطأ فى تلك النسخة فلم نأخذ به

٤- فى النسخة (ب) "عسكر الجيزة ".

٥- بعد موقعة الأهرام (امبابة) أذاع بونابرت منشوراً وجهه إلى سكان القاهرة أكد فيه بعض النقاط التى جاءت فى منشوره الأول ولم يرد ذكر لهذا المنشور فى كتاب الجبرتى ولكن ورد نصه الأصلى باللغة الفرنسية فى مجموعة الوثائق الرسمية الخاصة بالحملة وهذه هى الترجمة العربية للنص الفرنسى " معسكر الجيزة ، فى٤ثيرميدور إلى أهل القاهرة :"إننى مسرور من سلوككم وقد أحسنتم صنعاً بعدم اشتراككم فى مقاومتى ، لقد جئت هنا لأبيد جنس المماليك ، وأحمى التجارة ، وأهل البلاد الأصليين فليطمئن الخائفون ، وليعد الذين تركوا بيوتهم إليها ، ولتقام الصلوات فى المساجد، كما كانت تقام من قبل ، وكما أريد أن تقام دائماً لا تخشوا شيئاً على عائلاتكم وبيوتكم وأملاككم، لاسيما دينكم ، دين النبى الذى أحترمه واقدسه" راجع د/عبد العزيز الشناوى،مرجع سابق،ص ٢٥

لم حضرنا إلا بقصد إزالة المماليك ؛ الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذوا مال التجار ومال السلطان ، ولما حضرنا إلى البر الغربى ، خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقون وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم ، وهرب بعضهم ونحن فى طلبهم ، حتى لم يبق منهم أحداً بالقطر المصرى ، وأما المشايخ والعلما وأصحاب المرتبات والرعية ، فيكونوا مطمينين ، وفي مساكنهم متاجرين[1] ومرتاحين إلى آخر ما ذكرناه "[2] ثم قال لهم لازم أن المشايخ والشرباجية يأتون إلينا لنرتب منهم ديواناً ننتخبه من سبعة أشخاص عقلا يدبرون الأمور[3] ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان الفيومى وآخرون إلى الجيزة ، فتلقاهم وضحك لهم وقال "أنتم المشايخ الكبار؟" فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا ، فقال "لأى شئ يخافون [4] اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديواناً لأجل الراحة " فكتبوا منه عدة مكاتبات [5] بالحضور والأمان ، ثم انفصلوا من عندهم بعد العشا [6] وبقى الناس فى وجل وخوف على غيابهم .

وأصبحوا [7] فأرسلوا الأمانات [8] إلى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات ، والشيخ الشرقاوى ، ومن انضم اليهما من الناس الفارين من ناحية المطرية ، وأما

١- كلمة "متاجرين " غير موجودة فى النسخة (أ).

٢- فى النسخة (أ) "إلى أخر ما ذكر".

٣- فى النسخة (ب) "يدبرون الأمر".

٤- فى النسخة (ب) "يخافوا" والصواب ما اثبتناه من باقى النسخ .

٥- فى النسخة (ب) "مكاتيب".

٦- عشاء يوم الأحد ٨ صفر ١٢١٣ هـ يوافق ٢٢ يوليو ١٧٩٨م.

٧- صباح الاثنين ٩ صفر ١٢١٣ هـ الموافق ٢٣ يوليو ١٧٩٨م.

٨- فى النسخة (ب) " الأمان ".

عمر أفندى نقيب الأشراف ، فإنه لم يطمين ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجى(1) والأفندية .

وفى ذلك اليوم (2) اجتمعت الجعيدية (3) وأوباش الناس (4) ونهبوا بيت إبراهيم بيك ومراد بيك بقيسون وأحرقوه ، ونهبوا أيضاً عدة بيوت من بيوت الأمر وأخذوا ما فيها من فراش ونحاس وأمتعة وغير ذلك ، وباعوه بأبخس الأثمان .

وفى يوم الثلاثا (5) عدت (6) الفرنسيس [ص ٤٣] إلى بر مصر ، وسكن

١- الروزنامجى: رأس الروزنامجى ديوان الروزنامة الذى كان مختصاً بجمع الأموال الأميرية أى إيرادات مصر من الأرض والجمارك والمناصب وصرفها فى الوجوه المقررة لها تحت إشراف الديوان الدفترى ، وكان الروزنامجى فى أوائل العصر العثمانى يحضر من استانبول وظل كذلك إلى النصف الثانى من القرن السابع عشر وفى البداية كان الروزنامجى يلى الدفتر دار فى رئاسة الإدارة المالية فى مصر ولكن بمضى الوقت وبعد أن اصبح الدفردار يختار من بين كبار الامراء المماليك اعاد مقصود باشا (١٦٤٣م) تنظيم خزانة مصر وتنظيم العلاقة بين الديوانين الدفترى والروزنامه ونقلت اليادة الفعلية إلى الروزنامجى ولكن هذا المنصب ايضا ما لبث أن وقع تحت سيطرة البيوت المملوكية فأصبح يتولاه طوال القرن الثامن عشر رجال من بين المماليك .

د/ ليلى عبد اللطيف مرجع سابق ، ص ٣٠١ وما بعدها.

٢-يوم الاثنين ٩ صفر ١٢١٣ هـ الموافق ٢٣يوليو ١٧٩٨م.

٣- الجعيدية : بدو رحل عرفوا بالميل إلى الشغب والنهب والسرقة .

٤-الأوباش : من الناس هم الأخلاط مثل الأوشاب وهم الضروب المتفرقون من الناس: راجع "مختار الصحاح"والجبرتى هنا يقصد الطبقة السفلى من المجتمع القاهرى والتى يطلق عليها فى مواضع أخرى ألقاب مثل "الذعر" و"الحرافيش و " حشرات الناس " .

٥- يوم الثلاثاء ١٠ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٧٩٨م.

٦- فى النسخة (ب) "عدة" والأصوب ما أثبتناه من النسخة (أ).

بونابارته ببيت محمد بيك الألفى بالأزبكية [1] بخط الساكن ، وكان عمّره محمد بيك المذكور سنة تاريخه [2] وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة ، وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة فاخلوه وتركوه بما فيه ، فكأنه كان يبنيه [3] للفرنسيس ، وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية [4] .

١- الأزبكية: حى يتوسط اليوم القاهرة ، كان عبارة عن أرض زراعية تقع إلى الجنوب من خط المقس ، وكانت مياه النيل تغمر تلك الأراضى سنوياً ، وكان يتخلف بها بعد الفيضان بركة ، وكانت أرض هذا الحى عامرة بالبساتين والمناظر ، وفى أيام السلطان قايتباى أواخر القرن ١٥م قام قائده "أزبك" بتعمير المنطقة ومن ثم أخذت البركة وكذا المنطقة اسم معمرها وشيد فيها مسجداً وعرفت المنطقة باسم "الأزبكية".

د/ عبد الرحمن زكى: مرجع سابق ص ١٠ وما بعدها.

٢- فى الهامش الأيسر لصفحة المخطوط (ب) كتب عنوان "عاشر صفر الخير سنة ١٢١٣هـ دخل بونابرته بيت الألفى بالأزبكية". هذا بينما يذكر الجبرتى فى عجائب الآثار أنه (أى الألفى) عمّر القصر فى السنة الماضية أى سنة ١٢١٢هـ .

٣- فى النسخة (ب) "فكأنه كان بناه"

٤-اكتفى الجبرتى بذكر دخول بونابرت إلى القاهرة ، ولكنه أغفل ذكر دخول طلائع الجنود الفرنسيين إلى القاهرة وكيفية معاملتهم للناس وعدم تعديهم على أموالهم ومحلاتهم وإقبال الناس عليهم ، وكأنه خشى من غضب الوزير "يوسف باشا" حيث يبدو ذلك كمقارنة بين ما فعله الفرنسيون وما يفعله الأتراك من نهب وتعدى على المحلات والدكاكين ، وإتماما للفائدة نورد نص الفقرة المحذوفة كما وردت فى عجائب الآثار "وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة إلا القليل منهم، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعديل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون إليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسه ويأخذ البيضة بنصف فضه قياساً على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك مثل السكر ، والصابون والدخان ، والبن فصاروا يبيعون عليهم عليهم بما أحبوا ، وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى" عجائب الآثار جـ٣ ، ص ١١ .

وفى يوم الخميس ثالث عشر صفر[1] طلبوا المشايخ والوجاقلية عند بعــض رؤســـايهم [2] وعينوا [3] عشرة أنفار من المشايخ للديوان ، وهم الشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ خليل البكرى ، والشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان

١- الصواب أن يوم الخميس يوافق ١٢ صفر ١٢١٣ هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٧٩٨م . وهذا الخطأ مكرر فى كل النسخ وكذلك فى عجائب الآثار .

٢- فى عجائب الآثار يذكر الجبرتى أن الذى طلبهم هو قائمقام صارى عسكر، راجع عجائب الآثار، جـ٣ ص ٨

٣- إذا رجعنا إلى النص الفرنسى الذى أصدره بونابرت بتأليف الديوان نجده يختلف ورواية الجبرتى فى بعض النقاط ومنها عدد الأعضاء وبيان أسمائهم وهذا نص الأمر نثبته هنا للمقابلة بينه وبين ما ذكره الجبرتى "معسكر القاهرة فى ٧ ترميدور من السنة السادسة للجمهورية (٢٥ يوليه ١٧٩٨م)."بونابرت عضو المعهد الوطنى" القائد العام ، قرر:

١— تحكم القاهرة من جانب ديوان مؤلف من تسعة أشخاص.

٢- يجتمع الشيوخ السادات والشرقاوى والصاوى والبكرى والفيومى والعريشى وموسى السرسى ونقيب الأشراف السيد عمر ومحمد الأمير هذا المساء ، فى الساعة الخامسة فى منزل كخيا الشاويشية ، وعليهم أن ينتخبوا من بينهم رئيسا لهم وأن يختاروا سكرتيراً من غير الأعضاء ، ويعينوا اثنين من الكتبة والتراجمة يعرفان الفرنسية والعربية ولهذا الديوان حق فى تعيين اثنين من الأغوات لإدارة البوليس وعليه أن ينتخب لجنة مؤلفة من ثلاثة لمراقبة الأسواق وتموين المدينة ، ولجنة من ثلاثة آخرين يكلفون بمهمة دفن الموتى بالقاهرة وضواحيها إلى فرسخين منها.

٣- يجتمع الديوان كل يوم من الظهر ويبقى ثلاثة أعضاء على الدوام بدار المجلس .

٤- يقام على باب الديوان حرس فرنسى وآخر تركى.

٥- على الجنرال برتيية (رئيس أركان الحرب) وقومندان المدينة (الجنرال ديبوى) أن يكونا فى الساعة الخامسة مساء اليوم بدار الديوان لإجراء ما يلزم لأعضائه ، ولكى يأخذا عليهم عهداً ألا يعملوا شيئاً ضد مصلحة الجيش فهنا نرى اختلاف بين هذا النص وبين رواية الجبرتى سواء فى عدد الأعضاء أوفى أسمائهم .

راجع هنرى لورنس - مرجع سابق ، ص ١٥٤.الرافعى - مرجع سابق ، جـ١ ص ٩٨ ومابعدها.

الفيـومى ، والشـيخ مـحـمد المهدى ، والشـيخ موسى السرسى ، والسيد مـصطفى الدمنـهـورى ، والشـيـخ أحـمـد العـريشى[1] والشـيخ يوسف الشـبـرخـيـتى، والشـيخ محمد الدواخلى ، وحضر ذلك المجلس أيضاً مصطفى بيك كتخدا الباشا والقاضى ، وعملوا محمد أغا المسلمانى أغاة مستحفظان [2] وعلى أغا الشعراوى زعيم مصر[3] وحسن أغا محرم أمين احتساب [4] وذلك بإشارة أرباب الديوان ، فإنهم كـانوا ممتنعين من تقليـد المناصب لجنس المـاليك فـعـرفـوهـم أن سـوقـة مـصـر لا يخافـون إلا من الأتراك ، ولا يحكمـهم سواهم ، وهؤلاء الجـمـاعة من أرباب البيوت القديمة ، وقلدوا زين الفقار كتخدا محمد بيك الألفى كتخدا بونابارتة ، ومن أرباب المشورة موسى [5] كافوا وكلوى الفرنساويين ، ووكيل الديوان حنابينو.

١- فى النسخة (ب) "محمد العريشى" والصواب ما أثبتناه.

٢- راجع ما ذكرناه فى هامش سابق .

٣- راجع ما ذكرناه فى هامش سابق .

٤- أمين الاحتساب: نظام الحسبة يرجع إلى العهود الإسلامية الأولى حيث وضع أسسه عمر بن الخطاب ، وقد ورثته مصر العثمانية عن السلطنة المملوكية ، وفى أوائل العهد العثمانى بمصر كان للمحتسب تلك السلطات الواسعة فقد كان المحتسب من رجال القضاء أى كان شخصية دينية كم ، الأصل فى الحسبة ، وفى العصر العثمانى كان المحتسب يقوم بجولاته فى القاهرة لمراقبة الأوزان والمقاييس والأسعار فى الأسواق الرئيسية حيث تباع المواد الغذائية ، وكان ينزل إلى الأسواق وشوارع المدينة للتفتيش عمن يخالفون التسعيرة التى وضعها للاسعار أو من يخالفون الآداب العامة وذلك على رأس موكب مهيب وتدهورت سلطة المحتسب فى أواخر القرن الثامن عشر راجع د/ ليلى عبد اللطيف : مرجع سابق ص ٢٣٦ – عبد الرازق عيسى:القضاة فى مصر فى العصر العثمانى رسالة ماجستير آداب عين شمس ١٩٩٤م .

٥- كلمة "موسى" غير موجودة فى النسخة (ب).

وفيه[1] اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه ، فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت ، فقالوا له هذا من فعل الجعيدية وأوباش الناس ، فقال : لأى شئ يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم على متاع[2] المماليك.فقالوا: هذا الأمر لا قدرة لنا على منعه ، وإنما ذلك من وظيفة الحكام . فأمروا الوالى والأغا بأن ينادوا [ص ٤٤] بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق ، والمنع من النهب ، فلم يستمعوا ولم ينتهوا ، واستمرت الدكاكين مغلقة ، والأسواق على حالها معفرة ، والناس غير مطمينين ، قلوبهم مرجوفة [3] وصدورهم ضيقة . والتفت جماعة الفرنسيس إلى فتح البيوت التى للأمرا ، فصاروا يفتحون الدار ، ويدخلونها ويأخذون منها ما يليق بخاطرهم ، ويخرجون ويتركون الأبواب مفتحة ، فيدخل بعدهم طايفة الجعيدية ، ويستأصلون الباقى[4] واستمروا على ذلك عدة أيام ، ثم إنهم تتبعوا بيوت الأمرا وأتباعهم ، وختموا على بعضها ، وسكنوا بعضها ، فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية ، أو من أهل البلد يعلق له بيرقاً على باب داره ، ويأخذ له ورقة [5] من الفرنسيس ، لا يعرف ما فيها ، ويلصقها على بابه.

وفيه [6] قلدوا برطلين العسكرى الرومى النصرانى ، وهو الذى تسميه العامة "فرط الرمان" وجعلوه كتخدا مستحفظان ، والمذكور من أسافل نصارى

١- أى فى يوم الخميس ١٢ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يوليو١٧٩٨م .

٢- فى النسخة (ب) "بتاع المماليك".

٣- فى النسخة (أ) "مرموقة" .

٤- فى النسخة (أ) " يتأصلون"

٥- فى النسخة (أ) "يعلق له بيرقا على داره فى الباب ، أو يأخذ له ورقة".

٦- أى فى يوم الخميس ١٢ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٧٩٨م .

الأروام (١) العسكرية القاطنين (٢) بمصر ، وكان طوبجياً عن محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة ، فلما قلدوه المنصب ، نزل بموكب من بيت بونابارتة ، وراكب فرس بقلاعية ، وأمامه عدة وافرة من طوايف الأجناد البطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه فروة بزعارة ، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة ، ورتب له بيوك باشى وقلقات ، عينوا لهم مراكز بأخطاط المدينة يجلسون بها ، وسكن اللعين (٣) المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير(٤) بحارة عابدين ، واحتوى عليه بما فيه من الفرش والمتاع والجوار (٥) وغير ذلك [ص ٤٥] وقلدوا إفرنجياً آخر وجعلوه أمين البحرين (٦) وآخر جعلوه

١- فى النسخة (ب) كتبت هكذا " من أسافل الناصارى الأروام " .

٢- فى النسخة (ب) "القانطين" والصواب ما اثبتناه من النسخة (أ) لأن الفارق فى المعنى واضح ، ويبدو أن ذلك سهو من الناسخ.

٣- فى مظهر التقديس يكثر الجبرتى من لعن الفرنسيين وأعوانهم ولكن كلمات اللعنة والسباب والسخرية هذه تحذف على الدوام عند إعادة كتابتها فى عجائب الآثار وسوف نشير إلى كل منها فى موضعها والسبب فى هذا اللعن أن الجبرتى كان يظن أن ذلك يحفظ له مكانته ويقربه من الوزير العثمانى - ولكنه حذفها من العجائب.

٤- فى النسخة (ب) "ببيت يحيا الكاشف الكبير".

٥- فى النسخة (أ) "من فرش ومتاع وجوارى"

٦- أمين البحرين" أطلق هذا اللقب على ملتزم ومدير ساحلى بولاق ومصر القديمة ، وأفادت وثائق المحاكم الشرعية أن لقب الأمين " أو "الملتزم" كانا مترادفين يطلقان على شخص واحد ، ومثلت بولاق منفذاً للقاهرة على النيل ، كما مثلت مصر القديمة المنفذ الثانى للقاهرة الذى ربط بينها وبين صعيد مصر وتجارة السودان وبعض تجارة الجزيرة العربية والهند الصادرة والواردة إلى مصر عبر قوص والقصير ، واستمد هذان الميناءان "بولاق ، ومصر القديمة من النيل أهميتها ، ولقد اعتبر التنظيم المالى لمصر فى القرن السادس عشر كلا من هذين الميناءين مقاطعة مستقلة ثم اتخذتا فى أواخر هذا القرن فى مقاطعة واحدة لمزيد من المعلومات . راجع : د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٢٧ ومابعدها .

أغاة الرسالة (١) وجعلوا الديوان ببيت قايد أغا بالأزبكية بالقرب من الرويعى وسكن به رئيس الديوان ، وسكن دبوى قايمقام مصر ببيت ابراهيم بيك الكبير ، ومجلون سكن ببيت مراد بيك(٢) على رصيف الخشاب ، والروزنامجى سكن ببيت الشيخ البكرى القديم ، ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة ، وكذلك قلدوا دفترداراً إفرنجياً (٣)

ثم إن عساكرهم صارت تدخل إلى المدينة شيئاً فشيئاً حتى امتلأت منهم الطرقات وسكنوا فى البيوت وضاقت منهم الحارات ، ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون (٤) المشتروات بزيادة عن ثمنها ، وهذه من أعظم المكايد لأجل إضلال عقول العامة ، وانهمكوا على أنواع الطعام مثل الكلاب السعرانين (٥) ففجر

١- أغاة الرسالة : هو المشرف على شئون البريد والمراسلات .

٢- هذه العبارة نصها فى النسخة (ب) كالآتى "وسكن دبوى قايمقام مصر بيت ابراهيم بيك الكبير ، ومجلون الوالى على بركة الفيل ، وسكن شيخ البلد ببيت ابراهيم بيك الكبير ومجلون سكن ببيت مراد بيك " وربما أن العبارة أصلها "وسكن دبوى قايمقام مصر ببيت إبراهيم بيك الكبير شيخ البلد على بركة الفيل ، وسكن مجلون ببيت مراد بيك " وكلمة "مجلون " كتبت فى النسخة (جـ) "فجلون " .

٣- فى النسخة (ب) "دفتردار افرنجى" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٤- فى النسخة (ب) "ويأخذ" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٥- هنا يصف الجبرتى الفرنسيين بالكلاب السعرانين ويعتبر عدم اعتدائهم على ممتلكات الناس مكيدة ، كما يعتبر إقبال العامه عليهم فجراً ، ولكن الجبرتى فى عجائب الآثار يحذف وصف " الكلاب السعرانين " ولا يرى فى عدم اعتدائهم على الناس مكيدة وهاك نص تلك اليومية كما وردت فى عجائب الآثار للمقارنة بينها وبين ما أورده الجبرتى هنا "ثم إن عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئاً فشيئاً ، حتى امتلأت منها الطرقات ، ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ، ففجر السوقة وصغروا أقراص الخبز وطحنوه بترابه وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم ، يبيعون فيها أصناف المأكولات ، مثل الفطير ، والكعك ، والسمك المقلى، واللحوم ، والفراخ المحمرة ، وغير ذلك ، وفتح نصارى الاروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم "عجائب الآثار جـ٣ ص ١٢

السوقة (١) وصغروا الخبز ، وطحنوه بترابه ، وباعوا البيضة بنصف فضة ، بعد أن كانوا يبيعون كل أربع بيضات بنصف ، وفتح الناس عدة دكاكين بجوارهم يبيعون فيها أصناف المأكولات ، كالفطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك ، وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع المسكرات ، وعدة خمامير وقهاوى ، وطافت جماعة من النصارى فى الأسواق تبيع العرقى كسقاة الماء ، وصاروا ينادون به فى الأسواق (٢) بلغتهم وفحش ذلك جداً.

وفيه تشفع(٣) أرباب الديوان فى أسرى المماليك فقبلوا شفاعتهم واطلقوهم فدخلوا الجامع الأزهر وهم فى أسوأ حال ، وعليهم ، [ص ٤٦] الثياب الزرق المقطعة ، فكثوا به يأخذون من صدقات الفقرا المجاورين به ، ويتكففون المارين ، وفى ذلك عبرة للمعتبرين .

وفى يوم السبت ، (٤) اجتمعوا بالديوان ، وطلبوا دارهم سلفة ، وهى مقدار

١- فى النسخة (ب) "ففجروا السوقة ".

٢- فى النسخة (ب) "ينادون فيه بالأسواق " .

٣- فى اليوميات الأربع السابقة لم يحدد الجبرتى تاريخا دقيقا لها ، وأنما اكتفى بذكر كلمة "وفيه" ولسنا ندرى أيقصد اليوم أم الشهر ، فان كان يقصد "في اليوم المذكور" فأن تاريخ هذه اليوميات هو يوم الخميس ١٢ صفر ١٢١٣هـ ٢٦ يوليو ١٧٩٨، أما الشهر فهو صفر ١٢١٣هـ ، وعلى أية حال ، فكما يتضح من سياق الحديث ، ومما ذكرناه فى الدراسة التى أعددناها بأول هذا الكتاب أنه يقصد اليوم ، وليس الشهر . وقد وقعت هذه الأحداث فى الفترة من يوم الخميس ١٢ صفر إلى يوم السبت ١٤ صفر تاريخ اجتماع الديوان للمرة الثانية : كما سيأتى ذكر ذلك ، حيث يسير الجبرتى على نظام تسلسل اليوميات بحرص شديد .

٤- يوم السبت ١٤ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٧٩٨م.

خمساية [1] ألف ريال ، من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام ، وتجار الأفرنج ايضا ، فسألوا التخفيف فلم يجابوا ، فأخذوا فى تحصيلها .

وفيه [2] نادوا على من أخذ شيئاً من نهب البيوت ، يحضر به إلى بيت قايمقام ، وإلا يحصل له مزيد الضرر ، ونادوا أيضاً على نسا الأمرا بالأمان ، وأنهن يسكن بيوتهن [3] وإن كان عندهن شئ من متاع أزواجهن ، يصالحن على أنفسهن ويأمنَّ فى دورهن ، فظهرت الست نفيسة[4] زوجة مراد بيك وصالحت على نفسها وأتباعها من نسا الأمرا والكشاف بماية[5] وعشرين الف ريال

١- فى النسخة (أ) "خمساة" وكذلك فى النسخة (جـ) .

٢- أى فى يوم السبت ١٤ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٧٩٨م .

٣- فى النسخة (ب) "وأنهم يسكنوا بيوتهم " والصواب ما اثبتناه من النسخة (أ)

٤- السيدة نفيسة المرادية : جارية شركسية الأصل اشتراها وأعتقها على بك الكبير ثم تزوج بها فصارت بمثابة ملكة مصر ، وبنى لها قصراً عظيماً بالأزبكية بدرب عبد الحق ، ولما مات تزوج بها مراد بك ، فاحتفظت بمكانتها ونفوذها ، وكانت على جانب كبير من التثقيف والتهذيب ، تعلمت العربية قراءة وكتابة وأقبلت على الكتب العلمية تطالعها وتدرسها فاكتسبت محبة العلماء لها ، واجتذبت قلوب الشعب بما اشتهرت به من البر والإحسان ورفع المظالم وحماية الضعفاء ، وقد أهدتها حكومة فرنسا قبل الحملة ساعة مرصعة بالماس قدمها لها القنصل مجالون اعترافا لها بمبراتها ، وفى زمن الحملة وبعد هزيمة مراد بك وهروبه إلى الصعيد بقيت فى القاهرة فكانت هدفا لفرض الاتاوات ، على أن قواد الجيش كانوا يعاملونها باحترام توفيت فى ١٢٣١هـ/١٨١٦م وقد ترجم لها الجبرتى فى وفيات هذا العام . راجع عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار جـ٤ ، وراجع أيضاً عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ص ٢٦٢ .

٥- فى النسخة (أ) " بماة " ، هذا بينما يذكر الرافعى أنها صالحت بـ ٦٠٠ ألف فرنك - الرافعى - مرجع سابق : جـ١ ص ٢٦٤ .

فرانسه ، وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ، ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النسا بالوسايط ، فجمعوا شيئاً كثيراً ، فصار الديوان عبارة عن قَطْع الجرايم ، وعمل المصالحات ، وكتبت أمانات للغز والأجناد المختفين الغايبين بالقرى ، بحضورهم ومصالحتهم عن أنفسهم ، فانتفع كثير من الوسايط المتداخلين فى ذلك كنصارى الشوام والإفرنج البلديين (١) وغيرهم ، فصاروا يعملون إرهاصات على الناس ، وتخويفات وتخيلات وغير ذلك مما يطول شرحه ، استجلاباً للأموال.

وفى يوم الأحد(٢) طلبوا الخيول والجمال والسلاح فجمعوا شيأ كثيراً حتى الأبقار والثيران ، وحصل فى ذلك مثل ما حصل فى المصالحات ، وجمعوا من ذلك شيا كثيراً وأشاعوا [ص ٤٧] التفتيش بسبب ذلك وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره ، وأخذوا ما وجدوه منها من السلاح ، من غير ثمن .

هذا وفى كل يوم ، ينقلون على الجمال والحمير ، من الأمتعة والفرس والصناديق والسروج وغير ذلك من البيوت ما لا يحصى ، ويستخرجون الخبايا ويأخذون البنايين والمهندسين والخدم الذين يعرفون بيوت أسيادهم ، ببدلوهم على محلات الخبايا (٣) والدفاين.

وفيه (٤) قبضوا على شيخ الجعيدية ومعه آخر ، وبندقوا عليهما ببركة

١- فى النسخة (ب) "الافرنج البلدى" .

٢- يوم الأحد ١٥ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٧٩٨م.

٣- كلمة " الخبايا " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٤- أى فى يوم الأحد ١٥ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٧٩٨م .

الأزبكية ، ثم على آخرين أيضاً بالرميلة (1) وأحضروا شيأً كثيراً من المنهويات.

وفى يوم الثلاثا (2) طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق، وقرروا عليهم جملة يعجزون عنها من المال ، ويزعمون أنها سلفة إلى ستين يوماً ، فضجوا واستغاثوا ، وذهبوا إلى الجامع الأزهر ، والمشهد الحسينى ، واستشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ، فأضعفوها إلى النصف ، ووسعوا لهم فى أيام المهلة.

وفيه(3) شرعوا فى تكسير الدروب والبوابات النافذة ، وخرج عدة متفرقة (4) من عساكرهم ، يخلعون ويكسرون أبواب الدروب والعطف والحارات ، واستمروا على ذلك عدة أيام ، وعند (5) وقوع هذه الأمور ، داخل الناس من الفرنسيس (6) خوف شديد ، وتجسم عندهم الفزع وغلب عليهم الوهم وفساد المخيلة ، ووسوست لهم (7) نفوسهم بمعان نطقوا بها ، وتصوروا حقيقتها ، وتناقلوها فيما بينهم ، كقولهم أن عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم فى صلاة الجمعة ،

1- الرميلة: يطلق عليها أسماء أخرى مثل قراميدان ، وهى توجد أمام باب العزب ويوجد بها جامع المحمودية والسلطان حسن والرفاعى ، وهو ميدان القلعة فى الوقت الحاضر .
راجع : محمد بن أبى السرور البكرى- الروضة المأنوسة – مصدرسابق ، ص 75، هامش4.

2- يوم الثلاثاء 17 صفر 1213هـ الموافق 31 يوليو 1798م.

3-أى فى يوم الثلاثاء المذكور سابقاً .

4- كلمة "متفرقة"غير موجودة فى النسخة (أ).

5- كلمة "عند" غير موجودة فى النسخة (ب)

6- فى النسخة (ب) " داخل الناس من الفرنسا خوف"

7- فى النسخة (ب) "وسوست عليهم" .

ومنهم من يقول غير ذلك ، وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض الاطمينان ، وفتحوا الدكاكين ، فلما حصلت هاتان النكتتان (١)انكمش الناس ثانياً.

وفي عشرينه (٢) [ص ٤٨] حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب أرباب الديوان إلى باش عسكر ، وأعلموه بذلك ، وطلبوا منه أماناً لأمير الحاج، فامتنع وقال : "لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتى من غير مماليك ولا عسكر ، ويكون كآحاد(٣) الناس" فقالوا له ومن يوصل الحجاج ، فقال : "نرسل أربعة آلاف من العسكر يوصلوهم إلى مصر" فكتبوا لأمير الحاج فعرفوه بما جرى من الأول للآخر بالملاطفة (٤)وأنه يحضر بالحجاج إلى الدار الحمرا(٥) وبعد ذلك يحصل الخير، فلم تصلهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بيك يطلبهم للحضور إلى جهة بلبيس ، فعرجوا على بلبيس (٦) وأقاموا هناك أياماً ، وكان إبراهيم بيك ومن معه ارتحل (٧) من بلبيس إلى الصوة (٨) وأرسلوا

١- فى النسخة (ب) "فلما حصلت هؤلاء الحال"

٢- يوم الجمعة ٢٠ صفر ١٢١٣هـ الموافق١٣ أغسطس ١٧٩٨م.

٣- فى النسخة (ب) "كإحدى الناس".

٤- فى النسخة (أ) "فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة"

٥- الدار الحمرا : وهى فى النسخة (ب) "دار الحمرا". وهى إحدى المحطات الهامة على طريق الحج إلى السويس .

٦- فى النسخة (ب) "فتوجهوا إلى بلبيس"

٧- فى النسخة (ب) "رحل".

٨- الصوة : من القرى القديمة ، دلت الأبحاث على أن اسمها القديم "سوق الشتا" ، وردت به فى قوانين ابن مماتى ، وفى التحفة من أعمال الشرقية ، وفى تحفة الإرشاد وردت "سوق الشتى" ووردت فى خريطة الحملة الفرنسية الصوة كشت "وفى دليل ١٢٢٤هـ "سوق الشتا " وكفورها ، ووردت باسمها الحالى فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ وكانت تابعة لمركز الزقازيق ولكنها الآن تتبع مركز أبو حماد.محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى ، جـ١ ، ص ٦٥.

الحريم إلى القرين (١).

وفى ثالث عشرينه (٢) خرجت طايفة من العسكر (٣) الفرنساوى ، إلى جهة العادلية (٤) وصاروا فى كل يوم تخرج طايفة بعد أخرى (٥) ويذهبون إلى جهة الشرق.

فلما كان ليلة الأربعا سـادس عشرينه (٦) خرج باش العسكر ، وكانت أوايلهم وصلت إلى الخانكة (٧) وأبو زعبل (٨) فطلبوا كلفة من أبو زعبل فامتنعوا

١- القرين : إحدى القرى القديمة أيضاً وتتبع الان مركز أبو حماد بالشرقية .

٢- يوم الأثنين:٢٣ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م.

٣- فى النسخة (ب) "طايفة من الفرنساوية ".

٤- العادلية : هى العباسية فى الوقت الحاضر وعرفت بالعادلية ، نظرا لوجود مقام يعرف بمقام العادل وما زال موجوداً بها حتى الآن . وكانت منفصلة عن القاهرة ، وأول من اهتم بتعميرها هو الخديوى عباس حلمى الأول وبنى بها قصراً ، ولذلك سميت بأسمه .

٥- فى النسخة (ب) "طايفة بعد طايفة".

٦- الصواب أن يوم الأربعاء يوافق ٢٥ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٨ اغسطس ١٧٩٨م.

٧- الخانكة: يستفاد مما ذكره المقريزى فى الخطط عند الكلام على "خانقاه سرياقوس" أنه فى سنة ٧٢٣ هـ انشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون خانقاه أى دار للصوفية وتمت هذه العمارة فى ٧٢٥ هـ وبنى بجوار الخانقاه مسجداً وحماماً وعمر قصوراً وبيوتاً جليلة ، وقد أقبل الناس على البناء والسكن حول هذه الخانقاه حتى صارت بلدة كبيرة ، تعرف بخانقاة سرياقوس لقربها من "سرياقوس" وقد بقيت هذه البلدة تابعة إلى ناحية سرياقوس وفى تربيع ٩٣٣ هـ فصلت من سرياقوس بزمام خاص بها ، وبذلك أصبحت ناحية قائمة بذاتها ، ويقال لها الخانقاة أو الخانكاة السرياقوسية محمد رمزى - مرجع سابق القسم الثانى ، الجزء الأول ، ص ٣٢ .

٨- أبو زعبل : قرية قديمة اسمها الأصلى: "القصير" وردت فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية ولكن فى آخر أيام دولة المماليك عرفت باسم "أبو زعبل" فورد فى كتاب وقف محرر فى ١٠ رجب ٩٢٦هـ عن أرض وقفها "خاير بك" وورد فى دليل ١٢٢٤هـ "القصير" وهو أبو زعبل بولاية قليوب وفى تأريع سنة ١٢٢٨ باسمها الحالى محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى جـ١ ، ص ٣١ .

فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلد وأحرقوها ، وانتقلوا إلى بلبيس وأما الحجاج فانهم نزلوا بلبيس ، واكترت[1] حجاج الفلاحين من العرب[2]، فأوصلوهم إلى بلادهم من الغربية[3] والمنوفية [4]والقليوبية وغير ذلك ، وكذلك فعل ذلك غير الفلاحين الكثير من الناس [5] الحجاج ، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم ، ومنهم من أقام ببلبيس ، وأما أمير الحاج صالح بيك ، فإنه لحق بإبراهيم بيك ، وصحبته جماعة [6] من التجار وغيرهم [7].

١- فى النسخة (ب) "واستكرت" .

٢- فى النسخة (ب) "مع العرب".

٣- الغربية: تكونت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ، وأطلق عليها الغربية لوقوعها غربى فرع النيل الشرقى ، وفى سنة ١٣١٥ م سميت "الأعمال الغربية " وفى سنة ١٥٢٧م سميت ولاية الغربية ، وفى سنة ١٨٢٦ قسمت إلى خمس مأموريات ، وفى سنة ١٨٣٣م جعلت إقليماً واحداً باسم مديرية الغربية وكانت المحلة الكبرى قاعدة لاقليم الغربية من عهد الدولة الفاطمية إلى سنة ١٨٣٦م حيث نقل ديوان المديرية والمصالح الأميرية من المحلة إلى طنطا راجع محمد رمزى – مرجع سابق ، القسم الثانى ، جـ٢ ، ص ٨.

٤- المنوفية: تكونت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ، نسبة إلى منوف التى كانت قاعدة لها وكانت قبل ذلك مقسمة إلى كور ضم بعضها إلى بعض ، وفى سنة ١٣١٥م سميت باسم"الأعمال المنوفية" وفى١٥٢٧م سميت ولاية المنوفية ،وفى ١٨٢٦ أطلق عليها اسم مأمورية المنوفية ، وفى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية المنوفية وقاعدتها "شبين الكوم" محمد رمزى–مرجع سابق القسم الثانى جـ٢ص١٢٤

٥- فى النسخة (ب) "الكثير من الحجاج" وكلمة "الناس " غير موجودة .

٦- فى النسخة (ب) "ناس من التجار".

٧- فى خطاب لعلماء الديوان إلى شريف مكة ذكروا له قولهم "عندما عاد الحجاج من مكة واقتربوا من القاهرة ذهب القائد العام بنفسه لملاقاتهم فى مديرية الشرقية بعد سماع الأخبار بأن بعض الأعراب اللصوص المجرمين قد سلبوهم متاعهم وخيراتهم . فاستقبلهم الجنود الفرنسيون وزودوا من بقى منهم على قيد الحياة بالخيول والطعام والزاد وأسعفوا الجياع والعطاش وكان القائد العام قبل ذهابه إلى الشرقية قد كتب إلى قافلة الحجاج يطلب منها العودة رأسا إلى القاهرة حيث تجد أحسن استقبال ولكن للأسف هذه الخطابات لم تصل إلى رجال القافلة الذين لاقوا مصيرهم المحتوم وسياسة بونابرت هذه امتداد لما يمكن أن نسميه "سياسة المداراة الإسلامية" وهى التى يطلق عليها خطأ " السياسة الإسلامية لبونابرت"راجع :كوربية دى ليجبيت – العدد رقم ٦ ص١٦ .

وفى ثامن عشرينه [1] ملكوا الافرنج [2] مدينة بلبيس وبها من بقى من الحجاج[3] فلم [ص ٤٩] يشوشوا عليهم [4] وأرسلوهم إلى مصر ، وصحبتهم [5] جماعة من عساكرهم.

فلما كان ليلة الأحد غايته [6] جاء الرايد إلى الأمرا بالصوة ، وأخبرهم أن الفرنج قادمون عليهم ، فركبوا نصف النهار [7] وترفعوا [8] إلى جهة القرين ، وتركوا التجار وأصحاب الأثقال .

فلما طلع النهار[9] حضر اليهم جماعة من العربان واتفقوا معهم على أنهم يوصلوهم إلى القرين ، وعاهدوهم أنهم لا يخونوهم فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم وخانوهم ونهبوا حمولهم وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم [10] وفيهم كبير التجار السيد أحمد ابن المحروقى [11] وكان ما يخصه نحو [12]

١- يوم السبت ٢٨ صفر ١٢١٣هـ الموافق ١١ أغسطس ١٧٩٨م.

٢- فى النسخة (أ) "ملك الفرنج" وما أثبتناه بالمتن أقرب إلى أسلوب الجبرتى. وهو من باقى النسخ .

٣- فى النسخة (ب) "وكان فيها بقية من الحجاج" .

٤- فى النسخة (ب) "فلم يشوشوا على أحد".

٥- فى النسخة (ب) "ومعهم ناس من عساكرهم"

٦- يوم الأحد غاية صفر ١٢١٣هـ/أغسطس ١٧٩٨م.

٧- كلمة "النهار" غير موجودة فى النسخة (ب). وربما الصواب ركبوا نصف الليل .

٨- فى النسخة (ب) "وتوجهوا".

٩- نهار يوم الأحد ١٩ صفر ١٢١٣هـ الموافق ١٢ أغسطس ١٧٩٨م.

١٠- فى النسخة (أ) "وعروهم ثيابهم" .

١١- فى النسخة (ب) "السيد أحمد المحروقى" .

١٢- كلمة "نحو" غير موجودة فى النسخة (ب) .

ثلاثماية [1] ألف ريال فرانسه [2] .

نقوداً ومتجراً من جميع الأصناف الحجازية ، وفعلت [3] العرب معهم مالا خير فيه ، ولحقهم عسكر الإفرنج فذهب السيد أحمد المحروقي ولقى الصارى عسكر [4] وصحبته جماعة من العرب المنافقين ، فشكى له ما حل به ، وبإخوانه ، فلامهم على تنقلهم وركونهم [5] إلى المماليك والعرب ، ثم قبض على " أبو خشبة " شيخ بلد القرين ، وقال له : عرفني عن مكان [6] المنهوبات ، فقال : أرسل معي

١- فى النسخة (أ) "ثلاثماة".

٢-ريال فرانسة:كلمة "ريال" لفظ مقتبس من "real"بمعنى "ملكى" وقد كان الأسبان أول من تداولوا هذا النقد فى الاسواق التجارية وهو عبارة عن النقد الفضى المسمى "بيزو" واطلق "الريال" فى العالم العربى منذ القرن السابع عشر الميلادى على نقود فضية كبيرة منها الفرنسية لذا سمى ريال فرانسة وكان الريال الفرانسة موضوعاً لمضاربة نقدية خطيرة عندما اختلف سعره فى الشام عن سعره فى مصر وذلك فى عهد محمد على، هذا إلى أن سعر الريال الفرانسه كان فى ارتفاع دائم طيلة العصر العثمانى وفى ضوء ما ذكره الجبرتى عنه يبدو واضحا أن صرفه فى ١٧٩٨م كان مائه نصف فضه ، حتى وصل ١٨١٦م إلى ثلثمائة وستين نصف فضة وذلك رغم التشديد فى معاقبة المتزايدين فى سعره إلى حد الشنق على باب زويلة ، وتعليق ريال فرانسة فى أنف المخالفين .

راجع د/عبد الرحمن زكى:النقود المتداولة زمن الجبرتى.ضمن الجبرتى دراسات وبحوث ، هـ.م.ع ١٩٧٦ ، ص ٥٧٨.

٣- فى النسخة (أ) "وصنعت".

٤- فى النسخة (أ) "لاقى صارى عسكر ".

٥- فى النسخة (ب) "محبتهم إلى المماليك".

٦- فى النسخة (ب) "مكانات".

جماعة إلى [1] القرين ، فأرسل [2]معه جماعة من العسكر ، فلما دخل إلى القرين ومعه الجماعة ؛ دلهم على بعض الأشياء فأخذوها[3] الإفرنج ، وتقاسموها ، ثم تبعوه إلى محل آخر ، فأوهمهم أنه يدخل ويخرج لهم أحمالاً كذلك ، فدخل وخرج من مكان آخر ، ولم يرجع فرجع أوليك العسكر بحمل ونصف لاغير وقالوا : هذا الذى وجدناه ، والرجل فرّ [4] من بين أيدينا ، فقال الصارى عسكر : لابد من تحصيل ذلك ، فطلبوا منه الإذن فى التوجه إلى مصر ، فأصحب معهم عدة من عسكره ، فأوصلوهم إلى مصر ، وهم فى أسوأ حال ، وصحبتهم أيضاً جماعة [5] من النسا اللاتى كن خرجن ليلة الحادثة وهم أيضاً [6] فى حالة [ص ٥٠] تسكب عند مشاهدتهن العبرات [7] ويتقطع القلب من توالى الحسرات .

شهر ربيع الأول ١٢١٣هـ [8]

فى ثانيه [9] وصل الإفرنج إلى نواحى شرقى القرين [10] وكان إبراهيم بيك

١- فى النسخة (أ) "فأصحب".
٢- "إلى"غير موجودة فى النسخة (ب).
٣- فى النسخة (أ) "دلهم على بعض الأحمال فأخذها".
٤- فى النسخة (ب) "انهزم".
٥- كلمة "جماعة" غير موجودة فى النسخة (ب).
٦- كلمة "أيضاً" غير موجودة فى النسخة (ب).
٧- فى النسخة (ب) "عند مشاهدتهم العبر" والأصوب ما أثبتناه من النسخة (أ).
٨- العنوان من وضع المؤلف وقد استهل ربيع الأول ١٢١٣هـ فى يوم الاثنين ١٣ أغسطس ١٧٩٨م.
٩- الثلاثاء ٢ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أغسطس ١٧٩٨م.
١٠- كلمة "شرقى" غير موجودة فى النسخة (أ) وفى النسخة (ب) كتب "الشرقى".

ومن مـعـه ، وصلوا إلى الصـالحـيـة (١) وأودعـوا حـملتـهم (٢) وحـريـمهـم هناك ، وضمنوا عليهم العربان وبعض الجند ، فأخبر بعض العرب الإفرنج بمكان الحملة ، فركب صارى عسكر وأخذ معه الخيالة ، وقصد الإغارة على الحملة ، وعلم إبراهيم بيك بذلك أيضاً ، فـركب هو وصـالـح بيك وعـدة من الأمـرا والمماليك ، وتلاقـوا مع الفرنسيس الخيالة الذين كانوا(٣) مع صارى عسكر ، وتحاربوا ساعة أشرف (٤) فـيـهـا الإفـرنج على الهزيمة والدمـار ، لكون خـيـالة الإفـرنج لا قـدرة لهم على قـتـال المماليك ، وإذا الخـبـر وصل إلى إبراهيم بيك بـأن العـرب مـالوا (٥) على الحـملة وقصـدهم نهـبهـا فرجع على أثره بمن مـعـه ، وترك قتـال الفرنسـيس ولحق بالعرب وجلاهم عن متاعه وقتل منهم عدة أشخاص ، وارتحل إلى قطيا (٦) ورجع صارى

١- الصالحية : هذه البلدة انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٤٤هـ بأرض السايح فى أول الرمل بين مصر والشام لتكون منزله للعسكر عند ذهابهم للشام وعند عودتهم ، وردت فى النجوم الزاهرة باسم "المنزلة الصالحية نسبة للملك الصالح "وفى تحفة الإرشاد الصالحية من أعمال الشرقية وفى دليل ١٢٢٤ الصالحية الكبرى لتمييزها من النواحى الأخرى التى باسم الصالحية .
محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى ، جـ٢ ، ص ١١١ .
٢- فى النسخة (ب) "أحمالهم".
٣- فى النسخة (ب) "الذى كانوا".
٤- فى النسخة (ب) " أشرفت ".
٥ - فى النسخة (ب) مالوا إلى.
٦- قطيا: يذكرها ياقوت باسم قطية ، وهى قرية فى طريق الشام قرب الفرما ، ويذكر أن بيوتهم من جريد النخيل ، راجع معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٤٢٩ . ويذكر محمد رمزى أنها من البلاد المندرسة فى نواحى الجفار فى الطريق بين مصر والشام ، بين مدينتى القنطرة والعريش بالقرب من محطة الرمانة راجع : محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الأول . ص ٣٥٠ .

عسكر الفرنسيس إلى مصر ، وترك عدة من عساكره متفرقين فى البلاد (١) فدخل مصر ليلاً ، وذلك ليلة الخميس رابعة.

وفي يوم الجمعة خامسه ، الموافق لثالث عشر مسرى القبطى (٢) كان وفا النيل المبارك ، فأمر كبير الإفرنج بالاستعداد لذلك ، وتزيين العقبة كالعادة (٣)

١- عمل بونابرت على القضاء على قوة غريمه "إبراهيم بك" الموجودة فى "بلبيس" وذلك حتى يمكن إنجاز فتح الدلتا وتأمين حرية مرور قافلة الحج العائدة من مكة لإظهار أن الفرنسيين قادرون على حفظ النظام وإقناع مجمل افريقيا الشمالية بأن العلاقات التجارية والدينية تظل ممكنه دائماً مع مصر ، وفى ١١ أغسطس يتم الوصول إلى الحد الشرقى للدلتا عند الصالحية ، وبالرغم من قدرة المماليك الهائلة على حرب الفرسان إلا أنهم انهزموا فى النهاية وانسحبوا إلى سوريا وأمر بونابرت قبل عودته للقاهرة بإقامة موقع حصين فى الصالحية ، سوف يسمح بتغطية الدلتا وبأن يكون قاعدة انطلاق للعمليات التالية ضد سوريا. راجع هنرى لورنس مرجع سابق ، ص ١٦٩وما بعدها .

٢- الجمعة٥ربيع الأول١٢١٣هـ الموافق ١٧أغسطس ١٧٩٨م ، والموافق ١٣مسرى ١٥١٤قبطية.

٣- عمل بونابرت على التقرب من الشعب المصرى عن طريق مشاركته الاحتفال بأعياده لذا أمر بالاحتفال بوفاء النيل وكان يهدف من وراء ذلك إلى التستر على موقعه أبى قير البحرية لأطول وقت ممكن ووصفت كورييه دى ليجيبت الاحتفال كالآتى: وصف الاحتفال بعيد النيل أول فركتيدور من السنة السادسة للجمهورية (١٢١٣)م

فى الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم توجه القائد العام وبصحبته جميع الجنرالات من هيئة أركان حرب الجيش وكخيا الباشا وأعضاء مجلسه والملا وأغا حرس الباشا إلى مكان مقياس النيل ، حيث احتشدت جماهير غفيرة على ضفافه وضفاف القناة (يقصد الخليج المصرى) وكانت المراكب حاملة الأعلام والزينات وقد اصطف بعض جنود الحامية بأسلحتهم مما ائتلف منه مشهد جميل مترامى الاطراف ولما وصل موكب القائد العام إلى مكان الاحتفال أطلقت المدافع عدة طلقات للتحية وعزفت الموسيقى الفرنسية والعربية بعض المقطوعات أثناء العمل فى قطع حاجز المياة وما أن تم قطعه حتى تدفق الماء إلى القناة وانساب منها بغزارة إلى الريف حول القاهرة لاخصاب أرضه. وقد نثر الجنرال القائد العام الآفا من القطع النقدية على الجماهير كما ألقى قطعاً أخرى ذهبية على موكب مر به ثم خلع على الملا عباءة سوداء كما خلع على نقيب الأشراف عباءة بيضاء ووزع ٣٨ قفطاناً على الضباط وبعدئذ عاد الموكب إلى ميدان الأزبكية يتبعه جمهور ضخم ينشد أناشيد المديح فى النبى وفى الثناء على الجيش الفرنسى ويلعن البكوات لمظالمهم وطغيانهم ويهتف بأن جنود فرنسا جاءت لتخليصهم برحمة الرحمن من الشقاء وفاض النيل فيضاناً لم تشهد البلاد أفضل منه منذ قرن من الزمان وهذه نعمة من نعم الله " كورييه دى ليجيبت العدد ١ ص ٢ .

وكذلك عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج والتنزه فى النيل والمقياس والروضة على عادتهم ، هذا مع ما هم عليه ، مما دهمهم من الفردة ، والحث فى طلبها ، ونهب البيوت ، وإزعاج النسا والجوارى وغيرهن ، ، وأخذهم وحبسهم وعمل المصالحات الخارجة عن الحد[1] وأرسل صارى عسكر أوراقاً لكتخدا الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة [ص ٥١] ومتوليين المناصب وغيرهم ، بالحضور فى صبحها ، وركب معهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره إلى قصر قنطرة السد [2] وكسروا الجسر بحضرتهم ، وعملوا شنك مدافع ونقوط ، حتى جرى الماء فى الخليج ، وركب وهم صحبته حتى رجع إلى داره ، ولم يخرج أحد من الناس فى تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة ، سوى النصارى الشوام والقبط والإفرنج ونسايهم ، وقليل من الناس البطالين ، حضروا فى صبحها بقلوب منكسرة ونفوس ضعيفة .

وفيه [3] تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنكليز إلى ثغر

١- فى النسخة (ب) "الخارجة وغيرها عن الحد".

٢- قنطرة السد : انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عام ١٢٤٥م على الخليج المصرى بالقرب من فمه ، وكانت واقعة فى شارع الخليج المصرى تجاه النقطة التى يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مدرسة الطب وكانت هذه القنطرة موجودة ومعروفه باسم قنطرة المارودى إلى منتصف عام ١٨٩٩م التى تم فيها ردم هذا الخليج وبردمه اختفت هذه القنطرة وقد عرفت بقنطرة السد بسبب السد الذى كان يقام سنوياً من التراب بجوار هذه القنطرة عندما يبدأ ماء النيل فى الزيادة وقت الفيضان لكى يسد الماء ، ومتى وصلت الزيادة إلى سته عشر ذراعا يفتح السد فى احتفال رسمى . د/ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢١٩.

٣- فى النسخة (ب) يوجد عنوان جانبى صغير فى الهامش الأيمن للصفحة كتب فيها "الانكليز" والمقصود بكلمة "فيه " أى فى يوم الجمعة ٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ١٧ أغسطس ١٧٩٨م .

الأسكندرية وحاربوا مراكب الفرنسيس بالمينا وكانت أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام ، وتحدث[1] بها الناس ، فصعب ذلك على الإفرنج وشق عليهم.واتفق [2] أن بعض النصارى الشوام [3].نقل عن رجل شريف يقال له السيد أحمد الزرو من تجار وكالة الصابون بخط الجمالية[4] أنه تحدث بذلك فأمروا بإحضاره وذكروا له ذلك فأنكر ، وقال أنا سمعت من فلان النصرانى ، فأحضروه أيضاً وأمروا بقطع لسانهما[5] أو يدفع كل واحد ماية ريال فرانسة فتشفعوا المشايخ ، فلم يقبلوا ، فقال بعضهم أطلقوهم ونحن نأتيكم بالدراهم فلم يمكن ، فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مايتى [6] ريال فرانسة ، ودفعهم فى الحضرة ، فلما قبضهم ردهم إليه ، وقال فرقوهم على الفقرا ، فأظهر أنه فرقهم كما أشار وردهم إلى صاحبهم[7] فانكف الناس عن التكلم فى شأن ذلك . والواقع أن الإنكليز حضروا فى أثرهم إلى الأسكندرية ، وحاربوا مراكبهم فنالوا منهم

١- فى النسخة (ب) "وتتحادث".

٢- فى النسخة (ب) "واتفقوا".

٣- كلمة "الشوام" غير موجودة فى النسخة (ب).

٤- خط الجمالية: هى أصلا الشارع الواقع بين باب النصر وشارع التمبكشية الذى يقع على ناصيته مسجد ومدرسة الجمالية التى أنشأها "جمال الدين محمود الاستادار" فى عصر السلطان برقوق أول سلاطين المماليك الجراكسة ، وقد استمد شارع الجمالية اسمه من هذه المدرسة ولكن قسم الجمالية هو وحدة إدارية كبيرة مساحتها ٥ ك م وقد كان قديماً هو مدينة القاهرة الأصلية أما الآن وبعد أن توسعت مدينة القاهرة وتضخمت فقد أصبح قسماً من اقسام حى وسط القاهرة ، راجع فتحى حافظ أحمد الحديدى : دراسات فى مدينة القاهرة ، على نفقة المؤلف ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٥ .

٥- فى النسخة (ب) "لسان الاثنين" .

٦- فى النسخة (ب) "ماتين" .

٧- فى النسخة (ب) "أصحابهم" .

وحرقوا قايقهم الكبير المسمى بنصف الدنيا (١) وكان به أموالهم وذخايرهم ، واستمر(٢) بمراكـــبـهم قـبـالة الأســــكندرية(٣) يـــغـدون ويروحــون ، يرصـــدون الفـرنـــسيس[ص ٥٢] وفى ذلك الـــيوم (٤) سـافـر عـدة من عساكرهم إلى بحر ى وإلى الشرقية ، فلما جرى الماء فى الخليج أمر بسد قنطرة الأزبكية (٥) ومنعوا الماء من دخوله إلى البركة ، بسبب وطاقـهم ومعداتهم التى بها.

وفيه سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ، ولماذا لم يعملوه (٦) كعادتهم ،

١- يقصد البارجة " أوريان Orint بمعنى الشرق وهى سفينة القيادة .

٢- فى النسخة (ب) "واستمروا" .

٣- موقعة أبى قير البحرية : لم يكن الفرنسيون يتوقعون عودة نيلسون إلى الأسكندرية مرة أخرى، ولكنه فاجأهم بالعودة بعد أن تزود بالمؤن من "نابلس" ونجح فى هزيمة الأسطول الفرنسى الراسى على الشواطئ المصرية مما أدى إلى تحرج موقف الحملة الفرنسية فى مصر ، وقد حاولوا التقليل من حجم خسائرهم فذكروها كالأتى "وقد بلغت خسائرنا فى معركة أبو قير حوالى ٦٠٠ مقاتل بين قتيل وغريق و٨٠٠ جريح بينهم فقط ١٥٠ جروحهم خطيرة ، أما خسائر الإنجليز فانها تماثل خسائرنا " . راجع كورييه دى ليجيبت – العدد ٤ ، ص ٩١ . ولكن الواقع أن خسائر الفرنسيين كانت كبيرة حيث أغرقت كل سفنهم الكبرى ولم ينج منها إلا أربع سفن فرّت إلى فرنسا وغنم الإنجليز ست سفن سليمة . وقتل أميرال الأسطول الفرنسى برويس ومعظم أركان حربه ونحو ٤٠٠٠ جندى ، أما خسائر الإنجليز فكانت ٢١٨ قتيلاً و٦٧٨ جريحاً ، وأصيبت بعض بوارجهم بتلف وعطب من شدة الضرب راجع الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٢١.

٤- لسنا ندرى أى يوم يقصده المؤلف هنا ، ولكنه على الأرجح يقصد يوم الجمعة ٥ ربيع الأول .

٥- لمزيد من المعلومات راجع د/ حسين عليوه : حى الأزبكية ، منشور ضمن كتاب القاهرة تاريخها وفنونها آثارها ، الاهرام ، القاهرة ، ١٩٧٠ ص ٦٦ وما بعدها.

٦- فى النسخة (ب) "ولماذا يعملوه" وهو خطأ من الناسخ .

فاعتذر الشيخ البكرى بتوقف الأحوال ، وتعطل الأمور ، وعدم المصروف ، فلم يقبل وقال لابد من ذلك ، وأعطى للشيخ البكرى ثلاثماية (١) ريال فرانسة يستعين بها ، فعلقوا أحبالاً وقناديل ، واجتمع الفرنسيس يوم المولد ، ولعبوا ميدانهم (٢) ودقوا طبولهم وأحرقوا حراقة فى الليل ، وسواريخ (٣) تصعد فى الهواء ونفوط.(٤) وفى ذلك اليوم (٥) ألبس (٦) الشيخ البكرى فروة ، وتقلد نقابة

١- فى النسخة (ب) "وأعطا للشيخ البكرى ثلاثماية أريال". وفى النسخة (أ) "ثلاثماة ريال " .

٢- كلمة "ميدانهم "غير موجودة فى النسخة (أ).

٣- فى النسخة (ب) "وشواريخ" .

٤- كان المصريون يختلفون عن حكامهم الجدد (بونابرت) فى اللغة والجنس والعقيدة ، ولم يكن الاختلاف فى اللغة يمثل عقبة ذات بال أمام استقرار الحكم الفرنسى فقد خضع المصريون قبل الحملة قروناً طويلة لحكام يتحدثون ويتعاملون بالتركية ثم أن الفرنسيين حرصوا على مخاطبة المصريين بالعربية عن طريق التراجمة ، ولم يكن الاختلاف فى الجنس عائقاً ذا خطر أما الاختلاف فى العقيدة مع معظم الأهالى فقد كان هو العقبة الرئيسية التى تحول دون تقبل المصريين لحكم غزاتهم الفرنسيين بل التى كانت خليقة بأن تثير عداء العالم الإسلامى كله لفرنسا من هنا اتخذ بونابرت "سياسة المدارة الإسلامية " التى تقوم على أساس احترام المشاعر الدينية للقطاع الأكبر من المصريين ومن مظاهرها الاهتمام الكبير بالاحتفالات الدينية مثل المولد النبوى راجع د/أحمد الصاوى :فجر الصحافة فى مصر هـ.م.ع ١٩٧٥ ، ص ٩٢ وما بعدها.أما عن وصف الفرنسيين للاحتفال فقد جاء كالآتى: "احتفلت البلاد هذه الأيام احتفال رائعا بمولد النبى فأضيئت منازل القائد العام والجنرال "ديبوى" والشيخ البكرى بالأنوار الساطعة طوال خمسة أيام وفى الساعة العاشرة من كل ليلة من ليالى العيد سارت مواكب المسلمين فى المدينة وهى تنشد أناشيد المديح فى النبى كما أقامت حلقات الذكر على أضواء المشاعل وحوالى الساعة الثامنة من ليلة أمس قام بعض جنود الحامية باستعراض عسكرى رائع ثم توجه لفيف من الضباط الفرنسيين بهيئة أركان الحرب يتقدمهم المشاعل ورجال الموسيقى إلى منزل الشيخ البكرى نقيب الأشراف و قد أطلقت طلقات أخرى لدى وصولهم إلى منزل النقيب ، وبعد أن تناول القائد العام طعام العشاء فى مأدبة فاخرة بمنزل الشيخ البكرى ، عاد إلى مقره وأجرى عدد من المصريين ألعاباً نارية وقاموا بها على أحسن وجه " راجع كورييه دى ليجييت – العدد ١ ص ٢.

٥- يقصد المؤلف يوم المولد ١٢ ربيع الأول ٢٤ أغسطس ١٧٩٨م هذا بينما ذكرت كورييه دى ليجييت بأن ذلك حدث فى اليوم التالى للمولد.

٦- فى النسخة (ب) "لبس" وما أثبتناه هو الأصوب.

الأشراف ، ونودى فى المدينة بأن من كان له دعوى على شريف ، فليرفعها للنقيب.

وفيه ورد الخبر بأن إبراهيم بيك والأمرا المصرية استقروا بغزة (١).

وفى خامس عشره (٢) سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنج (٣) إلى جهة الصعيد، وعليهم صارى عسكر متولى على الصعيد اسمه دزه ، وبصحبتهم يعقوب القبطى (٤) ليدبر لهم الأمور ويعمل لهم أنواع المكر والخداع . ويطلعهم على المخبآت ويضع لهم التحيلات (٥) فمنها أنه كان يرسل الجماعة من الإفرنج لقبض

١- غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه ، والعرب تقول قد غز فلان بفلان واغتز به إذا اختصه من بين أصحابه ، وغزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو اقل وهى من نواحى فلسطين ويقال لها غزة هاشم لوجود قبر هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلي الله عليه وسلم بها ياقوت الحموى - معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٠ جـ٤، ص ٢٢٩.

٢- يوم الاثنين: ١٥ ربيع الاول ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ اغسطس ١٧٩٨م .

٣- فى النسخة (ب) "سافر عدة من الإفرنج".

٤- يعقوب: من الشخصيات التى أثير حولها جدل كبير فهناك البعض الذى يراه بطل قومى أول من طالب باستقلال مصر بمساعدة الدول الأوربية ومن هؤلاء الأستاذ شفيق غربال ود/ لويس عوض هذا بينما يراه البعض الأخر خائناً للوطن وأداة استخدمها الاحتلال الفرنسى ليضرب بها أبناء وطنه وهذا هو الأقرب للصواب فقد ذكر الجبرتى العديد من أمثلة قسوة الرجل على أبناء وطنه وتأييده للفرنسيين أثناء ثورة القاهرة الثانية ، وشدته فى جمع الغرامة المالية التى ضربها عليهم كليبر ، وتكوينه للفيلق القبطى لمساعدة الحملة الفرنسية ، كما أنه كان خارجاً عن الكنيسة فهو بحق رجل غريب الأطوار ولكنه وجد من يلبسه مسوح الأبطال لأغراض خاصة . راجع محمد شفيق غربال : مرجع سابق ، ص ٢٠ وما بعدها . وكذلك / أحمد حسين الصاوى: المعلم يعقوب ، دار الفكر ، ١٩٩٠م ، ص ٢٠ وما بعدها .

٥- فى النسخة (ب) "ويصنع لهم الحيل" .

الأموال أو طلب الكلف، ويلبس البعض منهم ملابس العثمانيين [1] ويكتب لهم التحذيرات من المخالفة ، ويذكر لهم أن هذا أمر سلطاني ، فيروج ذلك على كثير من أهل البلاد ويمتثلون الأوامر.

وفيه حضر القاصد[2] الذي كان أرسله الفرنج بمكاتبة وهدية إلى أحمد باشا الجزار [3] بعكا[4] وذلك عند استقرارهم بمصر ، وصحبته اثنان أو ثلاثة

١- في النسخة(ب) "لبس العثمنلي"

٢- كان هذا القاصد أحد ضباط بونابرت واسمه "بوفوزين" وكان يشغل قائد الأسطول النهري والمفوض لديوان القاهرة ، راجع هنري لورنس :مرجع سابق ، ص ٢٠٣.

٣- بعث بونابرت رسالة إلى أحمد باشا الجزار ليتباحث معه حول مستقبل العلاقات بين الفرنسيين وبينه ، وهذا نصها" رسالة بونابرت إلى أحمد باشا الجزار حاكم صيدا وعكا" معسكر القاهرة ٢٢ آب ١٧٩٨ :

"لم آت مصر محاربا المسلمين بل جئتها المحاربة البكوات وأعتقد أني بالقضاء عليهم قد قمت بعمل عادل يوافق مصالحك لأنهم كانوا أعداءك وأنت تعلم حتما أني لما وضعت قدمي في مالطة كان أول عمل عملته أن اطلقت سراح ألفين من أسرى الأتراك الذين قضوا عدة سنين في ذل الأسر والعبودية ، وما وصلت إلى مصر حتى طمأنت خواطر الاهالي وبالغت في احترام العلماء ورجال الدين ومساجد المسلمين ، ولم يلق حجاج بيت الله مثل ما لاقوا من العناية والرعاية مني ولم يحتفل بمولد النبي بمثل ما احتفلت به من الأبهة الكاملة والاحترام العظيم ، وقد بعثت بهذا الكتاب مع ضابط يستطيع أن يوقفك على ميولي ورغبتي في أن أكون معك على صفاء وسلام ، لنتعاون معا على بحث المسائل التي تؤدي لنمو التجارة وخير البلدين ، وأؤكد أنه لا يوجد للمسلمين اصدقاء أخلص من الفرنسيين ، بونابرت . راجع نادر العطار : تاريخ سورية في العصور الحديثة ، دمشق د . ت ، جـ١ ، ص ٢٧٠ ، نقلا عن الوثائق الفرنسية – قسم مصر رقم ٣٠٧٨.

٤- لم ينزل بوفوازين إلى عكا بل إلى يافا ومنها إلى عكا وذلك لأنه قد وقع الخصام من قبل الجزار وبين قنصل فرنسا في عكا فأمر بخروجه منها هو وكل التجار الفرنسيين وقفل مخازنهم وحوانيتهم فذهبوا إلى يافا وكتبوا إلى الدولة العثمانية بالشكوى فأرسلت من الأستانه مأموراً مخصوصاً لأجل إعادتهم ولكن الجزار رفض لأن غيظه كان من ذات القنصل وعندما نزل إلى عكا منع من النزول وهدده سكان وجنود عكا سوء المصير ويرفض الجزار لقاءه وكان مع بوفوزاين تاجرين مسيحين أمرهما الجزار بالنزول إلى البر وأمر بحبسهما . راجع نوفل نعمه الله نوفل: كشف اللثام ، تحقيق ميشال فاضل ، د . جان نخول ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٠م ، ص ٢١٤ .

من نصارى الشوام فى صفة تجار ، ومعهم جانب أرز [1] [ص ٥٣] وكان من خبرهم على ما نقل ، أنهم نزلوا من ثغر دمياط فى مركب من مراكب أحمد باشا ، فلما وصلوا إلى عكا ، وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الإفرنجى ، فنقلوه إلى بعض النقاير[2] ولم يقابله ولم يأخذ منه شيئاً ، وأمره بالرجوع من حيث جاء ، وعوق عنده النصارى الشوام الذين كانوا بصحبته.

وفيه[3] حضر جماعة من الإفرنج ، إلى بيت رضوان كاشف ، بباب الشعرية [4] وصحبتهم مهندس ، فانزعجت زوجته ، وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على بيتها ونفسها بألف وثلاثماية ريال ، وأخذت منهم ورقة لصقتها على باب دارها ، وردت ما كانت وزعته من الأمتعة واطمأنت ، فلما حضر إليها هؤلاء الجماعة ، قالت لهم ما تريدون وقد غلَّقت ما صالحتكم عليه [5] فقالوا لها [6] بلغنا أن عندكى [7] أسلحة وملابس للمماليك ، فأنكرت ذلك ، فقالوا لازم من

١- فى النسخة (ب) " رز " .
٢- النقاير: نوع من السفن الصغيرة.
٣- أى فى يوم الاثنين ١٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ أغسطس ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليوميتين السابقتين .
٤- باب الشعرية: أحد أبواب القاهرة فى سورها الشمالى أنشأه صلاح الدين غربى الخليج المصرى فى المسافة التى بين الخليج وباب البحر وكان يقع فى ميدان العدوى على رأس شارع سوق الجراية قبل توسيع الميدان المذكور ، وكان يفتح من الخارج على ميدان العدوى وشارع الزعفرانى وكل هذه الطرق تقع خارج السور البحرى للقاهرة الذى كان فيه باب الشعرية المذكور وقد أزيل باب الشعرية عام ١٨٨٤ لخلل مبانيه وعرف كذلك باسم باب العدوى راجع د/ عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٢٢
٥- فى النسخة (ب) "وقد دفعت ما صار الصلح عليه"
٦- فى النسخة (أ) "فقالوا لا لها" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .
٧- هكذا فى جميع النسخ والصواب "عندكِ" .

التفتيش [1] فقالت دونكم ، فطلعوا إلى مكان وفتحوا مخبأة[2] فوجدوا بها[3] أربعة وعشرين شروالاً من ملابس الغز ، وبلكات وأمتعة وغير ذلك، ووجدوا فى أسفلها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق والطبنجات، وصناديق بارود وغير ذلك فاستخرجوا ذلك جميعه[4] ثم نزلوا إلى تحت السلالم ، وفحروا الأرض ، وأخرجوا[5] منها دراهم وحجاب ذهب فى داخله دنانير ، فأخذوا ذلك جميعه ، ثم أنزلوا صاحبة الدار ، ومعها جارية بيضا ، فأخذوهما مع جَوَارِهما السود ، وذهبوا بهن فاقمن عندهم ثلاث ليال ، ونهبوا ما وجدوه من فرش وأمتعة ، ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ، قامت بدفعهم وأطلقوها ، ورجعت إلى بيتها ، وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الأسلحة ، ونادوا بذلك ، وأنهم بعد ثلاثة[6] أيام يفتشون البيوت [ص ٥٤] وكل من وجدوا عنده سلاحاً قتلوه ، فخاف[7] الناس من تفتيش البيوت ،وقالوا هذه حيلة على نهب البيوت ، ثم بطل ذلك.

وفى عشرينه[8] قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على إمارة الحاج ،

١- فى النسخة (ب) "فقالوا لها لابد لينا من التفتيش" .

٢- فى النسخة (ب) "مخبا" وفضلنا مخبأة فى المتن لانها تكررت بهذا النطق فيما يلى فى النسخ كلها.

٣- فى النسخة (ب) كتبت هكذا "فجدوا فيها" والصواب ما اثبتناه من النسخة (أ) .

٤- فى النسخة (ب) "عدة كثيرة من الأسلحة مثل بارودات وطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك فأخرجوا جميع ذلك.

٥- فى النسخة (ب) "ثم نزلوا لتحت الأرض وأخرجوا" .

٦- فى النسخة (ب) "ثلاث" والصواب ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ.

٧- فى النسخة (ب) "فخافت الناس" .

٨- يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٧٩٨م.

فحضر إلى المحكمة[1] ولبس من هناك[2] بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونابارتة بتشهيل مهمات الحج [3] وعمل محمل جديد.

وفيه [4] سأل أصحاب حصص الالتزام في التصرف في حصصهم ، فطلبوا حلواناً زايداً عن القانون ، فلم يرتضوا بذلك ، فواعدوهم لتمام التحرير والإملا ، وقالوا كل من كان له التزام وتقسيطه ناطق باسمه يحضره ويمليه ، ففعلوا ذلك في عدة أيام ، والحال على حاله.

وفيه قطعوا كلف وتفاريد على البلاد ، وكتبوا بذلك أوراقاً وذكروا فيها أنها تحسب من المال ، ورتبوا لذلك الصيارف من القبط ، نزلوا في البلاد كالحكام، وبلغوا أغراضهم في المسلمين بالضرب والحبس والإهانة والتشديد في الطلب ، والتخويف بإحضار عساكر الفرنج ، إن لم يدفعوا المقرر بسرعة ، وكل ذلك بترتيب[5] القبط ومكرهم.

١- من ضمن أهم أركان سياسة المداراة الإسلامية التي اتبعها بونابرت مع المسلمين الاهتمام بقافلة الحج المصرى لذا فقد عمل على تعيين أمير للحج وهو مصطفى بك كتخدا أبو بكر باشا الوالي السابق وجاء وصف ذلك الحدث كالآتي :القاهرة في ١٦ فروكتيدور : عين القائد العام السيد / مصطفى أميرا للحج إلى مكة فقد لبس اليوم أمام جميع موظفي الدواوين وأشراف البلد معطفاً جميلاً لونه أخضر لهذه المناسبة وقد أهداه الجنرال بضع جواهر وحصاناً عليه سرج جميل محلى بأحسن كسوة وعند مغادرته الحفل ودعته ست طلقات أطلقتها مدافع بطارية القلعة " . راجع كوربيه دى ليجيبت ، العدد رقم ٣ ، ص ٦ .

٢- في النسخة (ب) "فأحضروه إلى المحكمة وألبسوه هناك" وما اثبتناه من النسخة (أ) هو الاصوب.

٣- في النسخة (ب) "التزم بونابرته بجميع مهمات الحاج" وما اثبتناه هو الاصوب.

٤- أي في يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليومية التالية .

٥- في النسخة (ب) "بتبير"

وفي يوم الخميس خامس عشرينه [1] قتل الفرنسيس رجلاً شريفاً من أهل الأسكندرية بالرميلة ، يقال له السيد محمد كريم بضم الكاف ، وفتح الراء[2] وتشديد الياء وسكون الميم ، وخبر هذا المقتول أنه كان فى أول أمره قبانيا يزن البضايع فى حانوت بالثغر ، وعنده خفة في الحركة ، وتودد فى المعاشرة ، فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن الود ، ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى، ومن له وجاهة وشهرة فى أبناء جنسه ، حتى أحبه الناس ، واشتهر ذكره فى ثغر الأسكندرية [3] ورشيد ومصر،[ص ٥٥] واتصل بصالح بيك حين كان وكيلا لدار السعادة ، وله الكلمة النافذة[4] فى ثغر رشيد ، وتملكها وضواحيها واسترق أهلها ، وقلد أمرها لعثمان [5] خجا فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور ، واتصل بمراد بيك ، فتقرب إليه ووافق منه الغرض ، ورفع شانه على أقرانه وقلده أمر الديوان والكمارك [6] بالثغر ونفذت أحكامه ، وتصدر لغالب الأمور ، وزاد فى المكس والكمرك ، ومصادرات التجار ، خصوصاً الإفرنج ، ووقع بينه وبين السيد أحمد أبو شهبة الحادثة التى أوجبت له الاختفا بالصهريج وموته فيه ، فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الاسكندرية قبضوا على السيد محمد

١- يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٧٩٨م.

٢- فى النسخة (ب) "وفتح الواو" ولكن كلمة"كريم" لا يوجد بها حرف "واو" أصلاً.

٣- غالباً فى النسخة (ب) يستخدم "اسكندرية"

٤- فى النسخة (ب) "الكلام النافذ".

٥- كلمة "عثمان" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٦- النسخة (أ) تكتبها دائماً "الجمارك" ولكن ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ هو الأقرب إلى مصطلح العصر.

المذكور ، وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه في مركب ، ولما حضروا إلى مصر [1] وطلعوا إلى قصر مراد بيك ، وجدوا مكاتيبه إليه في مجلس مراد بيك ، وفيها مطالعته بأخبارهم وبالحث والاجتهاد على حربهم ، وتهوين أمرهم ، فاشتد غيظهم عليه ، وأرسلوا فأحضروه إلى مصر وحبسوه ، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار ، فلم يمكن ، إلى أن كانت ليلة الخميس ، حضر إليه مجلون الملعون[2] وقال له المطلوب منك كذا وكذا من المال قدر يعجز عنه [3] وأجله اثني عشر ساعة ، وإلا يقتل بعد مضيها إن لم يدفع.

فلما أصبح [4] أرسل إلى المشايخ وإلى السيد أحمد المحروقي فحضر إليه بعضهم ، وترجّاهم وتدخل عليهم واستغاث ، وصار يقول :"اشتروني يا مسلمين" وليس بيدهم ما يفتدوه به، وكل إنسان مشغول بنفسه ، ومتوقع لشئ يصيبه.

فلما كان قريب الظهر ، وقد انقضى الأجل أركبوه حماراً ، واحتاط به [5] عدة من العسكر ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، ويقدمهم طبلهم يضربون عليه ،

١- النسخة (ب) تحذف حرف الجر "إلى" وتضع بدلا منها حرف "ل" في معظم الحالات.

٢- معظم ألفاظ اللعنة التي أوردها الجبرتي في مظهر التقديس حذفت بعد ذلك في عجائب الاثار.

٣- قيمة المبلغ كما جاء في أمر بونابرت هو ٣٠ ألف ريال فرانسه والمهلة ٢٤ ساعة ، ولكن الجبرتي يذكر هنا أنها ١٢ ساعة فقط وليس في ذلك تناقض ، لأن مجلون جاءه ليلاً بينما أعدم ظهراً.

٤- صباح يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م.

٥- في النسخة (ب) "وتحاوطوه"

وشقوا به الصليبة (1) [ص ٥٦] إلى أن ذهبوا إلى الرميلة ، وكتفوه وربطوه مشبوحاً ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلوه ، ثم قطعوا رأسه ورفعوها على نبوت ، وطافوا بها جهات (2) الرميلة ، والمنادى يقول : "هذا جزاء من يخالف على الفرنسيس" ثم إن أتباعه أخذوا راسه ودفنوها(3)مع جثته ، وانقضى أمره (4)

وفيه (5) طلب صارى عسكر بونابارتة المشايخ ، فلما استقروا عنده ، نهض بونابارتة من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان أبيض وأحمر وكحلى ، فوضع منهم واحد على كتف الشيخ الشرقاوى ، فرمى به إلى الأرض ، واستعفى وتغير لونه فقال الترجمان :" يا مشايخ أنتم صرتم أحباب

١- الصليبة :الصليبة تعبير هندسى قديم يطلق على تقاطع طريقين رئيسين بشكل صليب تقريباً ، وهنا يتقاطع الشارع الأعظم مع الجسر الأعظم راجع محمد كمال السيد أسماء : ومسميات من مصر القاهرة ، هـ.م.ع ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٢٨٧.

٢- فى النسخة (ب) "ورفعوه على نبود ودوره جهه الرميلة " .

٣- فى النسخة (ب) "ودفنوه" .

٤- "حكم بالإعدام على السيد محمد كريم لثبوت تهمة التخابر مع المماليك بعد أن حلف يمين الإخلاص للجمهورية ، وقد عمل لديهم أيضاً بصفة جاسوس ، وقد صودرت جميع ممتلكاته المنقوله لصالح الجمهورية ونفذ الحكم ظهراً فى ميدان القلعة وقد طاف الجند فى شوارع المدينة برأسه محمولة على قصبية عالية تحمل لافتة مكتوباً عليها ما يلى : " كريم – شريف الأسكندرية حكم عليه بالإعدام لخيانته يمين الإخلاص الذى أداه للجمهورية الفرنسية ولاستمرار علاقاته مع المماليك الذين يعمل معهم بصفة جاسوس هذا هو مصير جميع الخونة والحانثين باليمين" كوربيه دى ليجيبت العدد ٤ ص ٩ .أما فى مصر فقد اعتبر محمد كريم بطلاً قومياً دافع عن بلاده ورفضا دفع الفدية التى طلبها المحتلون وهو عكس ما يذكره الجبرتى من أنه تضرع إلى المشايخ لدفع الفدية له ، بينما تؤكد المصادر الفرنسية أنه رفض دفع الفدية .

٥- أى فى يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م .

صارى عسكر ، وهو قصده تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته ، فإنكم إذا تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس[1] وصار لكم منزلة فى قلوبهم" فقالوا له :"لكن قدرنا ينحط عند الله وعند إخواننا المسلمين" فاغتاظ لذلك ، ورطن بلسانه ، وبلّغ عنه بعض التراجمين أنه قال عن الشيخ عبد الله "هذا لا يصلح للرياسة " ونحو ذلك ، فلاطفوه بقية الجماعة ، واستعفوه من تلك الشالات ، فقال إن لم يكن ذلك ، فلازم من وضعكم الجوكار فى صدوركم ، وهى العلامة التى يقال لها الوردة ، فقالوا :" أمهلونا حتى نتروى فى ذلك" واتفقوا على اثنى عشر يوماً ، وفى ذلك الوقت حضر الشيخ السادات باستدعا ، فصادفهم منصرفين ، فلما استقر به الجلوس بشّ إليه وضحك له صارى عسكر ، وتملق بين يديه بلطيف القول الذى يعربه الترجمان ، وصار يقبل يده تارة وركبته أخرى ، ويظهر له المحبة والصداقة ، وأهدى له خاتماً ألماساً ، وكلفه للحضور عنده من الغد ، وقام وانصرف .

وفى ذلك اليوم (٢) ، نادى جماعة القلقات على الناس ، بوضع العلامات

١- فى النسخة (ب) الناس والعساكر.

٢- فى النسخة (جـ) " وفى ذلك الوقت اليوم " وهو يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م .

المعروفة بالوردة ، وهى عبارة عن ظهور إمارة (١) الطاعة والمحبة عندهم ، فأنف غالب الناس من ذلك ، وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين ، إذ هو مكره ويترتب على عدم الامتثال مزيد الضرر ، فوضعها .

ثم فى عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من العامة ، وألزموا بعض الأعيان ، ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها إذا حضروا عندهم ، ويرفعوها إذا انفصلوا عنهم ، وذلك أياماً قليلة ، وحصل ما يأتى ذكره فتركت.

وفى أواخره (٢) شرع الفرنسيس فى عمل عيد لهم ببركة الأزبكية وسبب

١- صدر قرار من القائد العام جاء فيه : يأمر القائد العام بما يلى:
مادة أولى: يلتزم جميع سكان القطر المصرى بوضع الإشارة ذات الثلاث ألوان على صدورهم مادة ثانية : على جميع المراكب النيلية رفع العلم المثلث الألوان على سارياتها.
مادة ثالثة : ابتداء من أول فاندميير لن يتحدث القادة وحكام المقاطعات والضباط الفرنسيون إلى أى شخص من البلاد إلا إذا كان يحمل الشارة وكذلك في جميع الأقسام المقامة على النيل سيلفت قوادها الفرنسيون وقواد المراكب النيلية المسلحة وقواد الحاميات فى رشيد ودمياط وبولاق ، سيلفتون أنظار أصحاب المراكب النيلية أنه بعد ١٥ فاندميير لن تترك لهم حرية الملاحه النهرية دون رفع العلم المثلث الألوان.
مادة رابعة: أعضاء الديوان فقط هم الذين لهم الحق فى ارتداء الشال المثلث الألوان على أكتافهم.
مادة خامسة: فى أول فاندميير سيرفع العلم المثلث الألوان على سارية أعلى مئذنة فى مصر القاهرة وعلى ساريات اعلى مآذن فى عواصم المقاطعات .
"إمضاء بونابرت" وعلق المحرر على ذلك بقوله : أن بعض سكان القاهرة كانوا قد ارتابوا فى أمر هذا القرار ، فأبى القائد العام إلا أن يبدد بنفسه هذه المخاوف فجمع حوله أعضاء الديوان وبعض الرجال من ذوى النفوذ لدى جماهير الشعب وبعد أن استمع إلى اعتراضاتهم فندها بمهارة بل واستمالهم إلى دعوته إذ وصل به المقام إلى الخوض معهم فى مناقشات دينيه بهرت عقول الأتراك [يستخدم لفظ الاتراك هنا للدلالة على المصريين] واقنعتها وبهذا توصل إلى تبديد جميع مخاوف المطلعين من الرجال وبعد محاضرتين طويلتين ارتدى أعضاء الديوان بأنفسهم الشال المثلث الألوان فى حضرته وأكدوا له أن جميع سكان مصر سوف يرتدونه عما قريب راجع / كورييه دى ليجيبت العدد ٧ ص ١٧.
٢- أى فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ .

هذا العيد أنهم لما قتلوا سلطانهم وظهرت بدعتهم التى ابتكوها ، وخرجوا بها عن الطريق والملل[1]جعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخاً ، وهو موافق للاعتدال الخريفى [2] وهو انتقال الشمس لبرج الميزان ، فنقلوا أخشاباً وحفروا حفراً ، وأقاموا صارياً عظيماً بآلات وبنا ، بوسط بركة الأزبكية ، وردموا حوله تراباً كثيراً عالياً مقدار قامة ، وعملوا فى أعلاه قالباً من الخشب محدد الأعلا ، مربع الأركان ، ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشاً ثخيناً طلوه بالحمرة المجزعة وعملوا أسفلة قاعدة ، نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، وصنعوا مقابل باب الهوا[3] شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص ، وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى ، وفى أعلا [4]القوصرة طلا أبيض وبه تصاوير بالأسود ، مصور فيه مثال حرب المماليك المصرية معهم وهم فى شبه المنهزمين ، بعضهم واقع على بعض ، وبعضهم ملتفت خلف ظهره وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى ، بناحية قنطرة الدكة[5] التى [ص ٥٨] يدخل منها الماء إلى البركة ، مثال بوابة أخرى على غير

١- بينما يعتبر الجبرتى هنا قيام الفرنسيين باعلان النظام الجمهورى بدعة خرجوا بها عن الطريق والملل ، فإنه فى عجائب الآثار يبدو أكثر تفهما لهذا النظام الجديد فيحذف هذا الرأى ويقول "وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخاً"

٢- يبدأ الاعتدال الخريفى يوم ٢٣ سبتمبر ، ولكن الاحتفال تم يوم ٢٢ سبتمبر كما يذكر الجبرتى فيما بعد والمعروف أن التقويم الجمهورى يبدأ بأول فنديمير من السنة الأولى للثورة الفرنسية الموافق ٢٢ سبتمبر ١٧٩٢ وهو اليوم الذى تم فيه إلغاء الملكية فى فرنسا ، وهذا الاحتفال يوافق الذكرى السابعة للجمهورية.

٣- فى النسخة (ب) "الهوى"

٤- فى النسخة (ب) "وعلى القوصرة"

٥- قنطرة الدكة : كانت تقع على خليج الذكر ، عرفت بقنطرة الأمير بدر الدين التركمانى الذى عمرها ولا يعرف شئ عنه. راجع - عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٢١٩.

شكلها لحراقة البارود ، وأقاموا أخشاباً كثيرة منتصبة مصطفة منها إلى البوابة الأخرى ، شبه الدايرة متسعة محيطة بمعظم فضا البركة ، بحيث صار الصارى الكبير فى المركز ، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالاً ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل ، وتماثيل بين ذلك لحراقة البارود أيضاً ، وأقاموا فى هذا العبث (١) عدة أيام (٢).

شهر ربيع الثانى ١٢١٣هـ (٣)

استهل بيوم الأربعا (٤) فيه وردت الأخبار بأن مراد بيك ومن معه ؛ لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم رجعوا إلى جهة الفيوم ، وأن عثمان بيك الأشقر عدّى إلى البر الشرقى ، وذهب من خلف الجبل إلى عند سيده بغزة . وخرج جماعة من الإفرنج إلى جهة الشرق ، ومعهم عدة جمال وأحمال ، فخرج عليهم الغز والعرب الذين يصحبوهم ، فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالهم ولم يلحقوهم.

وفى ثالثة (٥) حضرت مكاتبه (٦) من إبراهيم بيك ، خطاباً للمشايخ وغيرهم ، مضمونها : أنكم تكونوا مطمينين ومحافظين على أنفسكم والرعية ،

١- فى النسخة (ب) "وأقاموا الغيث" .

٢- يوجد وصف تفصيلى لهذا الاحتفال فى كوربيه دى ليجبيت العدد ٨ ، ص ٢١ . ويطول شرحه هنا بغير فائدة كبرى فنحيل القارئ إليها .

٣- العنوان من وضع المؤلف ولكنه من نفس بنط المتن وتاريخ السنة غير موجود فى النسخة (أ).

٤- يوم الأربعاء غرة ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ١٢ سبتمبر ١٧٩٨.

٥- يوم الجمعة ٣ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٧٩٨.

٦- فى النسخة (ب) "مكاتيب".

وإن حضرة [1] مولانا السلطان وجه لنا عساكر وإن شا الله عن قريب نحضر عندكم ، فلما وردت تلك المكاتبة وقد كان سأل عنها بونابرته فأرسلوها له ، وقريت عليه[2] فقال "المماليك كذابون" ووافق أيضاً أنه حضر أغا رومي كان معوقاً بالأسكندرية فمر بالشارع ، وذهب لزيارة المشهد الحسيني فشاهده الناس فاستغربوا هيئته ، وفرحوا برويته ، وقالوا هذا الجي[3] حضر من عند مولانا السلطان بجواب للفرنسيس ، يأمرهم بالخروج من مصر ، واختلفت رواياتهم [ص٥٩] واراوهم ، وتجمعوا بالمشهد الحسيني وتبع بعضهم بعضاً . وصادف أن بونابارتة ، في ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس أنه ورد مكتوب إلى المشايخ أيضاً وأخفوه ، فركب من فوره ، وحضر إلى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسيني ، فلما مرّ بعسكره وطوايفه في ذلك الوقت ، ورآه [4] الناس المتجمعة بخط المشهد الحسيني ، وشاهد هو الآخر جميعتهم ، تحقق الناس ما توهموه ، وداخل الفرنسيس أمر من ذلك أيضاً. وعندما رأى العامة بونابارتة خارجاً من بيت الشيخ السادات راكباً على فرسه ، وخلفه الخيالة بأيديها السيوف المسلولة كعادتهم صاحوا بأجمعهم وقالوا "الفاتحة" بصوت عال فشخص إليهم [5]

١- في النسخة (ب) "حضرت" وجدير بالذكر أن هذه النسخة تكتب التاء المربوطة في أخر الكلمة تاءً مفتوحة غالباً .

٢- في النسخة (ب) " وقريت له " .

٣- الجي هي في التركية "ألجي" بالجيم المشربة ومعناها السفير راجع أحمد سليمان : مرجع سابق ص ٢٥ .

٤- في النسخة (ب) "وراؤه".

٥- في النسخة (ب) كلمة "اليهم" غير موجودة.

وصار يسأل من معه عن ازدحامهم وصياحهم ، فلطفوا له القول ، وكان لما دخل إلى دار الشيخ السادات نزل إليه الشيخ وواجهه ، بعدما انزعج هو وعياله ؛ لورود هؤلاء عليهم فى وقت القايلة علي حين غفلة ، فلما استقر به الجلوس ، سأل عن تلك المراسلة ، فأجابه بعدم علمه بشئ من ذلك ، فألح عليه ، فحلف له وتنصل ، فلم يصدق وقال له لعله (١) وصل إلى غيرك ، فأحضروا الشيخ الشرقاوى وبعض المشايخ ، فجحدوا ذلك ، ثم قام فركب وذهب إلى داره وكانت نكتة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة ، كاد ينشأ منها فتنة ،لولا ألطاف الله تعالى.

وفيه شرعوا فى خلع البوابات والدروب غير(٢)النافذة أيضاً ، ونقلوها إلى بركة الأزبكية لأنهم جمعوا ما قلعوه من البوابات عند رصيف الخشاب ، والبوابة العظيمة يقطعونها نصفين ،ويرفعونها بالعتَّالين إلى هناك ، فاجتمع من ذلك شئ كثير جداً ، وامتلأت من رصيف الخشاب إلى وسط البركة.[ص ٦٠]

وفى يوم السبت حادى عشره (٣) كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا فى صبيحة ذلك اليوم مدافع كثيرة ووضعوا على كل قايم من الخشب (٤) بنديرة من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم (٥)واجتمعت عساكرهم بالبركة الخيالة والرجالة ، واصطفوا صفوفاً على طرايقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان

١- فى النسخة (أ) "وقال لعله".

٢- فى النسخة (أ) "الغير نافذة" والصواب ما أثبتناه من النسخة (ب). وفى النسخة (جـ) " الغير النافذة " .

٣- يوم السبت ١١ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨م.

٤- فى النسخة (أ) كلمة "من الخشب" غير موجودة .

٥- فى النسخة (ب) "وطلبوا ضرب الطبول".

المسلمين والقبطة والشوام ، فاجتمعوا ببيت كبيرهم وصارى عسكرهم بونابارتة ، وجلسوا حصة من النهار ، ولبس النصارى من القبط والشوام ملابس الافتخار ، فلبس جرجس الجوهرى كركة بطرز قصب[على أكتافها إلى أكمامها ،وعلى صدرها شمسات قصب](١) بأزرار ، وكذلك فلتيوس ، وتعمموا بعمايم كشميرى ، وركبوا البغال الفارهة (٢) وأظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم نزل عظماؤهم وصحبتهم المشايخ والقاضى وكتخدا الباشا ، فركبوا وذهبوا للصارى الكبير الموضوع بوسط الأزبكية ، وكانوا فرشوا فى أسفله بسطاً كثيرة ، ثم إن العساكر لعبوا ميدانهم ، وعملوا هيئة حربهم ، وضربوا البندق والمدافع ، فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفاً حول ذلك الصارى ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم (٣) ورقة بلغتهم لا يدرى معناها إلا أهلها ، ولعلها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ ، ثم قاموا وانفض الجمع ، ورجع صارى عسكر إلى داره ، فمد سماطاً عظيماً للحاضرين

فلما كان عند الغروب أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال ، والتماثيل والأحمال التى على البيوت .

١- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (ب) ويبدو أن الناسخ قدترك سطراً سهواً وهذا النقص موجود أيضاً فى طبعتى التربية والتعليم ولجنة البيان العربى.

٢- فى طبعة لجنة البيان العربى كتبت هكذا " بغال القاهرة " بينما فى جميع نسخ المخطوطات " البغال الفارهة ".

٣- من المعروف أن الحملة لم يكن معها قساوسة فالذى قام وقرأ على الملأ بياناً هو أحد الضباط وأسمه بوابيه Boyer الذى قرأ بلاغاً أعده القائد العام واستمع إليه الحاضرون باهتمام بالغ وتقبلوه بالتصفيق الحاد ودوت الهتافات بحياة الجمهورية وليس أحد القسوس . راجع كورييه دى ليجيبت : العدد ٨ ، ص ٢١ .

وعند العشا عملوا حراقة بارود وسواريخ (1) ونفوط ، وشبه سواقي ودواليب من نار ، ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت[ص ٦١] القناديل موقدة حتى طلع النهار ، ثم فكوا الأحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهوا(2) والصارى الكبير ، وتحته جماعة ملازمون الإقامة عنده ليلاً ونهاراً من عساكرهم ، لأنه شعارهم وإشارة إلى قيام دولتهم فى زعمهم ، [عجل الله زوالها من جميع الأرض](3)

وفى ثانى ليلة منه (4) ركب كبيرهم إلى بر الجيزة ، وسفّر(5) عساكر إلى الجهة التى بها مراد بيك ، وكذلك إلى جهة الشرقية ، ومعهم مدافع على عجل .

وفيه (6) أرسل "اللعين"(7) دبوى قايمقام ، إلى الست نفيسة وطلب زوجة عثمان بيك الجوخدار(8) فأرسلت إلى المشايخ تستغيث بهم ، فحضر إليها المهدى

١- فى النسخة (ب) تكتب دائماً " شواريخ ".

٢- فى النسخة (ب) تكتب "الهوى" دائماً والأصوب ما أثبتناه . من باقى النسخ .

٣- هذه العبارة التى بين القوسين محذوفة من "عجائب الآثار".

٤- إذا كان الجبرتى يقصد ثانى ليلة من الشهر فهى توافق يوم الخميس ٢ ربيع الآخر ١٢١٣هـ / ١٣ سبتمبر ١٧٩٨م ، ولكن هذا يخل بترتيب اليوميات والتسلسل التاريخى الذى درج عليه المؤلف ولعله يقصد ثانى ليلة من احتفالهم بعيد الجمهورية وهو يوم الأحد ١٢ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ سبتمبر وهذا هو الأنسب.

٥- فى النسخة (ب) " وأرسل" .

٦- أى فى يوم الأحد ١٢ ربيع ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨م .

٧- حذف الجبرتى هذا اللفظ من عجائب الآثار.

٨- جوخدار فى الفارسية "جوخا" بالجيم المشرية وألف بعد الخاء رداء صوفى قصير وترد بالقاف "جوقه" والجوخ قماش معروف ودار أى صاحب فى الفارسية والجوخدار هو صاحب الجوخ والقيم عليه أو لابسه. وهو موظف غير عسكرى يناط به النظر فى شئون ملابس السلطان فى العصر العثمانى فهو مثل "الجامدار" فى العصرين السلجوقى والمملوكى وقد أطلق عليه فى أواخر عهد العثمانيين لقب " أثوابجى باشى" وكان لقب الجوخدار يطلق أيضاً على الحاجب الذى يفتح الستارة ، ويغلقها على باب الوزير أو الأمير فهو نظير البردار فى العصر المملوكى ، وإنما أطلق عليه جوخدار لأن ملابسه تصنع من الجوخ . راجع - أحمد السعيد سليمان - مرجع سابق ، ص ٧١ .

والسرسى ، وقصدوا منعها فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ، ونظروا فى قصتها ، والسبب فى طلبها أنهم وجدوا رجلاً فراشاً معه جانب دخان وبعض ثياب ، فقبضوا عليه وقرروه ، فأخبر أنه تابعها ، وأنها أعطته ذلك ، وواعدته بالرجوع أيضاً لتسلمه شبكين [1] دخان وفروة وخمساية محبوب [2] ليوصل ذلك جميعه لسيده ، فهذا هو السبب فى طلبها ، فقالوا وأين الفراش فبعثوا لإحضاره ، وسألوها فأنكرت ذلك كله [3] بالمرة ، ، فانتظروا حضور الفراش إلى بعد المغرب ، فلم يحضر ، فقال لهم المشايخ دعوها تذهب إلى بيتها ، وفى غد تأتى ونحقق هذه القضية ، فقال الملعون[4] "نونو" ومعناه بلغتهم النفى ، أى لا تذهب ، فقالوا دعها تذهب هى ونحن نبات عوضاً عنها[5] فلم يرض أيضاً ، وعالجوا فى ذلك بقدر طاقتهم ، فلما آيسوا تركوها ومضوا ،فباتت عندهم فى جهة من البيت ، ومعها جماعة من النسا المسلمات ، والنسا الإفرنجيات .

فلما أصبح النهار [6] ركب المشايخ إلى كتخدا الباشا والقاضى ، فركبا

١- فى النسخة (أ) "شكين" والصواب ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ وكلمة "شبك" أصلها تركية من "شبوق" أو "جبوق" بمعنى نرجيلة أو شيشة .

٢- الزر المحبوب : نقد ذهب تركى ، ضرب فى عهد السلطان مصطفى الثانى ١٦٩٤-١٧٠٣م وهو يزن أربعين حبة أى ٢,٦ جرام وقد أطلق عليه فى تركيا "طغرالى آلتون " وآلتون تعنى الذهب "وطغرالى" نسبة إلى نقش "الطغراء" أو "الطرة" باسم السلطان على أحد وجهى هذا النقد ، وحدد الجبرتى سعره فى ١٧٣٦م بمائتى نصف فضة ، وظل متداولاً حتى عام ١٨٤٤م . د/ عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٥٥

٣- كلمة "كله" غير موجوده فى النسخة (أ) وكذلك غير موجودة في النسخة (جـ) .

٤-حذف الجبرتى لفظ "الملعون" عند إعادة كتابة هذه اليومية فى "عجائب الآثار".

٥- فى النسخة (ب) "عوضها".

٦- نهار يوم الاثنين ١٣ ربيع الاخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨م .

معاً ، وذهبا إلى بيت صارى[1] عسكر الكبير ، فأحضرها [ص ٦٢] وسلمها إلى القاضى ، ولم يثبت عليها شئ من هذه الدعوى الباطلة ، وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة ، وذهبت إلى بيت لها مجاور لبيت القاضى[2] وأقامت فيه لتكون فى حمايته .

وفى يوم الخميس [3] نادوا فى الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة ، يذهب بها إلى بيت قايمقام ببركة الفيل[4] ويأخذ ثمنها ، وإن لم يحضرها بنفسه ، توخذ منه قهراً ويدفع ثلاثماية ريال فرانسة ، وإن أحضرها باختياره يأخذ فى ثمنها خمسين ريالاً قلَّت عن قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس ، ثم ترك ذلك.

وفيه[5] نادوا لوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على

١- فى النسخة (ب) "وذهبا لعند صارى عسكر "

٢- فى النسخة (ب) "وذهبت لبيتها بجنب بيت القاضى"

٣- يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م .

٤-بركة الفيل : كانت هذه البركة تقع فيما بين القاهرة ومصر (شمال الفسطاط) وكانت مساحتها كبيرة ولم تبن فيها مبان ، فلما أنشأ جوهر الصقلى مدينة القاهرة واختط خارج باب زويلة حارة السودان وحارة اليانسية أصبح لا يفصل هاتين الحارتين عن البركة غير فضاء وفى عام ١٢٠٣م عمرت البركة وكثرت مبانيها واصبحت مساكنها من أجمل المساكن وكان ماء النيل يدخل إلى بركة الفيل من الموضع الذى كان يعرف باسم الجسر الاعظم (ميدان السيدة زينب اليوم) كما يصب فيه الماء من الخليج الكبير من قنطرة عرفت باسم المجنونةراجع د/ عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٣

٥- أى فى يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م وهو نفس تاريخ اليوميات الاثنى عشر التالية .

باب[1] كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقانورات والقطط الميتة [2] ، [هذا مع ما هم فيه من القذارة فى بيوتهم ، وأزقة مساكنهم ، وكثرة الأتربة المسبخة ، وما يختلط بها من ريش الطيور ، ومصارين الحيوان ، وفضلات مأكلهم ، ورايحة شرابهم ، وحموضة مسكراتهم ، وبولهم وغايطهم ، بحيث أن المارّ يسد أنفه حتى يتجاوز عنهم] [3]

وفيه نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم ، والخدامين البطالين ، ليسافروا إلى بلادهم ، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه ثم كرروا المناداة بذلك ، وأجّلوهم أربعة وعشرين ساعة ، فذهب جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر ، وقالوا :"أرونا طريقاً للذهاب ، فإن طريق البر غير مسلوكة[4]

١- كلمة "باب" غير موجودة فى النسخة (أ) والنسخة (جـ) .

٢- صدر الإعلان التالى: على جميع الفرنسيين الذين يشغلون بيوتا للمماليك أو غيرهم وبصفة عامة جميع الذين يسكنون المدينة أن يتبعوا فيما يختص بمسائل الشرطة ، ما جاء بالمنشور الذى أصدرته أخيراً والذى بموجبه يتعين على جميع الاتراك أن يضيئوا منازلهم ليلاً وأن يرشوها بالمياه ويكنسوها مرتين كل يوم وعلى الفرنسيين أن يكونوا السكان البلادقدوة حسنة للنظام وإذا لم يكن هذا الاعتبار كافياً فان اعتباراً آخر أهم يملى عليهم هذا الموقف ألا وهو مصلحتهم الشخصية وهم يعلمون أن مثل هذه الأوامر تصدر خصيصاً لهم.والأمر برش الشوارع القصد منه تجنبهم العدوى بوباء الطاعون ، وفرضت الإضاءة لحمايتهم من الاغتيالات ومن الحماقة أن يتجاهل هذه الاجراءات أولئك الذين ينتفعون بها " الامضاء دبوى راجع كورييه دى ليجيبت ، العدد ٩ ، ص ٢٥

٣- ما بين القوسين حذفه الجبرتى من"عجائب الآثار"وكما هو واضح أن ذلك تجنى على الفرنسيين وبعداً عن الموضوعية.

٤- فى النسخة (ب) "مسلوك" .

، والإنكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ، ولا نقدر على المقام فى الأسكندرية (١) من الغلا وعدم الماء بها فتركوهم (٢)

وفيه جعلوا إبراهيم أغا [ص ٦٣] المتفرقة (٣) المعمار قبطان السويس ، وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوى فخرجوا عليهم(٤) العربان فى الطريق ، فنهبوهم وقتلوا إبراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ، ولم يسلم منهم إلا القليل.

وفيه أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قايد أغا ، فأقاموا أياماً يذهبون فلا يأتيهم أحد ، فتركوا الذهاب فلم يطلبوا .

وفيه شرعوا فى ترتيب ديوان ، آخر ، وسموه محكمة القضايا(٥) ، وكتبوا

١- فى النسخة (ب) "ولا نقدر على الاقامة باسكندرية"

٢- فى النسخة (ب) "فتركهم". وكذلك فى (جـ) .

٣- المتفرقة : هو أحد الأوجاقات العسكرية العثمانية بمصر ، أسس فى مصر لأول مرة بعد إعلان قانون نامة بثلاثين عاماً أى فى ١٥٥٤م من المماليك الذين كانوا يعملون من قبل فى خدمة الباشا ، ومن الجند الذين كانوا يحرسون القلاع الرئيسية لمصر ، وقد أسس هذا الأوجاق لمواجهة النفوذ المتزايد للأوجاقات الأخرى ، ولتقوية مركز الباشا بالنسبة لهم ، وكان هذا الأوجاق خليطاً من المشاة والفرسان واختصت المتفرقة بالدفاع عن حدود مصر وتغورها . د/ ليلى عبد اللطيف :مرجع سابق ص ٢٠٤.

٤- فى النسخة (ب) " فصادفوهم"

٥- أنشأ "بونابرت" مكتب لتسجيل الممتلكات ومهمته هى التحقق مما يخص المماليك ومن ثم الجمهورية ، وما يخص الأفراد ويتوجب على هؤلاء الأخيرين إثبات ملكيتهم بحجة ، ويجرى فرض الضرائب على جميع حالات نقل الحيازة ، وامتد اختصاص المحكمة التجارية التى أنشأها بونابرت إلى شئون الميراث والشكاوى الرسمية بل اصبح لها صلاحيات فى مجال الاحوال الشخصية ، أحد المجالات الأكثر أساسية للشريعة الإسلامية ، وسبب هذا الاجراء فى مجموعه كارثة حقيقة بالنسبة للمصريين فهذه المحكمة تعطى مساواة عددية للمسيحين والمسلمين ويرأسها ملطى راجع د/ هنرى لورنس - مرجع سابق ، ص ٢٠٦ وكوربيه دى ليجبيت - العدد١٢ ، ص ٣٢ ، حيث نشر نص القرار .

فى شأن ذلك طوماراً ، وشرطوا فيه شروطاً [بألفاظهم ، يعافها الطبع ، ويمجها السمع](1) ورتبوا به ستة من القبطة ، وستة من تجار المسلمين ، وقاضيه الكبير ملطى القبطى ، الذى كان كاتباً عند أيوب بيك الدفتردار ، وفوضوا إليهم(2) القضايا فى أمور التجار والعامة . والمواريث والدعاوى ، وجعلوا لذلك الديوان [قواعد من الخبث وأساساً من الكفر ، ودعايم من الظلم](3) وأركاناً من البدع السيئة ، وكتبوا نسخاً [من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها إلى الأعيان ، ولصقوا نسخاً](4) فى مفارق الطرق ، وروس العطف ، وأبواب المساجد ، وشرطوا فى ضمنه شروطاً وفى ضمن تلك الشروط شروطاً أخر ، "وذلك بتعبيراتهم الكثيفة وألفاظهم السخيفة "(5) محصلها التحيل على سلب أموال الناس ، ونزع ما بأيديهم من مال وعقار وميراث وغير ذلك ، كقولهم وما يفهم بعد التأمل الكبير فى عبارتهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحجتهم وتمسكاتهم ، الشاهدة (6) لهم

١- العبارات التى بين قوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار حيث أصبح أقل حدة وأكثر حيدة.

٢- فى النسخة (ب) "إليه " أى إلى الديوان . أو إلى ملطى . وكلمة "القضايا " غير موجودة فى النسخة (جـ) .

٣- ما بين القوسين محذوف من عجائب الآثار .

٤- ما بين المعكوفتين سقط سهواً من ناسخ المخطوطة (ب)

٥- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى فى عجائب الآثار وكتب بدلها الآتى:"بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير ، لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية فهو بينما يتهكم علي اسلوبهم فى مظهر التقديس بأسلوب لاذع فرنه يخفف حدة التهكم في "عجائب الآثار" بل ويبرر سبب ركاكة أسلوبهم بعدم معرفتهم التراكيب العربية . عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ٢٠.

٦- فى النسخة (ب) "وسنداتهم الناطقة "

بالتمليك ، فإذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها ، إما بالبيع أو الانتقال لهم بالإرث عن أسلافهم ، لا يكتفى بذلك بل يومر بالكشف عليها فى السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار ، فإن وجد تمسكه مقيداً بالسجل ، طلب منه بعد ذلك [ص ٦٤] الثبوت ، فإن أثبته بشهادة البينة ، وقبلوها، دفع مقداراً آخر على ذلك الإشهاد ، وكتب بذلك تصحيحاً ، ثم يكتب له بعد ذلك تمكين ، وينظر بعد ذلك فى قيمته ، ويدفع على كلماية اثنين ، فإن لم يكن له حجة ، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد ؛ فإنها تضبط لديوان الجمهور ، وتصير من حقوقهم [وهذا من أخبث التحيل على نزع الأملاك والعقارات من أيدى أربابها] (1) وذلك أن الناس إنما وضعوا أيديهم على أملاكهم ، إما بالشرا أو بأيلولتها لهم من مورثهم ، أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم(2) فإذا طولبوا بإثبات مضمونها وسجلاتها ، تعسر أو تعذر ، لحادث الموت أو الأسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تُقبل. فإن قبلت فعل به ما ذكر . ومن الشروط مقررات على المواريث والموتى ، ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة ، كقولهم إذا مات الميت يشاور عليه ، ويدفعون قدراً للمشاورة ، ويفتحون تركته بعد أربعة وعشرين ساعة ، فإن بقيت أكثر من ذلك ، ضبطت للديوان أيضاً ، ولاحق فيها للورثة ، وإن فتحت على الرسم بإذن من الديوان ، يدفع على ذلك الإذن مقرراً وكذلك على ثبوت الورقة ، ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر وذلك بزيادة كثيرة ، وكذلك من يدعى ديناً على الميت يثبته بديوان

١- هذه العبارة حذفت من عجائب الآثار وكتب بدلها :" وهذا شئ متعذر " حيث يخف الجبرتى من حدة أسلوبه

٢- فى النسخة (ب) "ومواريثهم " وهى خطأ والأصوب ما أثبتناه من باقى النسخ .

الحشريات[1] ويدفع على إثباته مقرراً ويأخذ له ورقة يستلم بها دينه ، فإذا استلمه ، دفع المقرر الزايد ، ومثل ذلك فى الالتزام والرزق [2] والأُطيان ، بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك ، والهبات والمبيعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والإشهادات الجزئيات [ص ٦٥] والكليات والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها مقرراً ، وكذلك المولود إذا ولد ، ويقال له إثبات الحياة ، وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الأملاك [3] وغير ذلك .

وفيه ، نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة ، وإذا مرّ عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو منهزمين لا يسخرون منهم [4] ولا يصفّقون عليهم كما هى عادتهم .

وفيه نهبوا أمتعة [5] عسكر الغليونجية الذين كانوا عسكراً عند الأمرا ، فنهبوا ما كان بوكالة على بيك بساحل بولاق وبالجمالية ، وأخذوا متاعهم ومتاع شركايهم ، محتجين بأنهم قاتلوهم مع المماليك وهربوا معهم .

١- فى النسخة (ب) "وكذلك من يدعو ديناً على الميت ليشبه بديوان الحشريات"وفى النسخة (أ) "بديوان الحشر".

٢- الرزق : كانت مساحات واسعة من الأرض فى جهات عديدة من البلاد ، انعم بها السلاطين السابقون على بعض الناس وأصبح حق الانتفاع بها ينتقل بالميراث للورثة ، واصبح لأصحابها حق الانتفاع وأن يتصرفوا فيها بكافة الوجوه ولا يدفع عنها للروزنامة إلا ضريبة رمزية باسم "مال حماية" نظير حماية رجال الادارة لهذه الأراضى من العبث بها أو السطو عليها. راجع د/ عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، مكتبه مدبولى ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٨٦.

٣- فى النسخة (أ) "وقبض أجراً الأملاك" .

٤- فى النسخة(ب) "لا يسرخون بهم" وربما قصده "لا يصرخون بهم" وما أثبتناه من النسخة (أ) هو الأقرب للصواب.

٥- فى النسخة (ب) "حوايج".

وفيه أحضروا محمد كتخدا أبو سيف الذى كان سرداراً[1] بدمياط من طرف الأمرا ، وكان سابقاً كتخدا حسن بيك الجداوى ، فلما حضر حبسوه بالقلعة ، وحبسوا معه فراشاً لإبراهيم بيك .

وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول[2] إلى المدينة ليسكنوا بها فنزلوا ، وأصعدوا[3] إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع وهدموا بها ابنية [كثيرة ، وشرعوا فى بنا حيطان وكرانك وأسوار ، وهدموا أبنية][4] عالية ، وأعلوا مواطى منخفضة[5] وبنوا على بدنات باب العزب[6] بالرميلة ، وغيروا معالمها ، وأبدلوا محاسنها ، ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكما والعظماء، وسلبوا ما كان بأبوابها العظام وإيواناتها الفخام من الأسلحة والدرق والبلط والخوذات والحراب الهندية وأكر الفداوية ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ،

١- السردار: لفظ فارسي يراد به كبير العساكر وقائدهم ، وقد استعمل فى مصر كذلك ، وهو ليس رتبة فى الجيش ، واستعمل فى مصر بعد ذلك ، كمنصب يكون بعد ناظر الحربية ، وبيده كل ما يتعلق بالجند من ترتيب ونظام وغيره ، وهو هنا يقصد سردار عساكر دمياط .
أحمد تيمور : مرجع سابق ، ص ٦١.

٢- كلمة "والنزول" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٣- فى النسخة (ب) "وطالعوا".

٤- ما بين القوسين سقط من النسخة (أ) وأثبتناه من باقى النسخ .

٥- فى النسخة (ب) "الواطن منخفضة" .

٦- باب العزب : بقلعة الجبل ، يطل على ميدان صلاح الدين ، له بدنتان كبيرتان ، عرف قديماً بباب السلسلة وبباب الاصطبل ، جدده الأمير رضوان كتخدا الجلفى سنة ١٧٤٧م ثم أقيم الممر الذى أمامه سنة ١٨٦٨م والداخل منه يقابله مسجد أحمد كتخدا عزبان .
د/ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢٢ .

ومحاسن الملوك والسلاطين ، ذوات الأركان الشاهقة ، والأعمدة الباسقة ، {وكذلك ما بها من المساجد ، والزوايا والمشاهد ، وشوهوا المسجد العظيم ، والجامع المشيد الفخيم ، الذى [ص ٦٦] أنشأه صاحب المفاخر ، محمد بن قلاوون الملك الناصر ، فقلعوا منبره ، وشعثوا إيوانه ، وأخذوا أخشابه ، وزعزعوا أركانه وأزالوا المقصورة الحديد البديعة الإتقان ، التى كان يصلى بداخلها السلطان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل } (١)

وفيه عينت عساكر إلى مراد بيك (٢) وذهبوا إليه ببحر يوسف .

وفى يوم الخميس سادس عشره (٣) ، نودى بأن كل من تشاجر مع نصرانى

١- ما بين القوسين حذفه الجبرتى من عجائب الآثار . فهل حقاً شوه الفرنسيون مسجد الناصر قلاوون أم أن الجبرتى يتجنى عليهم ؟

٢- بعد موقعة "الأهرام" فرّ مراد إلى الصعيد وكان بونابرت يحسب لقوة مراد شأناً كبيراً ولذا حاول التفاوض معه عن طريق "المسيو روستى" قنصل النمسا فى مصر على أن يترك له مديرية جرجا وما يليها إلى الشلال ولكن مراد رفض فعزم بونابرت على تجهيز قوة للقضاء عليه ولإخضاع الوجه القبلى . وجعل بونابرت الجنرال "ديزيه" قائد للحملة على الوجه القبلى ، وكانت الحملة مؤلفة من نحو خمسة آلاف من المشاة والفرسان والمدفعية والمهندسين مزودين بالأسلحة والذخائر والمدافع الحديثة والسفن الحربية ، ودلّت وقائع الوجه القبلى على أن المقاومة التى لقيها الجيش الفرنسى فى أنحائه كانت أشد ما أصاب الفرنسيين فى مصر ، لأن طبيعة البلاد فى الصعيد ، وبُعد المسافات ، وصعوبة المواصلات ، وأخلاق السكان ، جعلت الجيش الفرنسى يقابل حركات ثورية ذات صبغة حربية منظمة ، ويذكر الرافعى أن الحملة قد أقلعت من مصر القديمة والجيزة فى أواخر أغسطس ١٧٩٨م لمزيد من المعلومات راجع عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٢٨ وما بعدها . ولكن الجبرتى يوردها هنا بتاريخ يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م .

٣- يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م وهو نفس تاريخ اليوميات العشر السابقة واليوميتين التاليتين ، ويبدو أن الجبرتى ذكر التاريخ هنا ليذكر القارئ بالتاريخ الذى يقصده .

أو يهودى ، أو تشاحن معه نصرانى أو يهودى ،[1] يشهد أحد الخصمين على الآخر ، ويطلبه لبيت صارى عسكر .

وفيه قتلوا شخصين وطافوا بروسهما وهم ينادون عليهما ويقولون "هذا جزا من يأتى بمكاتيب من عند المماليك أو يذهب [2] إليهم بمكاتيب" .

وفيه ، نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن ، كتربة [3] الأزبكية والرويعى ، ولا يدفنون الموتى إلا بالقرافات البعيدة ، والذى ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته فى ترب المماليك ، وإذا دفنوا يبالغوا فى تسفيل الحفر . ونادوا أيضاً بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة كل ذلك خوفاً من حصول الطاعون"وعدوه"[4] ويقولون أن العفونة تستجن بأغوار الأرض ، فإذا دخل الشتا وبردت الأغوار ، بسريان النيل والأمطار والرطوبات ، خرج ما كان مستخباً[5] بالأرض من الأبخرة الفاسدة ، فيتعفن الهوا ويفسد ، فيحدث الوبا والطاعون . ومن قولهم أيضا أنه إذا مرض مريض ، لابد من الإخبار عنه ، فيرسلون من جهتهم حكيماً [6] للكشف عليه ، إن كان بالطاعون أو غيره ، ثم يرون رأيهم فيه بعد ذلك [7]

١- هذه العبارة مرتبكة وغير واضحة فى النسخة (ب) ، ولكنها واضحة فى بقية النسخ ما عدا كلمة " أو تشاحن" كتبت فى (جـ) " أو تشاجر ".

٢- فى النسخة (ب) ويروح اليهم بمكاتيب .

٣- فى النسخة (ب) "كبركة " . وربما المقصود " كتربة بركة الأزبكية " .

٤- هكذا فى جميع النسخ وربما المقصود "وعدواه" .

٥- فى النسخة (ب) "مخبأ " . وفى النسخة (أ) "مستجناً " وما أثبتناه بالمتن من النسخة (جـ)

٦- فى النسخة (ب) "حكما" .

٧- لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع والأوامر التى أصدرها الفرنسيون بشأن الطاعون. راجع كورييه دى ليجييت ، العدد ١٢ ، ص ٣٤ .

وفى يوم السبت ثامن عشره [1] ، ذهبت [ص ٦٧] جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنسيس وشرعوا فى هدم التراكيب المبنية على المقابر بترب الأزبكية ، وتمهيدها بالأرض ، فشاع الخبر بذلك ، وتسامعوا أصحاب الترب بتلك البقعة ، فخرجوا من كل حدب ينسلون ، وأكثرهم النسا الساكنات [2] بحارات المدابغ وباب اللوق وكوم الشيخ سلامة والفوالة والمناصرة وقنطرة أمير حسين وقلعة الكلاب ، إلى أن صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج ، واجتمعوا بالأزبكية ووقفوا تحت بيت صارى عسكر ، فنزل لهم التراجمون واعتذروا بأن صارى عسكر لا علم له بذلك الهدم ولم يأمر به ، وإنما أمر بمنع الدفن فقط ، فرجعوا إلى أماكنهم ورفع الهدم عنهم .

وفيه ، كتبوا من المشايخ كتاباً ليرسلوه إلى السلطان ، وآخر إلى شريف مكة ، ثم إنهم بصموا منه عدة نسخ ، ولصقوها بالطرق والمفارق [3] وصورته ملخصاً :" بعد الصدر وذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم ، وأن جماعة من العلما ذهبت إليهم بالبر الغربى فأمنهم ، وكذلك الرعية دون المماليك ، وذكر فيه أنه من أخصا السلطان ، وأعدا أعدايه ، وأن السكة والخطبة باسمه ، وشعاير الإسلام مقامة على ما هو عليه ، [وباقى الكلام المموه الذى ذكروه بمعنى الكلام السابق من كذبهم وقولهم إنهم مسلمون] [4] ويحترمون النبى والقرآن ، وأنهم

١- يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨م .

٢- فى النسخة (ب) " النساء الساكنون" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- فى النسخة (ب) "وأرموها بالطرق والأزقة "

٤- العبارة التى بين القوسين كتبها الجبرتى في عجائب الآثار هكذا " وباقيه بمعنى الكلام السابق من قولهم انهم مسلمون " عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٢١ .

أوصلوا الحجاج المشتتين وأكرموهم ، وأركبوا الماشى ، وأطعموا الجيعان ، وسقوا الظمآن ، واعتنوا بيوم الزينة ، يوم جبر البحر[1] وعملوا له شناناً ورونقاً [2] ، استجلاباً لسرور المؤمنين ، واتفقوا أموالاً برسم الصدقة على الفقرا ، وكذلك اعتنوا بالمولد النبوى ، وانفقوا اموالاً فى شان انتظامه وعلو شانه ، واتفق رأينا ورأيهم على [ص ٦٨] لبس حضرة الجناب المكرم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا والى مصر حالاً ، فاستحسنا ذلك لبقاء علقة الدولة العلية ، وهم أيضاً مجتهدون فى إتمام مهمات الحرمين وأمرونا أن نعلمكم بذلك إلى آخره والسلام" [3]

وفيه وقعت حادثة جزئيه ، من جملة الجزئيات ، وهو أن رجلاً صيرفياً بخط الجمالية بجوار حارة الجوانية ، وقع من لفظة [4] أنه قال " السيد أحمد البدوى

١- فى النسخة (ب) " يوم جبر الجبر " وهو خطأ من الناسخ لان المقصود يوم جبر البحر ، أى يوم وفاء النيل لمستوى الستة عشر ذراعاً اللازمة لكسر السد عند فم الخليج .

٢- ربما المقصود "شأناً" وفى النسخة (ب) كتبت هكذا " شنادنا " .

٣- نشرت هذه الرسالة فى : كورييه دى ليجيبت - العدد ٦ص ١٣٥ ولقد سبق هذه الرسالة ، رسالة أخرى أرسلها بونابرت للشريف غالب فى ٢٥ أغسطس ١٧٩٨ وهذا نصها: "إلى شريف مكة :-إننى إذ أخطركم بدخول الجيش الفرنسى مصر أعتقد أنه من الواجب أن أطمئنكم على عزمى الوطيد على أن أحمى بكل السبل رحلة الحجيج إلى مكة ، وستظل المساجد وكل الأوقاف التى لمكة والمدينة فى مصر فى حوزتهما كما كانت فى الماضى إننا أصدقاء للمسلمين ولعقيدة الرسول ، ونحن راغبون فى القيام بكل ما من شأنه أن يسركم ويكون فى صالح الدين وإنى لأرغب فى أن تعلنوا فى كل مكان أن قافلة الحج لن تعانى من أى توقف ، ولن تخشى شيئاً من الأعراب. بونابرت" راجع د/ محمد زكريا عنان : مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد و نابليون ، الدارة السعودية ، العدد الرابع ١٤١٦هـ / ص ٧ .

٤- فى النسخة (ب) "من لسانه" .

بالشرق ، والسيد إبراهيم الدسوقى ، بالغرب يقتلان كل من يمر من النصارى" [وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى] الشوام (١) فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ، ووقع بينهما التشاجر.فقام النصرانى وذهب إلى"دبوى"، ووقع بينهما التشاجر فقام النصرانى وذهب إلى"دبوى"، وأخبره بالقصة ، فأرسل فقبض على ذلك الصيرفى ، وحبسه وسمّر حانوته ، وختم على دارين له ، فتشفع فيه المشايخ عدة مرار ، فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه إلى بيت البكرى ليؤدب هناك بالضرب ، أو يدفع خمساية ريال فرانسة ، فضرب فى بيت البكرى ماية سوط وأطلق إلى سبيله ، وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

وفى يوم الاثنين ، (٢) طافوا أصحاب الدرك على الأخطاط والوكايل ، فكتبوا أسماها وأسما البوابين ، وأمروهم أن لا يسكنون أحداً من الأغراب ، ولا يطلقون أحداً يسافر إلا بإذن من أغاة مستحفظان .

وفى يوم الثلاثا (٣) عمل المولد الحسينى ، وكان العزم تركه فى هذا العام ، فدسّ بعض المنافقين دسيسة عند الإفرنج ، وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل مولد الحسين بعد مولد النبى ، فقال بونابارته :"ولماذا لم يعملوه " فقال ذلك المنافق :" غرض الشيخ السادات عدم عمله إلا إذا حضر المسلمون" فبلغ الشيخ السادات ذلك فشرع [ص ٦٩] فى عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر وشاهد"الوقدة"، ورجع إلى داره بعد العشا .

١- ما بين القوسين سقط من ناسخ المخطوطة (أ) .

٢-يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق أول أكتوبر ١٧٩٨م .

٣- يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الآخر ١٢١٣هـ ١٢ أكتوبر ١٧٩٨م

وفيه حضروا (١) علما الأسكندرية وأعيانها وكذلك رشيد ودمياط ، وبقية البنادر،باستدعا صارى عسكر ، ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الإشارة إليه (٢)

وفيه سافر أيضاً جماعة من الفرنسيس إلى جهة مراد بيك ومن معه و التقوا معهم وترامو ساعة ، ثم انهزموا عنهم ، وأطمعوهم فى أنفسهم فتتبعوهم إلى أسفل جبل اللاهون ، ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالاً ، [وترامو معهم أرسالا ، وكانوا رتبوا عساكرهم طوابير ، وأكمنوا كميناً مخبورين مشاهير ، فلما تلاقا الفئتان ، وترامى الفرقتان ، وعلا بينهما الغبار ، "واسود وجه النهر "(٣) ؛ كبست عند ذلك الطوابير بالسيوف ، فأذاقوهم كأس الحتوف ، وأثخنوهم قتلاً ذريعاً ، وتركوا أكثرهم صريعاً ، فولوا على أدبارهم إلى جهة البحر منهزمين ، وللنجاة طالبين ، فخرج عليهم ذلك الكمين ، فقطع منهم الأعناق ، وتركهم طرحى (٤) فى الأملاق (٥) والذى نجى منهم بالسباحة والهرب ، تلقفته طايفة

١- فى النسخة (جـ) "حضر" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأقرب للصواب والأقرب لأسلوب المؤلف. وقوله "وفيه " يعنى وفى يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الآخر / ١٢ أكتوبر وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٢- وجاء الخبر كالآتى "يجمع الآن فى القاهرة تحت اسم الديوان العام نواب من جميع الأقاليم فى القطر المصرى ، وذلك على أمر القائد العام وقد عقدوا جلستهم الأولى فى ١٦ فانديمير وكان المواطنان مونج وبرتوليه يمثلان الفرنسيين فى هذه الاجتماعات بصفة مندوبين وقد زادت من عظمة هذا الاجتماع الملابس الإسلامية الجميلة ورزانة وهدوء أصحابها مع من كان يرافقهم من كثرة الأتباع . ولقد اختير الشيخ عبد الله الشرقاوى رئيساً للاجتماع وسنحيط قراءنا علماً بما ستقوم به الهيئة سواء فى المجال السياسى وفى مجال خدمة العلم والحضارة " راجع كورييه دى ليجيبت، العدد ١١ ، ص ٣٠ .

٣- "واسود وجه النهار " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٤- فى النسخة (ب) "ملقا " .

٥- الأملاق : جمع ملق أو ملقة وهى القيعان الملساء الصلبة ، وفي العامية هى الأرض الواسعة راجع "المعجم الوجيز ".

العرب ، فاستأصلوا شأفتهم ، واهلكوا كافتهم ، فلم يفلت منهم إلا ماندر ، وغبروا فيمن غبر ، فلما تواتر هذا الخبر ، وتناقل حديثه الناس واشتهر ، سُرَّ الناس باطناً لخذلان أهل الكفر وفرحوا ، واستبشروا ببدء خذلانهم وانشرحوا](١)

وفى ذلك اليوم (٢) سقطت البوابة المصنوعه ببركة الأزبكية ، المقابلة لباب الهوا ، التى كانوا وضعوها فى عيدهم وتقدم شرحها ووصفها ، فتفاءل الناس بسقوط دولتهم أيضاً وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة وسدوا القنطرة كما تقدم ، رشح الماء فى أرض البركة [ص ٧٠] وتخلخلت الأرض ، فسقطت تلك البوابة

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه (٣) نبهوا على المشايخ والاعيان والتجار ، ومن حضر من الاقطار ، بالحضور إلى الديوان العام ، ومحكمة النظام ، بكرة تاريخه ، وذلك ببيت مرزوق بيك بحارة عابدين.

فلما أصبح يوم السبت (٤) أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قايد أغا بالأزبكية ، فتوجهت (٥) المشايخ المصرية والذين حضروا من الثغور والبلاد ، وحضر الوجاقات (٦) وأعيان التجار ، ونصارى القبط والشوام ، ومدبروا

١- الفقرة المطولة التى بين القوسين والتى يظهر فيها الجبرتى فرحته بهزيمة الفرنسيين ويصف بطولة المماليك وشجاعتهم ، اختصرها الجبرتى في عجائب الآثار إلى سطرين يقول فيهم " وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة "عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ٢٢ .

٢- أى فى نفس يوم معركة جبل اللاهون أو "سد منت" ويذكر الرافعى أن المعركة كانت يوم ١٧ أكتوبر ١٧٩٨م وهذا يوافق الأحد ٢٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ .

٣- يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٥ أكتوبر ١٧٩٨م .

٤- يوم السبت ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ١٦ أكتوبر ١٧٩٨م

٥- فى النسخة (أ) "فتوجه " وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأقرب لأسلوب المؤلف .

٦- فى النسخة (ب) "وحضرت الأجاقلية "

الديوان (١) من الفرنسيس وغيرهم جمعاً موفوراً.فلما استقر بهم الجلوس ، شرع ملطى القبطى الذى عملوه قاضى(٢) فى قراءة فرمان الشروط ، وفى المناقشة ، فابتدر كبير المدبرين فى إخراج طومار آخر ، وناوله للترجمان ، فنشره وقرأه ، ملخصه ومضمونه :الإخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد ، وكان يجلب إليها المتاجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنايع والقراءات(٣) والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول ، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم فى تملكه، فملكه أهل بابل(٤)واليونانيون (٥) والعرب والترك ، إلا أن الدولة الأشد خراباً له هم الترك ، فإنهم إذا حصَّلوا الثمرة قطعوا أُصولها ، فلذلك لم يبقوا بأيدى الناس ، إلا النذر اليسير ، وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر ، وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم ، ثم إن الطايفة الفرنساوية (٦) بعدما تمهد أمرهم وبَعُد صيتهم ، بقيامهم بأمور الحرب ، اشتاقت أُنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة (٧) جهلاً وغباوة ، فقدموا وحصل[ص ٧١] لهم النصرة ، ومع ذلك فلم

١- فى النسخة (ب) "ومدبرين الديوان" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الصواب .

٢- " هكذا فى الأصل والصواب "الذى عملوه قاضياً " .

٣- هكذا فى النسخة (أ) وفى النسخة (ب) "والقرأن وهو يقصد "القراءة "

٤- بابل : مدينة فى العراق تنسب إليها الدولة البابلية التى من أشهر ملوكها حمورابى ، ولكن البابليين لم يحكموا مصر ، وإنما الذين غزوها وحكموها هم الأشوريين ومن بعدهم الفرس سنة ٥٢٥ ق.م .

٥- بدأ حكم اليونانيين لمصر على يد الإسكندر الأُكبر الذى طرد الفرس منها عام ٣٣٢ق م وبعده حكمت أُسرة البطالمة مصر حتى عام ٣١ ق م ثم بعدهم جاء الرومان حتى عام ٦٤٢م عند فتح عمرو بن العاص مصر .

٦- "ثم "غير موجودة فى النسخة (أ) وفى النسخة (ب) "طايفة الفرنساوية ".

٧- كلمة "المفعمة " غير موجودة فى النسخة (ب) .

يتعرضوا لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وإن غرضهم تنظيم (١) أمور مصر ، واجرا خلجانها التى دثرت ، ويصير لها طريقان ، طريق إلى البحر الأسود ، وطريق إلى البحر الأحمر . فيزداد خصبها وريعها ، ومنع القوى من ظلم الضعيف ، وغير ذلك ، استجلاباً لخواطر أهلها ، وإبقا للذكر الحسن . فالمناسب من أهلها تَرك الشغب ، واخلاص المودة ، وأُن هذه الطوايف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة ، لانهم أهل خبرة وعقل ، فيسألون عن أمور ضرورية ، ويجيبون عنها ، فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه " إلى آخر ما سطروه من الكلام [المطول المحرف ، والقول المعوج المزخرف] (٢) قلت ولم يعجبنى فى هذا التركيب إلا قوله [المفعمة جهلاً وغباوة بعد قوله اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر ، ومن جهله وغباوته أيضاً وكذبه الصريح قوله بعد ذلك : ومع ذلك فلم يتعرضوا لأحد ، إلى آخر العبارة] (٣) ثم قال الترجمان : "نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصاً منكم يكون كبيراً (٤) ورئيساً عليكم تمتثلون أمره وإشارته "، فقال بعض الحاضرين :" الشيخ الشرقاوى " فقال :" نونو وإنما ذلك يكون بالقرعة " فعملوا قرعة بأوراق فطلع الأكثر الشيخ الشرقاوى ،

١- فى النسخة (أ) "تعظيم " ولكن الاقرب للصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- هذه العبارة محذوفة من عجائب الآثار .

٣- العبارة التى بين القوسين : يفهم منها أن الجبرتى يتهكم على هذه العبارة ويسخر من قولهم لم يتعرضوا لأحد مشيراً بذلك إلى المصادرات والغرامات التى فرضوها علي الناس بينما فى عجائب الآثار يغير الجبرتى تركيب الجملة حيث يفهم منها أن الجبرتى يبدى إعجابه بعبارة "المفعمة جهلاً وغباوة" وبقوله أنهم لم يتعرضوا لأحد .

٤- كلمة "كبيراً "غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

فقال حينئذ يكون الشيخ (١) عبد الله الشرقاوى هو الرئيس ، فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم فى الذهاب ، وألزموهم بالحضور فى كل يوم .

وفيه وقعت كاينة الحاج محمد بن قيمو المغربى التاجر الطرابلسى ، وهو أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام التراجمين منافسة ، فأنهى إلى عظما الفرنسيس أنه ذو مال وأنه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بيك ، فأرسلوا بطلبه ، فذهب إلى بيت الشيخ [ص ٧٢] عبد الله الشرقاوى لنسابة بينهما ، فقال الشيخ للقواسة ، بعد سوالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا لدعوة شرعية ، فقال لهم فى غدٍ أحضروا خصمه ويتداعى معه ، فإن توجه الحق عليه ألزمناه يدفعه ،فرجعت الرسل ، وتغيب الرجل لخوفه ، فبعد مضى مقدار ساعة حضر نحو الخمسين عسكرياً من الفرنسيس (٢) إلى بيت الشيخ ، وطالبوه به ، فأخبرهم أنه هرب ، فلم يقبلوا عذره ، وألحوا فى طلبه ، ووقعت منهم أمور غير لايقة ، فركب المهدى والدواخلى إلى صارى عسكر ، وأخبروه بالقضية ، وبهروب الرجل ، فقال ولأى شئ هرب ، فقالوا من خوفه ، فقال " لولا أن ذنبه (٣) كبير لما هرب وأنتم غيبتموه ، وأظهر الحنق والغيظ ، فلا طفوه واستعطفوا خاطر الترجمان ، فكلمه وسكَّن غيظه ، ثم سأل عن منزله ومخزنه ، فأخبروه عنهما ، فقال يذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر فى غد ، فاطمأنوا لذلك ورجعوا عند الغروب ، وختموا على

١- فى النسخة (ب) " شيخ " جدير بالذكر أن هذه النسخة تحذف الألف واللام من كلمة الشيخ فى مواضع كثيرة خاصة مع الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى . وفى النسخة (جـ) كلمة " حينئذ " غير موجودة وكتب مكانها حرف "ح " وكلمة الشيخ الشرقاوى مكررة

٢- فى النسخة (ب) "حضر نحو خمسين من العسكر بأمر الفرنسيس "

٣- فى النسخة (أ) "جرمه " وكذلك فى (جـ) "جرحه " .

مخازنه ومنزله ، [وأصبحوا نهبوهما وما معهما من الجيران وأموال الشركا والتجار وكانت عنده أمانات كبيرة للناس ، فإنه كان مستأمن عند التجار] (١)

وفى يوم الأحد (٢) ذهبوا إلى الديوان وعملوا مثل عملهم الأول ، حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر والثغور ، من المشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين ، وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

وفى يوم الاثنين (٣) اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان والمهلة ثلاثون يوماً ، فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ، ومهلة البلاد ستون يوماً . ولما تكامل الجمع ، شرع ملطى فى قراءة المنشور وتعداد [ص ٧٣] ما به من الشروط مسطور ، وذكر من ذلك أشيا منها : أمر المحاكم والقضايا الشرعية ، وحجج العقارات ، وأمر المواريث . وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمان (٤) ، وكتبوا هذه الأربعة أشيا أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم فى ذلك وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس وما بين ذلك لهم مهلة ، وانفض المجلس .

شهر جمادى الأولى (٥)

استهل بيوم الخميس (٦) الموعود ، واجتمعوا بالديوان ، ومعهم ما لخصوه

١- ما بين القوسين عند إعادة الجبرتى لكتابته فى عجائب الآثار حذف كلمة "نهب" وخفف من حدة عبارته فيقول "فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل فأخذوا ما وجدوه فيها من البضايع والأمانات" عجائب الاثار ، جـ ٣ ، ص ٢٣ .

٢- يوم الأحد ٢٦ ربيع الاخر ١٢١٣ هـ الموافق ٧ أكتوبر ١٧٩٨م .

٣- يوم الاثنين ٢٧ ربيع الاخر ١٢١٣هـ الموافق ٨ أكتوبر ١٧٩٨م .

٤- فى النسخة (أ) "الزمن" وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأصوب .

٥- العنوان من وضع المؤلف بينط المتن .

٦- يوم الخميس غرة جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق١١ أكتوبر ١٧٩٨م .

واستصوبوه فى الجملة ، فأما أمر المحاكم والقضايا ، فالأولى بقاؤها على ترتيبها ونظامها ، وعرفوهم عن كيفية ذلك، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد ، فاستحسنوا ذلك ، إلا أنهم قالوا نحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعدوه القضاه ولا نوابهم ، فقرروا ذلك ، وهو إذا كانت عشرة آلاف فما دونها ، يكون علي كل ألف ثلاثين ، وإذا كانت خمسين ألف فما دونها يكون على [الألف عشرون ، وإذا كان المبلغ ماية ، يكون على] (1) الألف خمسة عشر ، فإن زاد على ذلك فعشرة ، واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك وأما حجج العقارات ، فهذا أمر مشق طويل الذيل ، المناسب فيه والأولى أن تجعلوا عليها دراهم من بادى الرأى ، ليسهل تحصليها ، ويحسن عليها السكوت (2) أعلى وأوسط وأدنى ، وبينوا القدر المناسب ، بتفضيل الأماكن ، وكتبوه وأبقوه حتى يروا الآخرون رأيهم فيه ، وانفض الديوان . (3)

وفى ذلك اليوم (4) نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوماً ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين ، يدخلون البيوت للكشف عن ذلك ، فتطلع المرأة [ص ٧٤] إلى أعلى الدار وتخبرهم عن نشر الثياب ، ويعطوهم بعض دراهم ، ويذهبون بعد

١- ما بين القوسين سقط سهواً من ناسخ المخطوطة (جـ) .

٢- كلمة السكوت لا تتفق مع سياق الجملة وربما يكون أصل الجملة هكذا " ويحسن عليها أن تكون أعلى وأواسط وأدنى " .

٣- كلمة الديوان غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناه من بقية النسخ

٤- يوم الخميس غرة جمادى الأولى ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

التأكيد على أهل المنزل وشدة التعنت ، وأنهم بعد أيام يأتى إليهم جماعة الإفرنج ، ويطلعون أيضاً يفتشون ، وكل ذلك حتى تذهب من الثياب رايحة الطاعون، وكتبوا بذلك أوراقاً لصقوها بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك .

وفيه (١) حضر لبيت البكرى حجم غفير من أولاد الكتاتيب والفقها والعميان المؤذنين وأرباب الوظايف والمستحقين من الممرورين والزمنا والمرضى بالمارستان المنصورى (٢) وأوقاف عبد الرحمن كتخدا ، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، فإن جميع الأوقاف تعطل إيرادها ، وانقطع راتبها ، واستولى على نظارة الأوقاف النصارى القبط والشوام ، وجعلوا ذلك مغنماً لهم . فلما اجتمعوا بضجتهم وصياحهم ، قواعدوهم على حضورهم الديوان ، وينهوا شكواهم ويتشفعوا لهم، فذهبوا راجعين .

[وفيه قدمت مراكب من جهة الصعيد ، وفيها عدة من العسكر مجاريح ومشوهون] (٣)

١- أى فى يوم الخميس المذكور سابقاً .

٢-المارستان المنصورى : هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ، إلى أن حصل عليها قلاوون وعوض مالكتها عنها بقصر آخر ، ورسم قلاوون بعمارتها مارستاناً وفيه مدرسة ، فتولى الشجاعى أمر عمارتها وكان سبب البناء نذر قديم لقلاوون إن أتاه الله الملك ليبنى مارستاناً راجع المقريزى - مصدر سابق - جـ ٢ ، ص ٤٠٦ .

٣- هذه اليومية غير موجودة فى النسخة (ب) وجدير بالذكر أن هؤلاء هم جرحى معركة "سدمنت" وهى قرية صغيرة واقعة غربى بحر يوسف فى الجنوب الغربى للاهون وهى متصلة بالجبل الغربى وتابعة الآن لمركز بنى سويف وتسمى (سدمنت الجبل) وكان مراد بك قد جمع قوة كبيرة من أهالى الفيوم فرساناً ومشاة ، وتحصن فى آكام سدمنت وكان عدد قوات مراد ومن انضم إليه من الأهالى يفوق عددهم قوات ديزيه فقوى أملهم فى هزيمته وبالفعل دارت معركة من أشد المعارك هولاً كادت تسحق فيها قوات ديزيه لولا قوة المدفعية الفرنسية وقد بلغت خسائر الفرنسيين كما قدرها الجنرال "برتيية" ٣٤٠ قتيلاً و١٥٠ جريحاً وقدر ديزيه خسائر الجانب المصرى بـ ٤٠٠ قتيلاً وهى من أهم المعارك المهمة فى تاريخ الحملة.لمزيد من التفاصيل راجع / عبد الرحمن الرافعى:مرجع سابق ، جـ١ ص ٣٤٣ .

وفيه وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضاً فأكثر الناس من اللغط بسبب ذلك ، ولم يعلم أصل ذلك .

وفى يوم الأحد (١) اجتمعوا بالديوان ، وأخذوا فيما هم فيه ، فذكروا أمر المواريث ، فقال "اللعين"(٢) ملطى يا مشايخ أخبرونا عما تصنعوه فى قسمة المواريث ، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية ، فقال :" ومن أين لكم ذلك " ، فقالوا :" من القرآن" ، وتلوا عليهم بعض آيات المواريث ، فقال الإفرنج ، نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ، ونفعل كذا وكذا ، بحسب تحسين عقولهم ، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت ، فقال مخاييل [ص ٧٥] كحيل الشامى - وهو من الديوان أيضاً - نحن والقبطة يقسم لنا مواريثنا المسلمون ، ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها ، فسايروهم وواعدوهم بذلك وانفضوا(٣) .

وفى ذلك اليوم (٤) عزلوا محمد أغا المسلمانى أغاة مستحفظان ، وجعلوه كتخدا أمير الحاج ، واستقروا بمصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان

١- يوم الأحد : ٤ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٧٩٨م .

٢- كلمة "اللعين " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٣-قبل مقدم الحملة الفرنسية على مصر كان الأقباط يلجئون إلى قضاة الشرع الإسلامى فى أخص أمورهم مثل "تقسيم التركات " وكان القاضى يقوم بتقسيم ذلك تبعاً للفريضة الشرعية الإسلامية وذلك لأنه لا يوجد فى المسيحية قواعد لتقسيم الميراث . لمزيد من المعلومات راجع / عبد الرازق عيسى : القضاة فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧:١٧٩٨م رسالة ماجستير تحت الطبع ، سلسلة تاريخ المصريين ، آداب عين شمس ١٩٩٤ .

٤- يقصد يوم الأحد ٤ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٧٩٨م .

سابقاً عوضاً عنه ، ونودى بذلك . (1)

وفى يوم الاثنين (2) عملوا الديوان ، وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث ، وفروض القسمة الشرعية ، وحصص الورثة ، والآيات المتعلقة بذلك ، فاستحسنوا ذلك .

وفى يوم السبت عاشر جمادى الأولى (3) عملوا الديوان ، وأحضروا قايمة مقررات الأملاك والعقار ، فجعلوا الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة ، وما كان أجرته أقل من ريال (4) فى الشهر فهو معاف ، وأما الوكايل والخانات والحمامات (5) والمعاصر والسيارج (6) والحوانيت فمنهم من جعلوا عليه ثلاثين وأربعين ، وكل شئ بحسابه ، وكتبوا بذلك مناشير(7) على عادتهم ، ولصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخاً للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى ، وتقييد الأسما . ولما أشيع ذلك فى

---

١ - "عين القائد العام الأمير مصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا خلفا لأغا الأنكشارية المكلف بإدارة شرطة مدينة القاهرة ، وكان لهذا التعيين وقع جميل بين سكان القاهرة ولما كان الهدوء والطمأنينة فى هذه المدينة الكبيرة يتوقفان إلى حد كبير علي هذا الأغا ؛ فقد لزم اختيار الرجل المشهود له بالأمانة والحزم للقيام بمثل هذه الوظيفة الهامة وقد أجمع الرأى العام على اختيار الأمير مصطفى .راجع كوربيه دى ليجيبت العدد ١٢ ص ٣٤ .

٢- يوم الاثنين ٥ جمادى الأولى الموافق ١٥ أكتوبر ١٧٩٨م .

٣- يوم السبت ١٠ جماد الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٠ اكتوبر ١٧٩٨م .

٤- فى النسخة (ب) تكتب دائماً "اريال" بدلاً من ريال.

٥- فى النسخة (ب) "الحماميم".

٦- فى النسخة (أ) "الشيارج"

٧- يقصد " منشورات " .

الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضا ، فانتبذ جماعة من العامة (١) وتناجوا فى ذلك ، ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذين لم ينظروا فى عواقب الأمور ، ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور ، [وأن الملاعين الكفار ، مالكون القلاع والأسوار ، ومحصنون الجميع ، بآلات الحرب المنيع] (٢) فتجمع الكثير من الغوغا من غير رئيس يسوسهم ، [ص ٧٦] ولاقائد يقودهم .

ثورة القاهرة الأولى (٣)

وأصبحوا يوم الأحد(٤) متحزبين ، وعلى الجهاد عازمين ، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح ، وآلات الحرب والكفاح ، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية (٥) وزعر الحارات البرانية ، ولهم صياح عظيم وهول جسيم ، ويقولون

١- فى النسخة (ب) "استسلم للقضاة فأقام جماعة من العامة " والأصوب ما نقلناه من بقية النسخ .

٢- ما بين القوسين محذوف من عجائب الآثار .

٣- العنوان من وضع المحققين .

٤- يوم الأحد ١١جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق٢١أكتوبر ١٧٩٨م.

٥- يذكر ابن عبد الظاهر أن الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينيين كانوا فى الأيام الكاملية قدموا من الحجاز فنزلوا خارج باب النصر ، بهذه الأمكنة واستوطنوها وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفى فسميت الحسينية ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وابتنوا بها هذه الأبنية العظيمة - ولكن المقريزى نقد أمر تسمية الحسينية نسبة إلى الأشراف الحسينيين الذين أتوا إلى مصر فى أيام الكامل الأيوبى ، ورجح أن التسمية أقدم من هذا وأرجعها إلى زمن الحاكم الفاطمى وهذا ما نميل إليه ونؤيده . راجع فتحى حافظ الحديدى : مرجع سابق ، ص ٦٧.

بصياح فى الكلام : "نصر الله دين الإسلام" ، فذهبوا إلى بيت قاضى عسكر (١) وبه من سبقهم ممن على شاكلتهم نحو ألف وأكثر ، فخاف القاضى العاقبة وأغلق أبوابه ، وأوقف حجابه ، فرجموه بالحجارة والطوب ، وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب ، وكذلك اجتمع بالجامع الأزهر ، العالم الأكبر ، وفى ذلك الوقت حضر "اللعين" (٢) دبوى بطايفة من فرسانه ، وعساكره وشجعانه ، فمر بشارع الغورية (٣) وعطف على خط الصنادقية ، وذهب إلى بيت الشرقاوى فلم يجده ، فذهب إلى بيت القاضى ، فوجد ذلك الزحام ، فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة ، وتلك الأخطاط بالخلايق مزحومة ، فبادروا إليه وضربوه ،

١- قاضى عسكر : كان قاضى العسكر هو رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة فى العصر العثمانى فهو صاحب الولاية القضائية على قضاة محاكم القاهرة وإن لم يكن له سلطة على قضاة الأقاليم وكان قاضى العسكر يعين بموجب براءة سلطانية بناء على ترشيح قاضى عسكر الأناضول وهو بالتالى مسئول أمامه ، وكان له نائباً وهو دائماً يأتى معه من استانبول ، ويكون تعيين النائب دائماً مصاحباً لتعيين قاضى العسكر نفسه . وعند قدوم الفرنسيين كان قاضى العسكر من ضمن من فر هارباً من مصر وبقى أولاده وعين بونابرت الشيخ أحمد العريشى قاضياً للعسكر واتخذ معظم من تعرض لدراسة هذه النقطة أن أحمد العريشى هو أول قاضى عسكر مصرى فى العصر العثمانى ولكننا استطعنا أن نكشف زيف هذه النظرة فهناك غيره مثل الشيخ شهاب الدين الخفاجى المصرى " لمزيد من المعلومات راجع / عبد الرازق عيسى ، مرجع سابق،ص ٦٥ وما بعدها .

٢- كلمة " اللعين " حذفت من عجائب الآثار .

٣- الغورية :عرف هذا الحى باسم"سوق الشرابشين"وكانت به دكاكين لصناعة وخياطة الملابس السلطانية ثم سمي بالغورية نسبة إلى السلطان الغورى الذى أنشأ به مجموعة من المبانى ، تتكون من مدرسة وقبة وسبيل وكتاب ومنزل لسكن شيخ المدرسة ثم وكالة كبيرة بشارع التبلطية وخلفها حمام معروف باسم حمام العرائس .

د/ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ١٦٨.

وأثخنوا جراحاته وقتلوه ، وقتل الكثيرمن فرسانه (١) وأبطاله وشجعانه ، [وذهبوا إلى السعير وبئس المصير](٢) فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون ، ومن كل حـدب ينسلون ، ومـسكوا الأطراف الدايرة ، ومـعظم أخطاط القـاهرة ، كباب الفتوح (٣)وباب النصر(٤) والبرقية (٥) إلى باب زويلة (٦) وباب الشعرية(٧)

١- في النسخة (ب) "قتل الكثير من الفرانسيس" ولكن الأصوب الذى أثبتناه من بقية النسخ .
٢- ما بين القوسين حذفه الجبرتى من عجائب الآثار ، والهدف طبعاً واضح .
٣- باب الفتوح : أحد أبواب القاهرة وكان موضعه حينما أسس جوهر القاهرة قريباً من رأس حارة بين السيارج ، فلما جدد بدر الجمالى السور ١٠٨٧م أنشأ بأبى النصر والفتوح فى موضعيهما الحاليين وربطهما بسور يوصل بينهما بطرق وسراديب ، وهذا الباب يتكون من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل. عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢٣
٤- باب النصر : بناه جوهر الصقلى وكان يقع على بعد عشرين متراً إلى شمال جامع الشهداء المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون بشارع باب النصر تجاه زاوية القاصدين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء ، فلما جدد بدر الجمالى سور القاهرة عام ١٠٨٧م نقل باب النصر والفتوح من مكانهما الأصلى إلى مكانهما الحالى .
راجع :فؤاد فرج : القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٦ جـ٣ ، ص ٤١٧ .
٥- باب البرقية الأول :أحد أبواب القاهرة القديمة في سورها الشرقى أنشأه جوهر القائد فى سنة ٩٧٠م وقت إنشاء السور الأول ، وقد عرف باسم باب الغريب أو بوابة الخلاء لوقوعه شرقى جامع الغريب ، وقد جدد هذا الباب بعد جوهر عدة مرات وكان آخرها تجديد عبد الرحمن كتخدا لما جدد جامع الغريب فى سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م وقد هدم الباب المذكور عام ١٩٣٦ م عند إنشاء جامعة الأزهر الجديدة .
راجع د/ عبد الرحمن زكى – مرجع سابق ، ص ١٩ .
٦- باب زويلة : وهو أجمل أبواب القاهرة وقد جعله جوهر فى الضلع الجنوبى وهو ينسب إلى قبيلة زويلة وهى من قبائل البربر بشمال أفريقيا وقد انضمت القبيلة إلى جيش جوهر فى حملته لفتح مصر أما الموضع الأصلى لباب زويلة فكان عند مسجد يعرف بابن البناء . فؤاد فرج : مرجع سابق ، ص ٤١٨ .
٧- باب الشعرية : تحدثنا عنه سابقاً . وحول هذه الابواب : راجع ملحق رقم (٥) .

وجهة البندقانيين [1] وما حازاها ، ولم يتعدوا جهة سواها ، وهدموا مصاطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة ، لتعوق هجوم العدو فى وقت المعركة ، ووقف دون كل متراس ، جمع عظيم من الناس ، وأما الجهات البرانية ، والنواحى الفوقانية [ص ٧٧] فلم يفزع منهم فازع ، ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع ، وكذلك شذ عن الوفاق ، مصر العتيقة وبولاق [2] وعذرهم الأكبر ، قربهم من مساكن العسكر . ولم تزل طايفة المحاربين ، فى الأزقة متترسين ، فوصل جماعة من الفرنساوية وظهروا فى ناحية المناخلية ، وبندقوا على متراس الشوايين ، وبه جماعة من مغاربة الفحامين ، فقاتلوهم حتى أجلوهم ، وعن المناخلية أزالوهم ، وعند ذلك زاد الحال ، وكثر الرجف والزلزال ، وخرجت العامة عن الحد ، وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد ، وأمتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب ، فهجموا على حارة الجوانية ، ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام ، وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودايع والأمانات ، وسبوا النسا والبنات ،

١- جهة البندقانيين : هو شارع يبدأ من آخرشارع الو راقيين ، وينتهى عند شارع الحمزاوى ، وطوله ٦٤مترا ، ولقد سماه المقريزى " خط البندقانيين " وقال عنه : هذا الخط كان قديماً اسطبل الجميزة ، أحد اسطبلات الخلفاء الفاطميين ، فلما زالت الدولة اختط ، وصارت فيه مساكن وسوق يعرف بسوق البندقانيين من جملته عدة حوانيت لعمل قسى البندق . على مبارك : مرجع سابق ، جـ٣ ، ص ١٥٩ .

٢- يذكر الرافعى ذلك بقوله "وتنفيذاً لتعليمات بونابرت وزع الجنرالات "لان" و "فو" و"ألسكندربوماس" جنودهم بعد الفجر [فجر اليوم الثانى للثورة] فى ضواحى القاهرة لمنع سكانها أن ينحازوا إلى ثوار العاصمة وقد صدت القوات الفرنسية جموعاً كثيرة من الأهالى وحالت بينهم وبين العاصمة وبذلك تمكن بونابرت من حصر الثورة فى المدينة وعزلها عن البلاد المجاورة . راجع عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٢٧٦ .

وكذلك نهبوا خان الملايات ، وما به من الأمتعة والموجودات ، وأكثروا من المعايب ، ولم يفكروا فى العواقب ، وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال مستمرين .

وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا (١) مستعدين، وعلى تلال البرقية والقلعة واقفين، وأحضروا جميع الآلات ، من المدافع والقنابر والبنبات ، ووقفوا مستحضرين ، ولأمر كبيرهم منتظرين ، وكان كبير الفرنسيس أرسل إلى المشايخ مراسلة ، فلم يجيبوه عنها ومل من المطاولة ، وهذا والحرب والرمى متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ، حتى مضى وقت العصر ، وزاد القهر والحصر ، فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات ، على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ، وحرروا عليه المدافع والقنبر(٢) وكذلك ما جاوره من الأماكن المحازيين ، كسوق الغورية والفحامين ، فلما سقط [ص ٧٨] عليهم ورأوه ، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه نادوا : "يا سلام ، من هذه الآلام ، يا خفى الألطاف ، نجنا مما نخاف" وهربوا من كل سوق ، ودخلوا فى الشقوق ، وتتابع الرمى من القلعة والكيمان ، حتى تزعزعت الأركان ، وهدمت فى مرورها حيطان الدور ، وسقطت فى بعض القصور ، ونزلت فى البيوت والوكايل ، وأصمت الآذان (٣) بصوتها الهايل ، فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ، ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيس ، ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمى

١- صباح يوم الاثنين ١٢ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٧٩٨م .

٢- فى النسخة (أ) "القنابر" ولكن ما أثبتناه من باقى النسخ هو الأوفق لأسلوب السجع الذى درج عليه المؤلف خاصة عندما يتحدث عن حادثة هامة . وهى هنا على وزن كلمة "الأزهر" فى الجملة السابقة .

٣- فى النسخة (ب) "الأذن" .

المتراسل ، ويكفهم كما انكف (١) المسلمون عن القتال ، والحرب خدعة وسجال ، فلما ذهبوا إليه ، واجتمعوا عليه ، عاتبهم فى التأخير ، واتهمهم فى التقصير ، فاعتذروا إليه فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم ، وقاموا من عنده ينادون بالأمان فى المسالك ، وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة ، وتسابقوا بالإشارة (٢) والبشارة ، واطمأنت منهم القلوب ، وكان الوقت قبيل الغروب .

وانقضى النهار وأقبل الليل(٣) وغلب على الظن أن القضية لها ذيل ، وأما أهل الحسينية ، والعطوف البرانية ، فإنهم لم يزالوا مستمرين ، وعلى الرمى والقتال ملازمين . ولكن خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود ، والإفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع ، بالقنابر (٤) والمدافع ، إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك وانصرفوا ، وكف (٥) عنهم القوم وانحرفوا .

وبعد هجعة من الليل (٦) دخل الإفرنج المدينة كالسيل ، ومروا فى الأزقة والشوارع ، لا يجدون لهم ممانع ، كأنهم الشياطين أو جند [ص ٧٩] إبليس ، وهدموا ما وجدوه من المتاريس ، وذهبوا وجاءوا ، وبغضب الله باءوا ، ودخلت (٧)

١- فى النسخة (ب) "انكفوا " .

٢- كلمة "بالإشارة" غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناه من بقية النسخ .

٣- ليلة يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م .

٤- فى النسخة (ب) "بالقنبر .

٥- فى النسخة (ب) "وكفت " والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٦- ليلة يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م.

٧- فى النسخة (أ) "ودخل " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

طائفة من باب البرقية ، وشقوا إلى الغورية ، وكرّوا ورجعوا ، وترددوا وما هجعوا ، وعلموا باليقين ، أن لا دافع لهم ولا كمين ، وتراسلوا أرسالاً ، ركباناً ورجالاً ، [ثم دخلوا أوليك الوعول ، إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول ، وولجوه من الباب الكبير ، وخرجوا من الباب الثانى حيث موقف الحمير ، وداس فيه المشاة بالنعالات ، وهم يحملون السلاح والبندقيات][(1)] وتفرقوا فى صحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والبحرات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا[(2)] خزاين الطلبة ، والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع ، والأوانى والقصاع ، والودايع والمخبآت ، بالدواليب والخزانات ، ودشتوا[(3)] الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالاتهم داسوها ، وأحدثوا بالمسجد وتمخطوا[(4)] وبالوا وتغوطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه ، وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل ما صادفوه به عروه ، ومن ثيابه أخرجوه ، [ووجدوا فى بعض الأروقة انساناً فذبحوه ، ومن الحياة أعدموه ، وفعلوا بالجامع الأزهر ، ماليس عليهم بمستنكر ، لأنهم أعداء الدين ، وأخصام متغلبون ، وغرماء متشمتون ، وضباع متكالبون وأجناس متباينون ، وأشكال متعاندون ، وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن ، فسحة لجيش الشيطان ، لرهن لزمه فأداه ، وقطع كان عليه فتعداه][(5)].

١- الفقرة بين القوسين محذوفة من عجائب الآثار وكتب بدلها هذه العبارة " ثم دخلوا إلى الجامع وهم راكبون الخيول وبينهم المشاه كالوعول وتفرقوا بصحنه " عجائب الآثار جـ٣ .

٢- فى النسخة (ب) "وفتحوا "

٣- فى النسخة (ب) "وشققوا " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- هذه الكلمة غير موجودة فى النسخة (ب).

٥- الفقرة التى بين القوسين محذوفة من عجائب الآثار ، ولذلك دلالة لا تخفى عن الفطن .

ولما أصبح يوم الثلاثا(١) اصطف منهم حزب بباب الجامع ، فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعاً ويسارع [ص ٨٠] وتفرقت طوايفهم بتلك النواحى أفواجاً ، واتخذوا السعى والطواف بها منهاجاً ، وأحاطوا بها إحاطة السوار(٢) ونهبوا بعض الديار ، بحجة التفتيش على النهب ، وآلة السلاح والضرب ، وخرجت سكان تلك الجهة يهرعون ، وللنجاة بأنفسهم طالبون ، وانتهكت (٣) حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ، وترغب الناس فى سكناها ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع ، وجماعة الإفرنج لا يمرون بها إلا فى النادر ، ويحترمونها كغيرهم فى الباطن والظاهر ، فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع ، وانخفض على القياس المرفوع ، ثم ترددوا فى الأسواق ووقفوا صفوفاً ، ميئيناً وألوفاً . فإن مر بهم أحد فتشوه ، وأخذوا ما معه وربما قتلوه . ورفعت القتلى والمطروحين ، من الإفرنج والمسلمين ، ووقف جماعة من الفرنسيس ، ونظفوا مراكز المتاريس ، وأزالوا ما بها من الأتربة ، والأحجار المتراكمة ، ووضعوها فى ناحية ، لتصير طرق المرور خالية ، وتحزبت نصارى الشوام ، وجماعة أيضاً من الأروام ، الذين نهبت دورهم فى حارة الجوانية ، يشكون لكبير الأفرنج ما لحقهم من الرزية ، واغتنموا الفرصة فى المسلمين ، وأظهروا ماهو بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم شاركوا الإفرنج فى النوايب ، وما قصدهم المسلمون ونهبوا ما لديهم ، إلا لكونهم منسوبين إليهم ، مع أن المسلمين الذين جاوروهم ، نهبوهم الزعر أيضاً وسلبوهم ، وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذى عند باب حارة الروم ،

١- يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م.
٢- فى النسخة (ب) "أسواراً "
٣- فى النسخة (ب) " وانكشفت " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ .

وفيه بضايع المسلمين ، وودايع الغايبين ،فسكت المصاب على [ص ٨١] غصته ، واستعوض الله في قضيته ، لأنه إن تكلم لا تسمع دعواه ، ولا يلتفت لشكواه ، وانتدب برطلمين "الكافر"(١) للعسس ، على من حمل السلاح أو اختلس ، وبث أعوانه في الجهات ، فيتجسسون في الطرقات ، فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم ، وما ينهبه النصارى من أبغاضهم ، فيحكم فيهم بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده ، ويأخذ منهم الكثير ، ويركب في موكبه ويسير ، وهم (٢) موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ، فيودعونهم السجونات ، ويطالبونهم بالمنهوبات ، ويقررونهم بالعقاب والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب ، ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول عليهم القبض ، وكذلك فعل مثل فعله اللعين (٣) الأغا ، وتجبر في أفعاله وطغى ، وكثير من الناس ذبحوهم ، وفي نهر النيل قذفوهم ، ومات في هذين (٤) اليومين وما بعدها أمم كثيرة لا يحصى عددها (٥) وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

وأصبح يوم الأربع (٦) فركب فيه المشايخ

١- كلمة "الكافر" محذوفة من عجائب الآثار .
٢- في النسخة (أ) "وهو" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٣- هذه هي المرة الوحيدة التي يبقى فيها الجبرتي على لفظ " اللعين " في عجائب الآثار وربما سها عنها ، أو ربما لم يغير موقفه من الأغا .
٤- في النسخة (ب) " هذه " .
٥- في النسخة (أ) "عدها " .
٦- يوم الأربعاء ١٤ جمادى الأول ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨م . ومن عادة الجبرتي أن يكتبها يوم الأربعا ولكنه كتبها "الأربع " بالنطق العامي لتتفق مع كلمة "أجمع " في الجملة التالية بحسب السجع الذي درج عليه المؤلف .

أجـمع (١) وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه ، وخـاطبوه فى العفـو ولاطفوه ، والتمسوا منه أماناً كافياً ، وعفواً ينادون به باللغتين شـافياً ، لتطَمينّ بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعـهم من هذه الرزية ، فوعدهم وعداً مشوباً بالتسويف ، وطالبهم بالتبيين والتـعريف ، عمن تسبب من المتعممين فى اثارة العوام ، وحرضـهم على الخلاف والقيـام ، فغالطوه عن تلك المقـاصد ، فـقال على لسان الترجمـان :"نحن نعرفهم بالواحد "فترجوا عنده فى إخراج العسكر ، من الجامع الأزهر ، فأجابهم لذلك [ص ٨٢] السؤال ، وأمر بإخراجهم فى الحال ، وأبقوا منهم نحو السبـعين ، ثـم (٢)أسكنوهـم بالخطة كـالضـابطين ، ليكونوا للأمـور مـراصـدين ، وبالأحكام متقـيدين ، ثم (٣) أنهم فـحصـوا عن المتـهمين فى إثارة الفـتنة ، فطلبـوا الشـيخ

١- أصدر علماء الديوان الخطاب الآتي بعد ثورة القاهرة الأولى "نرجو الله العلى القدير أن يحفظكم من الفتنة والفوضى ما ظهر منها وما بطن ويبعدنا عن الذين يعيثون فى الأرض فساداً اننا نخبر سكان اقليم مصر أنه قد حصل فى مدينة القاهرة بعض الاضطرابات من جانب بعض العناصر المنحطة تؤازرها شرذمة من المجرمين فقد بثوا روح الشقاق بين الجنود الفرنسيين والرعايا الأمنين مما تسبب فى قتل كثير من المسلمين وعمليات سلب ونهب لبعض المساكن والمنازل لكن الله لطف بنا وأخمدت الفتنة وقد توسلنا إلى القائد العام بونابرت فرجع عما كان ينويه من صب غضبه علينا بعد اخماد الثورة لقد منع الجنود من اضرام النار في المدينة بأسرها ومن تركها للسلب والنهب لأنه رجل عاقل حكيم طيب ورحيم بالمسلمين أنه يحمى الفقراء بصفة خاصة ولولاه لهلك جميع سكان القاهرة. لذلك إياكم ونشر الفتنة والفوضى بين المواطنين حتى تعيشوا فى منازلكم بين أسركم فى طمأنينة وأمان لاتنصتوا إلى نصائح الأشرار وهمسات مثيرى الفتن التعساء الذين لا يقدرون العواقب وتذكروا أن الله يعطى السلطان لمن يشاء ويأمر بما يشاء ...إننا نستحلفكم بالله ألا تزجوا بأنفسكم فى التهلكة والتفتوا لأعمالكم وأرزاقكم ١٤ جمادى الأول ١٢١٣ "كورييه دى ليجيبت العدد ١٤ ص ٤٠

٢- كلمة "ثم " غير موجودة فى النسخة (أ)

٣- كلمة " ثم " غير موجودة فى النسخة (ب) .

سليمان الجوسقى ، شيخ طايفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى ، والشيخ إسماعيل البراوى ، وحبسوهم ببيت البكرى ، وأما السيد بدر ، فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام ، وفحصوا عليه فلم يجدوه ، وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين ، فغولطوا ، واتهم أيضاً إبراهيم أفندى كاتب البهار ، بأنه جمع له جمعاً من الشطار ، وأعطاهم الأسلحة والمساوق وكان عنده عدة من المماليك المخفيين ، والرجال المعدودين ، فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الأغا (١) .

وفى يوم الأحد ثامن (٢) عشره ، توجه الشيخ السادات وباقي المشايخ إلى بيت صارى عسكر الفرنسيس ، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقايمقام القلعة ، فقيل لهم طولوا بالكم (٣) ولا تستعجلوا ، فقاموا وانصرفوا .

وفيه (٤) نادوا فى الأسواق بالأمان ، ولا أحداً يشوش على أحد ، والقبض

١- قام بونابرت بمعاملة سكان القاهرة بوحشية بعد القضاء على ثورة القاهرة الأولى ، وذكرت صحيفته ذلك بقولها : "عاد الهدوء التام إلى القاهرة وقد أعدم رمياً بالرصاص عدد من الأفراد الذين اعتقلوا وهم يحملون السلاح وتؤكد الأنباء أن حوالى عشرين من أهم الزعماء قد اعتقلوا ويجرى العمل بنشاط الآن في حصنين أحدهما يسمى حصن دبوى والثانى يسمى حصن سولكوسكى ويقع الأول فى المكان الذي ضرب فيه الجنرال دومارتان بمدافعه ، وميزة موقع هذين الحصنين مزدوجة ، فهى تسمح بالتحكم في المدينة والدفاع عنها ضد تسلل العربان ". كورييه دى ليجييت ، العدد ١٤ ، ص ٤٠ .

٢- فى النسخة (ب) "يوم الأحد ثانى عشره" وهو خطأ لأن يوم الأحد يوافق ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨م.

٣- فى النسخة (أ) و (جـ) "طولوا روحكم" ، وفى عجائب الآثار "وسعوا بالكم" .

٤- أى فى يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨م . وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

على الناس مستمر ، ليلاً ونهاراً ، وكذلك كبس البيوت والنهب ، بحسب ما ينهبه العدو فى عدوه ، ورد بعض الأمتعة التى نهبت للنصارى .

وفيه توسط عمر القلقشى لمغاربة الفحامين ، وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافره ، وعرضهم على صارى عسكر فاختار منهم الشباب وأولى القوة ، وأعطاهم سلاحاً وألات حرب ، ورتبهم عسكر ورئيسهم عمر المذكور ، وخرجوا وأمامهم الطبل الشامى ، على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا إلى جهة بحرى ، بسبب أن بعض البلاد [ص ٨٣] قامت [1] على عسكر الإفرنج وقت الفتنة وقاتلوهم ، وضربوا أيضاً مركبين بها عدة من عساكرهم ، وحاربوهم وقاتلوهم ، فلما ذهب أوليك المغاربة ، سكنوا الفتنة ، وضربوا عشمة ، وقتلوا كبيرها المسمى بابن شعير ، ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهايمه ، وكان شيئاً كثيراً جداً ، وأحضروا اخوته وأولاده وقتلوهم، ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير ، جعلوه شيخاً عوضاً عن أبيه ، وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة [2] ورتبوا لهم من الفرنسيس جماعة يأتون إليهم فى كل يوم ويدربوهم على كيفة حالهم [3] وحربهم ، وقانون ترتيبهم ، ومعنى اشاراتهم ، فى مصافاتهم ، فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفاً ، وبأيديهم بنادقهم ، فيشير إليهم بألفاظ مستهجنة بلغتهم ، كأن يقول " هردبوش" فيرفعونها قابضين باكفهم على أسافلها ثم يقول "مرش" فيمشون صفوفاً ، إلى غير ذلك .

١- فى النسخة (أ) "أن بعض البلاد قام "

٢- باب سعادة :أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها الغربى المحاذى للخليج المصرى ، أنشأه جوهر الصقلى فى ٩٦٩ - ٩٧٠ م وقت إنشاء السور الأول وهو منسوب إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله وقد مات عام ٩٧٣ م راجع د. عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢١ .

٣- كلمة "حالهم " غير موجودة فى النسخة (أ) .

وفيه سافر برطلمين "الكافر"[1] إلى ناحية سرياقوس ، ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين إلى جهة الشرق ، فلم يدركهم ، وقبض من البلاد تفريدة وكلف ، وعسف فى قبضها وتحصيلها ، ورجع بعد أيام .

وفى يوم الأربعا [2] ، تصدى الشيخ المهدى لإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف مع كبير الفرنسيس ، بمعونة بوسليك المعروف بالروزنامجي ، ونقله من بيت الأغا إلى داره ، وطلبوا منه قايمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار.

وفى يوم الخميس [3] سافر عدة مراكب نحو الأربعين ، بها عساكر الإفرنج إلى جهة بحرى .

وفى ليلة السبت رابع عشرينه [4] حضر هجان من ناحية الشام ، وعلى يده مكاتبات ، وهو صورة فرمان وعليه طرة ، ومكتوب من أحمد باشا وآخر من بكر باشا إلى كتخدايه مصطفى بيك ، ومكتوب كله بالعربى ، مضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية ، والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ، ولعن طايفة الإفرنج والحط عليهم ، وذكر عقيدتهم الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم ، وكذلك بقية المكاتيات بمعنى ذلك ، فأخذهم مصطفى بيك وذهب بهم إلى كبير الفرنسيس ، فلما اطلع عليهم قال : "هذا تزوير من إبراهيم بيك ليوقع بيننا وبينكم العداوة

١- كلمة " الكافر " حذفت من عجائب الآثار .

٢- يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأول ١٢١٣هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٧٩٨م .

٣- يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ١نوفمبر ١٧٩٨م .

٤- يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٧٩٨م .

والمشاحنه وأما أحمد باشا (١) فهو رجل فضولى ، لم يكن والياً بالشام ولا مصر ، لأن والى الشام إبراهيم باشا ، وأما والى مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم ، الذى هو الآن والى الشام ، وأنا أخبر بذلك وسيأتى بعد أيام والى ، ونقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة ، ووردت الأخبار بانفصال محمد باشا عزت عن الوزارة ، وعزل أنفار (٢) من رجال الدولة .

وفى مدة هذه الأيام ، بطل الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام بعمل متاريس فى عدة جهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا عدة أماكن بالجيزة ، وحصنوها تحصيناً زايداً ،

١- من ضمن الاستعدادات التى أعدتها الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر بعد علمها بذلك هو تعيين " أحمد باشا الجزار " قائداً للجيش المصرى ، المكلف باسترداد مصر من الفرنسيين ، وكذلك تعيينه والياً على مصر بالإضافة إلى ولايات " صيدا والشام وطرابلس وهناك وثيقتان تتعلقان بهذا الموضوع " نشرهما د/ عبد الله عزباوى " الوثيقة الأولى عبارة عن خطاب من أحمد باشا الجزار إلى السلطان العثمانى سليم الثالث ، أرسله مع ميراخور الأول أمير الأسطبلات السلطانية مؤرخ فى أبريل ١٧٩٩وفيه يشكر أحمد باشا الجزار السلطان على تعيينه قائد للجيش المصرى وعلى إهدائه ساعة مرصعة وسلسلة وفنجان مرصع طرفه ووقع "أحمد باشا الجزار والى صيدا والشام وطرابلس ومصر " ولكن يبدو أن السلطان قد رجع عن قراره هذا فيما بعد وسحب تعيين الجزار لأسباب عديدة . راجع د/ عبد الله عزباوى :الحملة الفرنسية على مصر والشام ١٧٩٨:١٨٠١ فى ضوء بعض الوثائق التركية ، مؤتمر أقيم فى آداب عين شمس قسم اللغات الشرقية عام ١٩٨٤ ، ص ٧ وما بعد ها من الآلة الكاتبة .

٢- يشير الجبرتى هنا إلى عزل السلطان لبعض كبار موظفيه وهذا ما حدث بالفعل حيث عزل الصدر الأعظم وعين بدلاً منه "يوسف باشاضياً " وكان هذا هو كبش الفداء الذى أراده السلطان لتبرير غفلتهم التى أدت إلى سقوط مصر غنيمة فى أيدى الفرنسيين .

وكذلك مصر العتيقة ، ونواحى شبرا وانبابة ، وهدموا عدة مساجد منها المسجد المجاور لقنطرة الدكة ، ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان (١) على الخليج الناصرى ، بباب البحر ، وقطعوا أشجاراً كثيرة ، ونخيل البساتين ، وهدموا جامع الكازرونى بالروضة ، وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة قطعوها ، وحفروا هناك عدة خنادق كثيرة ، وغير ذلك ، والنخيل جهة الحلى وبولاق ، وخربوا الدور ، وهدموا القصور ، وكسروا الشبابيك ، [ص ٨٥] والأبواب ، وحرقوا الأخشاب .[بحيث عم جميع الأماكن الخراب ، وزعق فيها البوم والغراب] (٢)

وفى ليلة الأحد(٣) حضر جماعة من عسكر الفرنسيس إلى بيت البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين لعند صارى عسكر ، ليتحدث معهم ، فلما صاروا خارج الدار ، وجدوا عدة كثيرة فى انتظارهم ، فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت قايمقام ، بدرب الجماميز ، فعروهم من ثيابهم ، وصعدوا بهم إلى القلعة ، وسجنوهم إلى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم وألقوهم من السور ، خلف القلعة ، وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياماً .

وفى ذلك اليوم (٤) ركب بعض المشايخ إلى مصطفى أغا كتخدا الباشا ، وكلموه فى أن يذهب معهم إلى صارى عسكر ، ليشفع فى الجماعة المذكورين ، ظناً منهم أنهم فى قيد الحياة ، فركب معهم إليه وكلموه فى ذلك ، فقال لهم

١- "جامع المقس" أنظر فيما يلى حيث حققناه فى أحد الهوامش التالية ص ٢٢١.

٢- العبارة التى بين القوسين " محذوفة من"عجائب الآثار "

٣- يوم الأحد ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٤نوفمبر ١٧٩٨م .

٤- أى يوم الأحد ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٤ نوفمبر ١٧٩٨م .

الترجمان ، يقول لكم الصارى عسكر :"اصبروا ما هو وقته "وقام ليذهب فى بعض أشغاله ، ورجعوا (١) إلى دورهم .

وفى يوم الثلاثا (٢) حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر ، فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم كرشة وأغلقوا الدكاكين ، وتسابقوا للهروب ، وذهبوا إلى البيوت والمساجد ، واختلفت آراؤهم ، ورأوا فى ذلك قضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلتهم ، فذهب بعض المشايخ إلى صارى عسكر ، وأخبروه بذلك ، فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب ، فذهبوا وتراجع (٣) الناس وفتحوا الدكاكين ، ومر الوالى والأغا وبرطملين ، ينادون بالأمان ، فسكن الحال ، وقيل أن بعض كبرايهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد ، وجلس عنده حصة ، وهؤلاء كانوا أتباعه ، ووقفوا [ص ٨٦] ينتظرونه ولعل ذلك قصداً للتخويف والإرهاب ، خشية من قيام فتنة ، لما أشيع قتل المشايخ .

١-فى النسخة (أ) "وركبوا" .

٢- يوم الثلاثاء ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣هـ ٦ نوفمبر ١٧٩٨م.

٣- فى النسخة (ب) "ورجعت الناس"

وفيه[1] كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من إثارة [2] الفتنة ، وأن من قتل من المسلمين فى[نظير من قتل من الفرنسيس] [3]

وفيه شرعوا فى إحصا الأملاك والمطالبة بالمقرر ، فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوه بكلمة . [4]

وفيه أيضاً قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة [5] وهى التى كانت تركت وسُومِح أصحابها وصالحوا عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا القلقات والوسايط على بقايها ، وكذلك دروب الحسينية ، فلما أنقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليهم ، وقلعوهم ونقلوهم إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ، ثم كسروها وفصلوا أخشابها قطعاً ، ورفعوا بعضها على العربات ، إلى حيث يصنعون المتاريس ، بالنواحى والجهات ، وباعوا بعضها حطباً للوقود ، وكذلك ما بها من الحديد باعوه .

١- أى فى يوم الثلاثاء وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

٢- فى النسخة (ب) "أثر الفتنة " .

٣- العبارة التى بين القوسين مفقودة فى النسخة (ب) وجدير بالذكر أن محققى طبعة لجنة البيان العربى قد اعتمدوا على النسخة (ب) فقط ، ولذلك حاولوا إكمال النص بالتخمين فكتبوه هكذا " وأن من قتل من المسلمين فى هذه الأيام فلما ارتكبوه من معصية أو ما شابه ذلك " وكان الأجدر بهم مراجعة أى نسخة أخرى أو على الأقل مراجعة عجائب الآثار بدلاً من أسلوب التخمين الذى قد يصيب وقد يخطئ .

٤- يضيف الجبرتى تعليقاً طريفاً فى عجائب الآثار فى نهاية هذه اليومية ولا بأس من الإشارة إليه حيث يقول "ومن لم يرضى بالتوت يرضى بحطبه " والعبارة لا تحتاج إلى تعليق .

٥- فى النسخة (أ) "الغير النافذة " والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

وفى ليلة الخميس [1] هجم المنسر [2] على بوابه سوق طيلون ، وكسروها وعبروا منها إلى السوق ، فكسروا القناديل ، وفتحوا ثلاث حوانيت [3] وأخذوا ما بها من متاع المغاربة ، وقتلوا القلق [4]الذى هناك ، وخرجوا بدون مُدافع ومُنازع .

وفى يوم الخميس المذكور ، ذهب المشايخ إلى صارى عسكر ، وتشفعوا فى ابن الجوسقى ، شيخ العميان ، فإنه كان معوقاً ببيت البكرى ، فشفعهم فيه ، وأطلقوه .

شهر جمادى الثانية ١٢١٣هـ [5]

استهل بيوم السبت [6] ، فيه كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ ، وأرسلوها إلى البلاد ،ولصقوا منها نسخاً بالأسواق والأزقة ،ونصها "صورة[ص ٨٧] نصيحة من كافة علما الإسلام بمصر المحروسة ، نعوذ بالله من :

١- يوم الخميس ٢٩ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٧٩٨م .

٢- المنسر فى المعاجم القديمة طليعة الجيش وفى المعجم الوجيز "جماعة اللصوص " وفى اصطلاح العامة "عصابة منظمة من اللصوص " و" شيخ المنسر " كبير اللصوص ، والجبرتى يقصد المعنى الأخير .

٣- الصواب "ثلاثة حوانيت " ولكنها جاءت هكذا في جميع النسخ .

٤- القلق : من الكلمة التركية"قول " بضم القاف ضمة مقبوضة مفخمة ، بمعنى العبد ، والقلق فى التركية العبودية ، ولما كان عبيد الباب هم حرسه فقد صارت القلق فى التركية بمعنى دار الحراسة ومكان إقامة الحرس ، واستعملها الجبرتى إلى ذلك بمعنى الحارس نفسه . د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

٥- فى النسخة (ب) "جمادى الثانى" وتاريخ السنة لا يذكر فى النسخة (أ) دائماً ويذكر فى النسخة (ب) أحياناً وحرف الهاء الذى يشير إلى السنة الهجرية من وضع المحققين لأن المفروض أن المؤلف يستخدم التقويم الهجرى فقط لذلك لا يشير إليه .

٦- يوم السبت غرة جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨م .

الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ونبرأ إلى الله من الساعين فى الأرض بالفساد ، نعرف أهل مصر قاطبة أنه حصل بعض خلل فى مدينة مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس ، فحركوا الشرور بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، بعدما ما كانوا أصحاباً وأحباباً بالسوية ، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين، ونهبت بعض من البيوت ، ولكن حصلت الطاف الله الخفية ، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته ، وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة للفقرا والمساكين ، ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع [١] المدينة ، ونهبت جميع الأموال ، وقتلوا كامل أهل [٢] مصر ، فعليكم ألا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تكونوا مع الخاسرين سُفها العقول ، الذين لا يقدرون العواقب، لأجل أن تحفظوا أموالكم [٣] وأوطانكم ، وتطْمَينوٌا على عيالكم وأديانكم ، فإن الله سبحانه وتعالى يوتى ملكه من يشاء ، ويحكّم ما يريد ، ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة ، قتلوا عن آخرهم ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ، ونصيحتنا لكم ألا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معايشكم ، وأمور دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم ، والدين النصيحة ، والسلام"[٤]

وفيه [٥] أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين عنهم ، ليكون الكل فى حومة واحدة ، وذلك لما

١- كلمة "جميع " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٢- فى النسخة (ب) " أهالى مصر " .

٣- كلمة " أموالكم" غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

٤- راجع هامش فيما سبق حيث نشرنا النص من كوربيه دى ليجييت .

٥- أى فى يوم السبت غرة جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨م .

داخلهم من [ص ٨٨] المسلمين ، حتى إن الشخص منهم صار لا يمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا من حين دخول البلد لا يمشون به أصلاً إلا لغرض ، والذى لم يكن معه سلاح يأخذ معه عصاً أو سوطاً أو نحو ذلك ، وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وأخذ كل واحد حذره من الآخر ، وانكف المسلمون من الخروج والمرور بالأسواق ، من الغروب إلى طلوع النهار ، ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر إلى الأزبكية ،"اللعين"(١) كفرلى (٢) المسمى عند العامة بأبى خشبة ، لأن إحدى رجليه مقطوعة من الركبة ، وقد ألبسها خشبة وهو يمشى بها بدون معين ، ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار إليه فيهم والمدبر لأمور القلاع والبناء ومصاف الحروب ، ولهم به عناية عظيمة واهتمام زايد ، كان يسكن بيت مصطفى كاشف طرا ، وفى وقت الحادثة ، هجمت على الدار العامة ، فنهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية ، وفر الباقون ، فأخبروا من بالقلعة الكبيرة ، فنزل منهم عدة وافرة ، وقف بعضهم خارج الدار ، بعض أن طردوا المزاحمين ببابها وضربوهم بالبندق ، ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة ، وكان بتلك الدار شئ كثير من آلات الصنايع والنظارات الغريبة ، والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية ، وغير ذلك مما هو معدوم النظير ، كل آلة لا قيمة لها عند من لا يعرف صنعتها ومنفعتها ، فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعاً ، وصعب ذلك على

١- كلمة " اللعين " محذوفة من عجائب الآثار .

٢- الجنرال كافريللى Caffarelli من أسرة إيطالية استوطنت فرنسا ، فقد إحدى قدميه فى حروب الثورة وجاء إلى مصر بساق واحدة ، وقد اختاره نابليون رئيساً لفرقة المهندسين فى الجيش ، وقد قتل فى حصار عكا كما سنرى فى الصفحات التالية .

الفرنسيس [ص ٨٩] جداً ، وأقاموا مدة طويلة يفحصون على تلك الآلات ، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات . وممن استشهد (١) في وقعة تلك الدار ، الشيخ محمد الزهار .

وفي خامسه (٢) أفرجوا عن إبراهيم أفندي كاتب البهار ، وتوجه إلى بيته .

وفي ثامنه (٣) قتلوا أربعة أنفار من نصارى القبط ، فيهم اثنان من النجارين ، قيل أنهم سكروا في الخمارة ، ومروا في سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين ، وسرقوا منها أشيا ، وقيل تكرر منهم ذلك عدة مرار ، فاغتاظ لذلك القبطة .

وفيه (٤) كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخاً للبلاد ، ولصقوا منها بالأخطاط والأسواق ، وذلك على لسان المشايخ أيضاً ولكن تزيد صورتها عن الأولى ، ونصها(٥) :" صورة نصيحة من علما الإسلام بمصر المحروسة ، نخبركم يا أهل المداين والأمصار من المؤمنين ، ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين ،

١- كلمة استشهد استبدلها الجبرتي في عجائب الآثار بكلمة "قتل" .

٢- يوم الأربعاء ٥ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٤ نوفمبر ١٧٩٨م .

٣- يوم السبت ٨ جمادى الاخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م .

٤- أي في يوم السبت .

٥- يذكر الرافعي عن هذا البيان قوله "الظاهر أن هذا البيان لم يكن له الأثر المطلوب في تهدئة الخواطر وإقرار النفوس لأن فكرة الثورة والمقاومة كانت قد عمت الأقاليم وذاعت الأشاعات وتواترت الأنباء بأن السلطان سوف يرسل جيشاً لأخراجهم ووردت مكاتبات من الجزار والمماليك لتؤيد هذه الأقوال وتحرض المصريين على الثورة فطلب بونابرت من علماء القاهرة أن ينشروا بياناً ثانياً يوزع في الأقاليم لتهدئة الخواطر وتكذيب تلك الأشاعات فكان هذا البيان . الرافعي : مرجع سابق ، جـ ٢ ص ٢٩٧ وما بعدها .

أن إبراهيم بيك ومـراد بيك وبقـيـة دولة المماليك ، أرسلوا عـدة مكاتبـات (1) ومخاطبات إلى ساير الأقاليم المصرية ، لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنهـا من حـضـرة مولانـا السلطان ، ومن بعض وزاريه ، بالكذب والبـهـتـان وسبب ذلك أنه حصل لهم شدة الغم والكرب الزايد ، واغتاظوا غيظاً شديداً من علما مصر ورعاياها ، حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ، ويتركون عيالهم وأوطانهم ، فـأرادوا أن يوقـعـوا الفـتـنة والشـر بين الرعيـة والعسكر الفـرنسـاوية ، لأجل خـراب البـلاد وهلاك كـامل الرعيـة ، وذلك لشـدة مـا حـصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم ، وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ، ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنهـا من حـضـرة [ص ٩٠]مـولانا (2) سلطان السـلاطين ، لأرسلهـا جـهـاراً مع أغوات معينين ، ونخبركم أن الطايفـة الفرنساوية بالخصوص عن بقيـة الطوايف الإفرنجية ، دايماً يحبون المسلمين وملتهم ، ويبغضون المشركين وطبيعتهم ، أحباب لمولانا السلطان ، قايمون بنصرته ، وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته ، يحبون من والاه ، ويبغضون من عاداه ، ولذلك بين الفرنساوية والموسقوف (3) غاية العداوة الشديدة ، من أجل عداوة الموسقوف القبيحة الردية ، والطايفة الفرنساوية

١- في النسخة (ب) "مكاتيب" .

٢- في النسخة (ب) لفظة "مولانا" غير موجودة .

٣- في النسخة (أ) "الموسقوا" وفي عجائب الآثار "الموسكوف" ولكن ما يهمنا الإشارة إليه أن بونابرت الذي أملى على العلماء هذا البيان كان لا يزال يلعب على وترأنه صديق للسلطان العثماني ولم يعلن له العداء بعد كذلك فهو يعلم كراهية الشعب "للروس" لأنهم أعداء السلطان نتيجة لحروبهم الطويلة ضده فعمل على استغلال ذلك في التقرب من المصريين ، هذا على الرغم من أنه كان قد حدث تحالف بين "الدولة العثمانية - إنجلترا - روسيا" لإخراج الحملة الفرنسية من مصر .

يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم إن شا الله ولا يبقون منهم بقية ، فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ، ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم فى أنفسكم نادمين (١) وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا فى أوطانكم سالمين ، وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمينين ، لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارتة ، اتفق معنا على أنه لا ينازع أحد فى دين الإسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية ساير المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم ، فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم بيك ومراد ، وارجعوا إلى مولاكم مالك الملك وخالق العباد ، فقد قال نبيه ورسوله الأكرم :"الفتنة نايمة لعن الله من أيقظها بين الأمم" ، عليه أفضل [ص ٩١] الصلاة والسلام ختام "(٢)

وفى ثالث عشره (٣) قتلوا شخصين عند باب زويلة ، أحدهما يهودى ، لم يتحقق السبب فى قتلهما .

وفيه(٤) أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم بيك (٥) كتخدا مناو(٦) ودايع لبنت

١- كلمة "فى أنفسكم " غير موجودة فى النسخة (أ) .

٢- نشر هذا المكتوب فى كوريبه دى ليجيبت العدد ١٦ ، ص ٥٣ ويوجد بعض الاختلافات اللفظية بينه وبين ما نشره الجبرتى هنا .

٣- يوم الخميس ١٣ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م .

٤-أى فى ثالث عشره .

٥-كلمة "بيك" غير موجودة فى النسخة (أ) .

٦- فى كل النسخ كتبت " مناو " فوضعنا اللفظ لاستقامة المعنى .

إبراهيم بيك وزوجها صناديق ضمنها مصاغ وجواهر ، وأوانى ذهب وفضة ، وأمتعة وملابس ، أشيا كثيرة جداً .

وفى خامس عشره (١) مرّ جماعة من عسكر الإفرنج بباب زويلة ليلاً ، وفتحوا بعض دكاكين السكرية ، ونهبوا ما بها من السكر ، وضاع على أصحابه .

وفيه(٢) دلوا على إنسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بيك الدفتردار ، فطلبوه وأمروا بإحضارهما ، فأحضرهما بعد الإنكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنها أسلحة وجواهر وسبح من اللؤلؤ ، وخناجر مجوهرة ، وغير ذلك (٣)

وفى عشرينه (٤) كتبوا عدة أوراق مطبوعة ، ولصقوها بالأسواق ، مضمونها أن يوم الجمعة حادى عشرينه ، قصدنا نطير مركب ببركة الأزبكية فى الهوا ، بحيلة فرنساوية ، فكثر لغط الناس فى ذلك ، فلما كان ذلك اليوم قبل العصر ، اجتمعت الناس والكثير من الإفرنج ، ليروا تلك العجيبة ، وكنت بجملتهم ، فرأيت قماشاً على هيئة الأوية ، على عامود قايم ، وهو ملون أبيض وأحمر وأزرق ، وعمودها مركب على مثل دايرة الغربال ، وفى وسطه (٥) سكرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان ، وتلك السكرجة مصلوبة بسلوك حديد منها إلى الدايرة، وهى مشدودة ببكر وأحبال ، وأطراف الأحبال بأيدى أناس (٦) قايمين بأسطحة

١-يوم السبت ١٥ جمادي الآخرة ١٢١٣هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨م .

٢- أى فى خامس عشره .

٣- فى النسخة (ب) " وما أشبه ذلك .

٤- يوم الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨م .

٥- كلمة " وفى وسط " غير موجودة فى النسخة " ب " .

٦- فى النسخة (ب) " الناس " وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأصوب .

البيوت القريبة منها ، فلما كان بعد العصر بنحو ساعة ، أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها إلى ذلك القماش [ص ٩٢] وملاه فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود إلى مركزه ، فلم يجد منفذاً ، فجذبهامعه إلى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال حتى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الأحبال ، فصعدت إلى الجو مع الهوا ومشت معه هنيهة لطيفة ، ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضاً ذلك القماش ، فانكسف طبعهم لسقوطها ، ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب يجلس بها أنفار من الناس ، ويسافرون فيها إلى البلاد البعيدة ، لكشف الأخبار ، وغير ذلك من التمويهات الكاذبة (١) بل ظهر أنها مثل الطيارات التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفى تلك الليلة عند العشا (٢) عملوا حراقة ونفوط وبارود وسواريخ بالأزبكية ، وكان ذلك اليوم والليلة من أعيادهم لأن صارى عسكر دعا الأعيان وأكابر التجار ولبسوا ثياباً جديداً . (٣)

وفى تلك الليلة كثر مرورهم بالأسواق ، فكانت الكلاب تعضهم (٤) فأطعموها خبزاً مسموماً ، فأكلوه فمات جملة كبيرة من الكلاب ، فلما طلع النهار

١- عبارة "التمويهات الكاذبة " غير موجودة فى عجائب الاثار ، وعلى أية حال فهذه كانت أول "بالون " تطير في سماء مصر .

٢- ليلة السبت ٢٢ جمادى الأخرة ١٢١٣هـ الموافق ١ ديسمبر ١٧٩٨م .

٣- فى النسخة (أ) "جدداً " .

٤- فى النسخة (أ) "تنبحهم " وكذلك فى عجائب الآثار ، جدير بالذكر أن الجبرتى أعاد صياغة هذه اليومية فى عجائب الآثار وذكر بنهايتها تعليقاً على هذا الحدث بأنهم "ارتاحوا هم والناس منها " . فهو يبرر أفعال الفرنسيين .

، ووجدت الناس الكلاب مرمية بالأسواق وهى ميتة ، فاستكروا (١) لها ناس جروها إلى الكيمان .

وفى خامس عشرينه (٢) سافر عدة عساكر لجهة مراد بيك ، وكذلك إلى ناحية كرداسة ، بسبب العرب ، وكذلك إلى السويس ، وإلى الصالحية ، وأخذوا جمال السقايين بروایاها وحميرهم حتى شح الماء وغلا ، وبلغ ثمن القربة عشرة أنصاف فضة إن وجدت .

وفيه (٣) ظفروا بعدة ودايع وخبايا، بعدة أماكن ، بها صناديق وأمتعة وأسلحة ، وأوانى صينى ، وأوانى نحاس قناطير وغير ذلك .

مجمل حوادث شهر جمادى الآخرة ١٢١٣هـ (٤)

وانقضى هذا الشهر (٥) وما تجدد به من الحوادث الكلية [ص ٩٣] والجزئية ، التى لا يمكن ضبطها لكثرتها :

فمنها ، أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية ، أبنية على هيئة

١- فى النسخة (أ) "فاستأجروا لها " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ . والمعنى واحد .

٢- يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق٤ ديسمبر ١٧٩٨م .

٣- أى فى خامس عشرينه .

٤- العنوان من وضع المحققين .

٥- عندما تتجمع لدى الجبرتى بعض اليوميات التى لا يستطيع ضبط تاريخها؛ كان يجملها فى آخر الشهر ، وهذا يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من أن كلمة "فيه " التى يبدأ بها يومياته المقصود بها هو اليوم السابق ذكره فى اليومية السابقة وليس المقصود هو الشهر . كما يؤكد ذلك حرص الجبرتى على ترتيب اليوميات ترتيباً تاريخياً وإجمال الباقى بدون تاريخ فى النهاية .

مخصوصة ، يجتمعون بها النسا والرجال للهو والخلاعة ، فى أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل إليه قدراً مخصوصاً يدفعه ، أو يكون مأذوناً وبيده ورقة (١).

ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا جامع أبو هريرة بالجيزة ، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون ، وبنوا أعلاه طاحوناً تدور بالهواء وتطحن الأرادب من الدقيق ، وطاحوناً أخرى بالروضة ، فى مقابلة مصاطب النشاب ، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن المقابلة لبيت صارى عسكر ، حتى جعلوها رحبة متسعة ، وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى ، والجناين التى خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل (٢) من الجهتين

١- عمل الفرنسيين على إقامة أماكن للاجتماع فيها للتسلية ، وكذلك لمحاولة دمج سكان القاهرة معهم وفيما يلى وصف لمكان الاجتماعات الذى أشار إليه الجبرتى " أن الفرنسيين الموجودين الآن فى القاهرة يشعرون بالحاجة إلى أن يكون لهم مكان خاص لاجتماعاتهم يجدون فيه متعة وترفيهاً أثناء ليالى الشتاء الطويلة ، وقد صمم المواطن " دار جيافل " مشروعاً لإقامة مثل هذا المبنى وبعد الحصول على موافقة القائد العام وقع الاختيار على مبنى فى حديقة كائنة بجوار ميدان الأزبكية . لأن الحديقة أكبر حدائق وأجمل القاهرة تكسوها أشجار البرتقال والليمون وغيرها من الأشجار ذات الرائحة وبفضل عدة آبار مزودة بتروس لرفع المياه وتعمل حالياً سوف تجرى المياه في جميع أنحاء الحديقة سيجد المرء فى المبنى جميع أنواع التسلية وكل ما يمكن اقتناؤه لراحة المشتركين وسيزود بمكتبة لقراءة الكتب الأدبية وتضم مجموعة مختارة من الكتب ، ستخطط الحديقة على الطريقة الفرنسية ويكون بها طرقات للتنزه وسوف تخصص فى الحديقة أماكن لإقامة المراجيح ومختلف الألعاب المسلية وسوف يعنى بإنارتها ليلاً بأشكال بديعة من الزخارف ، هذا ومن جهة أخرى قد نجد فى هذه الحديقة طريقة لجلب سكان المدينة ونسائها للاختلاط بمجتمعنا والاقتباس من عاداتنا وأذواقنا الفرنسية ... سيجد المرء فى المبنى جميع أنواع الأطعمة التى تطلب بأسعار مناسبة . راجع كورييه دى ليجييت ، العدد ١٣ ، ص ٣٦ .

٢- كلمة "معتدل" غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ .

، مبتداه من حد بيت صارى عسكر ، إلى قنطرة المغربى - [وجددوا قنطرة المغربى] (١) المذكورة - ثم منها كذلك جسر على الوضع والنسق ممتد إلى بولاق ، ممهداً مستوياً على خط مستقيم ، وحفروا فى جانبية من مبتداه إلى منتهاه خندقين ، وكذلك غرسوا فى جانبيه (٢) شجر السيسبان من الأول للآخر ، ويتصل ذلك الجسر بساحل النيل ، عند موردة التبن . وأحدثوا طريقاً آخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى ، عند المكان المعروف بالشيخ شعيب ، حيث معمل الفواخير ، وردموا جسراً ممهداً مستطيلاً ممتداً يبتدى من الحد المذكور ، وينتهى إلى جهة المذبح خارج الحسينية ، فخرب بسبب ذلك أماكن كثيرة ، وغيطان عديدة ، وقطعوا [ص ٩٤] فى طريقهم جانباً من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب (٣) وردموا خليج بركة الرطلى (٤) وقطعوا أشجار الجسر أيضاً ، والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس(٥) وساووا الأعلى بالمنخفض بحيث

١- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .
٢- فى النسخة (أ) " وغرسوا جانبية شجر ".
٣- قنطرة الحاجب : أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب عام ١٣٣٤ م على الخليج الناصرى ويتوصل إليها من أرض الطبالة ويسير الناس عليها إلى منية السيرج ، وكان على ظهر القنطره صفات من الحوانيت وعليها سقيفة تقى حر الشمس ، ومن تحتها يصب الخليج الناصرى فى الخليج الكبير د/ عبد الرحمن زكى ، ص ٢١٨ وما بعدها .
٤- بركة الرطلى : هى من جملة أرض الطبالة ، عرفت ببركة الطوا بين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب سميت بهذا الأسم نسبة لرجل كان يصنع الأرطال بزاوية بها - كان الناس يخرجون للنزهة واللهو بها ولاسيما فى أيام وفاء النيل:المقريزى:مصدر سابق،جـ٢ص ١٦٢
٥- جامع المقس : خارج باب البحر على يسار الذاهب من الشارع الجديد إلى محطة السكة الحديد وإلى شبرا الخيمة بقرب قنطرة الخليج الناصرى الذى هو اليوم الترعة الحلوة الذاهبة إلى السويس " ترعة الإسماعيلية " وعرف بجامع أولاد عنان وأيضاً بجامع باب البحر ، ويذكر المقريزى أن هذا الجامع أنشأة الحاكم بأمر الله علي شاطئ النيل بالمقس ، ووقف الحاكم أماكن بمصر على الجوامع ويصرف من ضمنها ما يحتاج إليه جامع المقس من عمارته . وجدد هذا الجامع مرات عديدة . ويوجد فى هذا الجامع ضريح الشيخ محمد بن عنان وترجم له الشعرانى فى طبقاته : راجع : على مبارك : المرجع السابق جـ٤ ص ١٢٧ .

سارت طريقاً ممتدة من الأزبكية إلى جهة قبة النصر والعادلية ، على خط مستقيم من الجهتين ، وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة ، وهدموا منارته وجعلوها برجاً ، ووضعوا على أسواره مدافع ، وأسكنوه جماعة من العسكر ، وبنوا في داخله عدة مساكن تسكنها العساكر المقيمة به .

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية ، كرانك وأبراج، ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر ، وهدموا عدة دور من دور الأمرا ، وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم على التلول ، وغيرها ، وأفردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية -كالهندسية والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشيين- حارة الناصرية وما بها من البيوت ، مثل بيت قاسم بيك أمير الحاج سابقاً المعروف بأبو سيف ، وبيت حسن كاشف جركس الذى أنشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة من مظالم العباد ، وعند إتمام بياضه وفرشه ، حدثت هذه الحادثة ، ففر مع الفارين ، وتركه بما فيه وسكنوه (١) الجماعة المذكورون ، ووضعوا فيه جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خازن يحفظها ، ، ويحضرها للطلبة ، فيراجعون فيها مرادهم ، ويردها إلى [ص ٩٥] مكانها ، وأكثرها يشتمل على الرياضيات والتصويرات ، وتواريخ الأمم السالفة(٢) وسموا ذلك البيت بالمدرسة ، وأفردوا مكاناً للنجارين والحدادين والخراطين وأرباب الصنايع من الفرنسيس ، ومكاناً للحكمة ، وبنوا فيه كوانين وتنانير مهندمة ، وركبوا عليها آلات التقاطير واستخراج المياة والأدهان المختصة

١- في النسخة (أ) "وسكنه" وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأقرب للصواب .

٢- يتضح من ذلك أن الجبرتى زار هذه المكتبة وتصفح بعض كتبها ولكنه لم يصرِّح بذلك في مظهر التقديس وأعلن ذلك صراحة في عجائب الآثار .

بالطب والحكمة ، وأرواح المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب ، وبه أوانى وقوارير من الزجاج المختلف الأشكال والهيئات ، إلى غير ذلك (١)

وفيه ورد الخبر بموت صالح بيك بغزة . (٢)

شهر رجب ١٢١٣هـ

استهل بيوم الأحد (٣) وفى ثالثه (٤) قتلوا شخصاً من الأجناد ، يقال له مصطفى كاشف ، من جماعة حسين بيك المعروف بشفت دده (٥) وكان قد فر مع الفارين ، ثم حضر من غير استيذان ، وأقام أياماً مستتراً ببيت الشيخ سليمان الفيومى ، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليأخذ له أماناً ، فأخبر الفرنسيس بشأنه ، وأغراهم عليه ، فأمروا بقتله، فقتلوه وقطعوا راسه ، وطافوا بها ينادون عليها بقولهم :" هذا جزا من يدخل إلى مصر بغير اذن الفرنسيس ".

١- ما لم يذكره الجبرتى هنا ولأسباب معروفة أنه زار الأماكن العلمية للفرنسيين وأبدى أعجابه الشديد بها ووصفها فى عدة صفحات فى كتابة عجائب الآثار جـ٣ ص٣٣ وما بعدها ولمعرفة رأى الجبرتى أنظر د/مصطفى عبد الغنى . الجبرتى والغرب،هـ م ع ، القاهرة ١٩٩٥.

٢- نشرت جريدة الكوريية خبر وفاة صالح بك فى غزه وشككت أنه مات مقتول بالسم وذكر الخبر كالآتى " توفى صالح بك أمير الحج السابق فى القدس وتؤكد الأخبار ، أنه قد دس له السم فى الطعام للتمكن من الاستيلاء على كنوزه ، المماليك الذين تبعوا إبرهيم بك يهجرونه أفواجاً ، أنهم يبيعون خيولهم ويلجأون إلى داخل البلاد السورية " ولا شك أن هذا الخبر يهدف إلى إثارة الشك فى المماليك وإظهارهم بموقف الضعف والعوز حتى لا يميل إليهم السكان . كوربيه دى ليجيبت - العدد ١٣ ص ٣٥ .

٣- يوم الأحد غرة رجب ١٢١٣هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٧٩٨م .

٤- يوم الثلاثاء ٢ رجب ١٢١٣هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٧٩٨م .

٥- هكذا فى النسخة (ب) وفى النسخة (أ) لا توجد كلمة "ددة".

وفى يوم الخميس(1) حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليوب ، وبصحبته سليمان الشواربى شيخ قليوب وكبير الناحية ، فلما حضر حبسوه بالقلعة ، قيل أنهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة إلى سرياقوس ، ليستنهض أهل تلك النواحى فى القيام ، ويأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيس ، ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضاً .

وفيه (2) أحدثوا مدفعاً يضربونه [ص ٩٦] كل يوم وقت الزوال ، لأن ذلك الوقت عندهم ابتدا اليوم .

وفى يوم الأربعا عاشره (3) نادوا فى الأسواق بأن من أراد أن يشترى فرس أو حمار فليحضر يوم الجمعة ثانى عشره ببولاق ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك ، وكتبوا بذلك أوراقاً ولصقوها بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة وعليها الصورة ، ونصها :" فليكن معلوم عند كافة الرعايا المصرية أن يوم الجمعة اثنى عشر شهر رجب فى الساعة اثنين (4) يباع فى بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية ، فلأجل هذا المشترى ، كل من أراد يقتنى خيل فمنحنا له الإجازة ، أنه يقتنى كما يريد ويشاء " انتهى (5)

وفى يوم الاثنين سادس(6) عشره سافر كبير الفرنسيس بونابرته إلى السويس ، وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقى وإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأخذ معه

١- يوم الخميس ٥ رجب ١٢١٣هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٧٩٨م .

٢- أى فى يوم الخميس .

٣- يوم الأربعاء ١٠ رجب ١٢١٣هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٧٩٨م .

٤- هكذا فى جميع النسخ .

٥- كلمة "انتهى" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٦- يوم الاثنين ١٦ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليومية التالية .

أيضاً بعض المدبرين والمهندسين والمصورين ، وجرجس الجوهرى ، وألطون أبو طاقية وغيرهم ، وعدة عساكر من الخيالة والمشاة ، وبعض مدافع وعربات ، وتختروانات (١) وعدة جمال تحمل الذخيرة والماء والقومانية (٢)

وفيه شرعوا فى ترتيب الديوان (٣) على تنظيم آخر وعينوا له ستون نفراً منهم أربعة عشر يقال لهم الخصوص ، وهم الذين يحضرون دايماً ، ويقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى ، والباقى بحسب الاقتضا ، والأربعة عشر فيهم من المشايخ : الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى ، ومن التجار : المحروقى وأحمد بن محمود محرم ، ومن النصارى القبطة : لطف الله المصرى ،

١- التختروان : من الفارسية "تخت" بمعنى السرير و(روان) السائر والمتحرك وهو عبارة عن هودج أو محفة يحملها جملان أو حصانان من أمام وجملان أو حصانان من خلف يركبه العلية من الرجال والنساء . راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

٢- كانت أهداف رحلة بونابرت إلى السويس أهداف استراتيجية فى المقام الأول ، فكان لابد عليه من صون الاتصالات مع الدول المطلة على البحر الأحمر والتى يمكنها نقل رسائل إلى الجزر الفرنسية فى المحيط الهندى بل ولمحاولة الأتصال بالهند أيضاً وعهد بقيادة القاهرة ونواحيها إلى كليبر خلال فترة غيابه وكان برفقته " برتبيه وكافاريللى ودوماتان وجانتوم ، ودور ، أى الأركان العامة فى الهندسة والمدفعية والبحرية ومعتمدية الجيش الإدارية ومما له دلالته أن الشيخ المحروقى ومعه بعض التجار أتيحت له فرصة المشاركة فى هذه الرحلة ، و خلال هذه الرحلة أجرى بونابرت اتصالات مستمرة مع بدو سينا وتفقد حصونه فى بلبيس وعلم أن القوات العثمانية قد احتلت العريش ورجع إلى القاهرة فى ٦ يناير لمزيد من المعلومات راجع :د/ هنرى لورنس : مرجع سابق ص ٣٨ .

٣- كلمة " الديوان " غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من باقى النسخ .

ومن الشوام :[ص ٩٧] يوسف فرحات ومخاييل كحيل (١) وواحد إنجليزى (٢) وبوديف وموسى كافو الفرنساويان ، ووكلا ومباشرين من الفرنسيس وتراجمين ، وأما العمومى فغالبه مشايخ حرف ، وكتبوا بذلك طوماراً كبيراً بصموا منه نسخاً كثيرة ، وأرسلوا منها نسخاً للأعيان ، ولصقوا أوراق بأسمايهم ، وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب فى شان ذلك وقد أوردت ذلك وأن كان فيه بعض الطول ، للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول ، والتسلق على دعوى الخواص من البشر ، بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلاص عن النظر، وهو مقول على لسان بونابرته كبير الفرنسيس "ورئيسهم ذلك التعيس"(٣) و نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية ، خطاباً إلى كافة أهل مصر الخاص والعام ، نعلمكم أن بعض الناس الضالين (٤) العقول ، خاليين من المعرفة وإدراك العواقب ، سابقاً أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة ، والبارى سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة للعباد ، فامتثلت أمره وصرت رحيماً بكم شفوقاً عليكم ، ولكن كان حصل عندى غيظ وغم

١- وردت فى النسخة (أ) " مخاييل كحاييل " والأصوب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- من الغريب أن يكون فى الديوان "واحد إنجليزى" ، والإنجليز كما نعلم أعداء للفرنسيين ولكن الحقيقة أنه طبيب سويدى الأصل كان يقيم بالقاهرة .

٣- الجبرتى يحذف من عجائب الآثار عبارات "التمويهات على العقول " و"فاسد التخيلات " و " التعيس " .

٤- فى النسخة (أ) " ضالين ".

شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد وإصلاح أحوالكم [من مدة شهرين والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب ديوان كما كان لأن حسن أحوالكم] (١) ومعا ملتكم فى المدة المذكورة ، أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت [ص ٩٨] سابقاً أيها العلما والأشراف ، أعْلِموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى ويخاصمنى ، إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره ، فلا يجد ملجأ ومخلصاً ينجيه منى فى هذا العالم ، ولا ينجو من بين يدى الله ، لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى ، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضايه ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة ، وأعْلِموا أيضاً أمتكم أن الله قدر فى الأزل هلاك أعدا الإسلام وتكسير الصلبان على يدى ، وقدر فى الأزل بعد ذلك أن آجى من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، وإجرا الأمر الذى أمرت به ، ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضايه ، وأعلموا أيضاً أمتكم أن القرآن العظيم صرَّح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل ، وأشار فى آيات أخر إلى أمور تقع في المستقبل ، وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا يختلف . إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات فى آذانكم فليرجع أمتكم جميعاً إلى صفا النية وإخلاص الطوية ، فإن منهم من يمتنع عن لعنى وإظهار عداوتى ، من خوف سلاحى وشدة سطوتى ، ولم يعلم أن الله مطلع على السرائر ، يعلم خافية الأعين وما تخفى الصدور ، والذى يفعل ذلك يكون

١- العبارة بين القوسين فقدت من النسخة (أ) وواضح أن الناسخ انتقل من كلمة "أحوالكم " الأولى إلى "أحوالكم " الثانية معتقداً أنه كتب ذلك السطر ، وهذا الأمر لاحظناه كثيراً فى جميع النسخ ، حيث أن الكلام الناقص غالباً ما يكون بمقدار سطر كامل ويبدأ بكلمة مشابهه لنهايته .

معارضاً لأحكام الله ومنافقاً ، وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب ، واعلموا أيضاً أنى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منكم ، لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه ، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ، ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة إننى كلما (١) فعلته وكلمت به [ص ٩٩] فهو حكم إلهى لا يرد ، وأن اجتهاد الإنسان بغاية جهده ما يمنعنى عن قضاء الله الذى قدره وأجراه علي يدى ، فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم معى ، مع صفا النيه وإخلاص السريرة والسلام " (٢).ورتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية ، تدفع إليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين . (٣)

وفى ثامن عشره (٤) طافوا على الطواحين ، واختاروا من كل طاحون فرساً

١- المقصود "كل ما " والجبرتى يدمج الكلمتين غالباً ولكن الدمج هنا فى غير موضعه .

٢- فى هذا الخطاب يحاول بونابرت تهديد من تسول له نفسه معارضته لأن فى ذلك معارضة لأوامر الله وإرادته ، وبونابرت هنا-تفاعلاً مع العقلية الدينية المسيطرة على العقول-يذكرهم أن الله كتب منذ الازل هلاك أعداء الإسلام علي يديه وكذلك هدم الصليب -وهو هنا يشير إلى ما فعله مع البابا في الحروب الإيطالية وهو لهذا مسلم مثل المسلمين، وعلى هذا فان من يعارض بونابرت فهو يعارض الله وهذا الأسلوب يذكرنا ببعض الخلفاء الذين كانوا يذكرون أنهم ظل الله على الأرض ، بل ادعى بونابرت ما هو أكثر من ذلك عندما أدعى القدرة على معرفة الغيب ومعرفة ما فى نفس كل فرد وهى محاولة مكشوفة من بونابرت لإرهاب الناس وعدم ثورتهم خصوصاً وهو خارج فى حملته للشام .

٣- نشر النص كذلك فى كوربيه دى ليجيبت ، العدد ٢٣ ، ص ٨٢ وما بعدها حيث نشرت كذلك أسماء أعضاء الديوان .

٤- يوم الأربعاء ١٨ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٧٩٨م .

أخذوها ، [ومن الطحانين من صالحهم ودفع لهم دراهم وتركوه ، وذلك أنهم لما باعوا الخيول ببولاق فاشترى منهم الطحانون جملة فكان كل من باع حصانه شرط فى أذنه شرطاً ليكون له علامة ، وبعد ذلك طافوا بالطواحين ، وأخذوا عوض خيولهم مما استحسنوه ولاق بخاطرهم] [1]

وفى رابع عشرينه [2] حضر السيد أحمد المحروقى وكاتب البهار من السويس ، وكان صارى عسكر ذهب إلى ناحية بلبيس ، فاستأذنوه فى ذهابهم إلى مصر ، فأذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكرياً ليوصلوهم إلى مصر ، ولما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجى الفرنساوية هربوا وأخلوا البلد ، وذهبوا إلى الطور [3]وذهب البعض إلي العرب فى البادية ، فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور وكسروا الأخشاب وخوابى الماء ، فلما حضر كبيرهم وكان متأخراً عنهم كلموه [4] التجار

١- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتى عند إعادة كتابة هذه اليومية فى عجائب الآثار واكتفى بالسطرين الأولين فقط .

٢- يوم الثلاثاء ٢٤ رجب ١٢١٣هـ الموافق أول يناير ١٧٩٩م.

٣- الطور : تقع جنوب غربى شبه جزيرة سيناء ، وقد اكتسبت هذه الميناء أهميتها من اقتصار ميناء السويس فى أواخر عصر الجراكسة وأوائل العصر العثمانى على الصفة الحربية ومن ميل البحارة إليه وذلك لقرب السفن فيه من الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر وكثرة المراسى على بره مما يتيح للبحارة اللجوء إليه إذا ما تغير البحر وهاج الريح ، ولكن الشعب المرجانية حوله جعلت السفن تنصرف عنه وتتجه إلى ميناء السويس الذى شهد فى أواخر العصر العثمانى وحتى نهاية النصف الأخير من القرن الثامن عشر ازدهاراً كبيراً ، ولكن فى نهاية القرن الثامن عشر انتقلت الأهمية إلى القصير لمغالاة الأمراء المماليك فى فرض الضرائب على التجارة عبر السويس د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٤ وما بعدها .

٤- فى النسخة (أ) "كلمة " وما أثبتناه هو الأقرب للصواب ولأسلوب المؤلف .

والذاهبون معه ، وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح ، فاسترد من العسكر البعض ، وواعدهم باسترجاع الباقي أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قايمة بالمنهوبات ، [وهذا نوع [ص ١٠٠] من الكذب والتحيل ، فإنه لما ارتحل من هناك ، أخذ العسكر ما كانوا ردوه [١] وما كانوا تركوه أيضاً] [٢] وأنه وجد مركبين حضرا إلى قريب من السويس بهما جانب بن ومتاجر ، فغرقت إحداهما ، فنزلت طايفة من الفرنسيس في مراكب صغار ، وذهبوا لها في الغاطس ، وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها .

وفي مدة إقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل في النواحي وجهات ساحل البحر والبر ، ليلاً ونهاراً ، وكان معه من الأدم في هذه السفرة ثلاث طيور دجاج محمرين ملفوفين في ورق ، وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولا خيمة .

و في يوم السبت [٣] حضر عدة من العسكر الفرنساوى من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفراً ، موثوقون بالحبال ، وأسروا أيضاً عدة من أولادهم ذكوراً وإناثاً ، ودخلوا بهم إلى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضاً ثلاثة أحمال من أحمال التجار [٤] وبعض جمال مما كان نُهب عند رجوعهم من الحج .

وفي ليلة الاثنين[٥] غايته [٦] حضر صارى عسكر من ناحية بلبيس ليلاً إلى مصر ، وأحضر معه عدة عربان ، وعبد الرحمن أباظا

١- في النسخة (أ)"ما كانوا استردوه ".

٢- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتي من كتابة "عجائب الآثار ".

٣- يوم السبت ٢٨ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٥ يناير ١٧٩٩م .

٤- في النسخة (أ) ثلاثة حمول من حمول التجار " وما أثبتناه هو الأقرب للصواب .

٥- يوم الاثنين ٣٠ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٧ يناير ١٧٩٩م .

٦- كلمة "غايته " غير موجودة في النسخة (ب) .

أخو سليمان أباظا شيخ العيادية [1] وخلفه رهاين [2] وضربوا أبو زعبل والمنير ونهبوهم ، وأخذوا بهايمهم ، ومالهم من المواشى والأموال ، وحضروا بهم إلى القاهرة ، وخلفهم أصحابهم رجالاً ونساءً وصغاراً [3]

وفى ذلك اليوم [4] قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى [5] شيخ قليوب ومعه أيضاً ثلاثة رجال يقال أنهم من عرب الشرقية ، فأنزلوهم من القلعة ، [ص ١٠١] إلى الرميلة على يد الأغا ، وقطعوا روسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع

١- العيايدة : سكنوا فى الشرقية فى بلبيس والدقهلية والقليوبية والمنوفية وعرفوا بالعيايدة بحرى ، أما العيايدة قبلى فقد سكنوا فى مديرية الجيزة ، وهذه القبيلة بطن من طى أصلها اليمن نزحت إلى الحجاز عقب الإسلام واستوطنت نجد حتى القرن السادس للهجرة ثم قدمت إلى مصر فى القرن السابع ، حيث استقدمها الظاهر بيبرس وعهد إليها خفارة المحمل الشريف وحماية الحجاج من غارات العرب الذين يسلبونهم وينهبون المؤن التى كانت ترسل من مصر إلى الحرمين الشريفين ، فحضر شيخ العرب محمد العايدى " ونزلوا فى بلبيس وأنشأوا بها قرى تعرف بكفر العايد .

لمزيد من المعلومات راجع د/ إيمان محمد عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٦٣ وما بعدها

٢- فى النسخة (أ) "خلافة رهاين " وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأقرب للصواب .

٣- فى النسخة (ب) وخلفهم أصحابهم نساء ورجالاً كباراً وصغاراً وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأقرب للصواب .

٤- يقصد يوم الاثنين ٧ يناير ١٧٩٨م غاية شهر رجب ١٢١٣هـ .

٥- بجانب الدور السلبى الذى لعبه العربان فى المجتمع المصرى كان لهم دور إيجابى أيضاً من ذلك قيام بعض القبائل بمقاومة الفرنسيين حتى أن بونابرت فى منشوره الذى أذاعه بعد عودته من الشام ذكر أن من ضمن أسباب هذه العودة رغبته فى تأديب العربان من قبائل " بلى " " والعيايدة "وغيرهم الذين يناصرون المماليك ويحركون الفتن فى الأقاليم فى غيابه ، ويعيثون فى البلاد فساداً ونهباً " راجع د/ عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق، ص ١٧٦ وما بعدها .

راسه فى تابوت وأخذوه أتباعه وذهبوا به إلى بلده قليوب ليدفن هناك .

مجمل حوادث شهر رجب ١٢١٣هـ (١)

وانقضى هذا الشهر ، وما تجدد به أيضاً من الحوادث الكلية والجزيية :

[فمنها تسلق أنفار من عسكر الفرنسيس على بعض الدور ليلاً ، وسرقتهم أمتعة وقتل أنفس بالدور والأزقة ذهبت هدراً] (٢)

ووقع أن فى ليلة السابع والعشرين منه (٣) أتت جماعة إلى دار الشيخ محمد ابن الجوهرى الكاين بالأزبكية بالقرب من باب الهوا فخلعوا الشباك المطل على البركة ، ودخلوا منه ، وصعدوا إلى أعلا الدار ، وكان بها ثلاثة من النسا الخدامات وابنة خدامة ايضاً وبواب الدار ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم بل كانوا قد انتقلوا لدار أخرى لما سكن معظم العسكر بالازبكية ، فاستيقظ النسا وصرخن فضربوهن العسكر وقتلوهن (٤)، واختفت البنت فى جهة وعاثوا فى الدار واخذوا متاعا ومصاغا ونزلوا ، واستيقظ البواب فاختفى خوفاً منهم فلما طلع النهار وشاع الخبر وكان صارى عسكر غايباً ، فلم يقع كلام فى شأن ذلك فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان إليه واخبروه فتظهر الغم من ذلك والمذمة ، لما فيه من العار الذى يلحقه لكون العسكر وقع منهم ذلك فى غيابه ، ثم اهتم فى التفحص عمن فعل ذلك ، وقتل من اتهم ذلك .

ومنها كثرة تعدى القلقات وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة وإذا مروا

١- العنوان من وضع المحققين .

٢- اليومية التى بين القوسين غير موجودة فى عجائب الآثار وهى توضح انحياز الجبرتى مع الفرنسيين .

٣- يوم الجمعة ٢٧ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٤ يناير ١٧٩٩م .

٤- فى عجائب الآثار يذكر الجبرتى انهم " قتلوا منهن امرأة واحدة " .

فى الليل (١) ووجدوا قنديلاً أطفاه الهوا أو فرغ زيته ، سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ، ولا يقلعون المسمار [ص ١٠٢] حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوا من الدراهم ، وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك واتفق أن المطر أطفا عدة قناديل بسوق أمير الجيوش بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد ، فابتل الورق وسال الماء ، فأطفا القناديل ، فسمروا حوانيت السوق وأصبح أهلها صالحوا عليها . ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة كبيرة من الدراهم وأمثال ذلك ، حتى من الأزقة والعطف الغير النافذة (٢) حتى كان الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها ، وخصوصاً فى ليل الشتا الطويل ، [والحكم لله الواحد القهار] (٣).

شهر شعبان ١٢١٣هـ

استهل بيوم الثلاثا (٤) فيه قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس بالبندق الرصاص ، بالميدان تحت القلعة ، قيل أنهم من المتسلقين (٥) على الدور .

وفيه (٦) أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ، ترفعوا إلى قبلى ، ووصلوا إلى عقبة الهوا ، وكلما قرب منهم الفرنسيس انتقلوا وقبلوا ، ولقد داخلهم من الفرنسيس شدة الخوف والرعب ، ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال .

١- عبارة "وإذا مروا فى الليل" مكررة مرتين فى النسخة (ب) وهذا سهو من الناسخ .

٢- هكذا فى كل النسخ والصواب " غير النافذة " ولكن حرصنا على إثبات لغة المؤلف .

٣- العبارة التى بين المعكوفتين غير موجودة فى عجائب الآثار .

٤- يوم الثلاثاء غرة شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٨ يناير ١٧٩٩م .

٥- فى النسخة (ب) " ومن المتسلقين " وهى خطأ من الناسخ .

٦- أى فى يوم الثلاثاء غرة شعبان وكذلك اليومية التالية .

وفيـه قدمت رباعة تحمل البن الذى حضر من السويس بالمركب " الداو * " بصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

وفى يوم الأحد سادسه [1] نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين الشهرى ، وشدد فى ذلك وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة . وكان السبب فى ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى القبانى [2] مباشر وقف جامع سيدنا الحسين ،وكان قد [ص ١٠٣] اعتراه مرض الحب الأفرنجى ، فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى ، فحصلت له بعض إفاقة ، فابتدا به وأوقد فى القبة والمسجد قناديل وبعض شموع ، ورتب فقها يقرأون القرآن بالنهار مدارسة ،وآخرين بالمسجد يقرأون بالليل " دلائل الخيرات " للجزولى ، ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفى والسمان والعربى والعيساوية ، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد لهم المنشدون القصايد والمواليات ، ومنهم من يقول أبياتاً من بردة الأبى صيرى [3] ويجاوبونهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وأما العيساوية فهم جماعة من المغاربة ، وما دخل فيهم من أهل الأهواء ، ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب ، يقال له سيدى محمد بن عيسى ، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ، ويقولون كلاماً معوجاً بلغتهم ، بنغم

١- يوم الأحد ٦ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٣ يناير ١٧٩٩ م .

٢- فى عجائب الآثار " السيد بدوى بن فتيح "

٣- هكذا فى كل النسخ وهو يقصد بردة الإمام البوصيرى فى مدح النبى عليه الصلاة و السلام .

* الداو : نوع من المراكب كان شائع الاستعمال فى البحر الأحمر .

وطريقة مشوا عليها على قدر النغم ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم ، ويقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف ، فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض، بيحث لا يخرج واحد عم الآخر ، ويلتوون وينتصبون ، ويرتفعون [1] وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزايدة بحيث لا يقوم هذا المقام إلا من عرف بالقوة ، وهذه الحركات والايقاعات على شكل [2] الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هؤلاء وغيرهم من جماعات الفقرا كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخر هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جميع العوامل وتحلقهم بالمسجد [ص ١٠٤] للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب والمكسرات والماكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فية ، وسقاة الماء ، فيصير الجامع بما اجتمع من هذه القانورات والعفوش ملحقاً بالأسواق المتهنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم زاد الحال عن ذلك ، بقدوم جماعة الأشاير ، من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناويل والشموع ، والطبول والزمور ، ويتكلمون بكلام محرف ، يظنون أنه ذكر أو توسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم إلى الاعتزال والخروج والزندقة ، وغاليهم السوقة وأهل الحرف السافلة ، ومن لا يملك قوت ليلته ، فتجد أحدهم يجتهد فى قوة سعيه ، ويبيع متاعه ، أو يستدين الجملة من الدراهم ، ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة ، وأكل يجمع عليه ماهو من

١- كلمة "ويرتفعون" غير موجود فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ .

٢- فى النسخة (أ) "على نمط ."

أمثاله من الحرافيش ، ثم يقطع ليله تلك سهراناً ، ويصبح دايخاً كسلاناً ، ويظن أنه بات يتعبد ، ويذكر ويتهجد . واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ، ولم يزد الناذر لذلك إلا مرضاً ومقتاً ، واستجلب خدمة الضريح مالاح لهم من خساف العقول ، مثل الشمع والدراهم ، واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل . فلما حدثت هذه الحادثة لمصر : ترك هذا المولد فى جملة المتروكات ، ثم حصلت الفتنة التى حصلت ، وسكن هذا القلق الفرنساوى فى خط المشهد ، لضبط تلك الجهة ، وفيه [ص١٠٥]خبث ومداهنة ، فصار ينافق المسلمين ويظهر لهم المحبة والتملق ، ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعات المتشفعين ، وأبطل وقوف عسكره بالسلاح ، كعادتهم فى غير هذه الجهة ، وكذلك ترك مايفعله غيره من القلقات من أنواع التشديد على الناس ، فاطمأن به الناس لذلك وتراجعوا للبكور إلى الصلاة فى المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معه . وتركهم التبكير، فلما أنسوا به وعرفوا أخلاقه رجعوا لعادتهم ، ومشوا بالليل أيضاً بدون فزع وخوف ، وترجمانه على مثل طريقته ، وهو رجل شريف من أهل حلب كان أسيراً بمالطة ، فاستخلصه الفرنسيس فى جملة من استخلصوه من أسرى مالطة ، وقدم معهم مصر ، فلما رتب هذا القلق فى الخط كان ترجمانه يهودياً ، فاحتال بعض أعيان أهل الخط ، ورتب الشريف المذكور ترجماناً عند القلق لتكون فيه راحة للناس . وقد فتح ذلك الترجمان قهوة بالخط بقرب دار القلق ، وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل [وأمر ,هم بعدم غلق الحوانيت مقداراً من الليل] (١) كعادتهم القديمة فأستأنسوا بالاجتماعات ، والتغنى والخلاعات ، وعم ذلك جهات تلك الخطة ، ووافق ذلك هوي العامة ، لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة ،

١-ما بين القوسين ساقط من النسخة (أ) .

وتلك هى طبيعة الفرنسيس ، فصاروا يجتمعون عنده للسهر والحديث ، ويجلس معه ذلك القلق الفرنساوى ، فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهرى وما يقع فى ليلته من المهرجان ، وحسنوا له إعادته ، فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل ، وشدد فى ذلك .

وفى يوم الأربعا (١) كتبوا أوراقاً بتطير طيارة [ص ١٠٦] ببركة الأزبكية ، مثل التى سبق ذكرها وفسدت ، فاجتمع الناس لذلك وقت الظهر وطيروها ، وصعدت إلى الأعلى ، ومرت إلى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ، ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة ، وقالوا أنها سافرت إلى البلاد البعيدة بزعمهم .

وفيه سافر مجلون"اللعين"(٢) إلى الصعيد والياً على دجرجا (٣) لتحرير البلاد ، وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحى للغز .

وفيه سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواهى ونساء إفرنجيات وصناديق ،

١- يوم الأربعاء ٩ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٦ يناير ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين .

٢- كلمة "اللعين " غير موجودة فى النسخة (ب) وهى كذلك محذوفة من عجائب الآثار .

٣- جرجا : تكونت لأول مرة فى العصر العثمانى باسم كشوفية "دجرجا " ولما تغير اسم الكشوفية باسم ولاية سميت ولاية دجرجا ، وكانت حدودها تمتد سنة ١٢٢٠ هـ من صلبية بندر أسيوط إلى وادى حلفا ولبعد مركز هذه الولاية عن عاصمة القطر كان واليها يتمتع بسلطات كبيرة . وفى سنة ١٢٣٠هـ قسمت إلى قسمين وهما - أول ويشمل البلاد الواقعة قبلى أسيوط ، ومركزى أبو تيج والبدارى ومراكز مديرية سوهاج الحالية والقسم الثانى - ويشمل البلاد التى تدخل اليوم فى اختصاص مديريتى قنا وأسوان .

راجع/ محمد رمزى : القسم الثانى جـ ٤ ص١٥

قيل أنهم أرسلوها إلى الطور ، وصحبتهم عدة من العسكر .

وفى يوم الخميس عاشره (١) حضر طايفة من عسكر الفرنساوية إلى وكالة زين الفقار بالجمالية ، ففتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى ، وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة ، وختموا عدة حواصل وأطباق بذلك الخان ، وبالوكالة الجديدة وغيرها ، للمسافرين والهاربين والغليونجية ، [وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة من الأتراك ، والغليونجية] (٢) التجار وسجنوهم (٣) بالقلعة وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق ، خصوصاً الجردلية الذين كانوا عسكراً لمراد بيك ، وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والغليونجية الذين كانوا مع مراد بيك ، وبعضهم كان بمصر ، فأدخلوهم فى عسكرهم ، وزيوهم بزيهم ، وأعطوهم أسلحة ، وانتظموا فى سلكهم .

وفيه (٤) تواترت الأخبار بأن على باشا ونصوح باشا فارقا مراد بيك ، ومرّا من خلف الجبل على الهجن ، وذهبا إلى جهة الشام ، وصحبتهم جماعة إبراهيم بيك الذين كانوا تخلفوا [ص ١٠٧] مع مراد بيك ، مثل رجوان بيك ، وكان ذهابهم فى أواخر رجب (٥)

١- يوم الخميس ١٠ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٧ يناير ١٧٩٩م .

٢- ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب) .

٣- فى جميع النسخ " وسجونهم " فصححناها بالمتن لأستقامة المعنى .

٤- أى فى يوم الخميس ١٠ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٧ يناير ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليوميات الخمس التالية .

٥- تاريخ مرورهم من خلف الجبل هو أواخر رجب ، أما وصول الخبر بذلك إلى القاهرة وتواتره ، فكان فى يوم الخميس ١٠ شعبان .

وفيه نادوا بإبطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين ، وأن يوقد عوضها فى وسط السوق مجامع ، فى كل مجمع أربعة [1] قناديل ، بين كل مجمع ثلاثون ذراعاً، ويقوم بذلك الأغنيا دون الفقرا ، ولا علاقة للقلقات فى ذلك ، ففرح بذلك فقرا الناس وانفرجت عنهم هذه الكربة .

وفيه ، نادوا أيضاً بأن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة ، فليذهب إلى العلما والقاضى .

وفيه ، ذهب طايفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل ، ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيه ، حضر رجل من ناحية غزة ، يطلب أماناً للست فاطمة زوجة مراد بيك ، ولابنه الشيخ البكرى وزوجها الأمير زين الفقار وخشداشه . والخطاب للشيخ البكرى[2] فعرض الشيخ البكرى ذلك وترجّى عند صارى عسكر ، بحجة ابنة عمه ، فكتب له أماناً بحضورهم ، وأرسل لهم نفقة، وكان ذلك حيلة منهم لتخلص النفقة. وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة ، وإبراهيم بيك ومن معه خارج البلد وهم فى ضيق وحصر ، وحريمهم داخل البلد .

وفيه ذهب غدة من العسكر الفرنساوية كثيرة إلى قطيا ، وشرعوا فى بنا

١- فى النسخة (أ) "أربع " وما أثبتناه من باقى النسخ هو الصواب .

٢- الشيخ خليل البكرى ولاه بونابرت نقابة الأشراف بعد دخوله القاهرة وهروب السيد عمر مكرم النقيب السابق إلى الشام ، وقد استمر الشيخ البكرى نقيباً للأشراف حتى جلاء الفرنسيين ، حيث أعيدت نقابة الأشراف للسيد عمر مكرم ، وينسب البكرية إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ومنهم محمد بن أبى السرور البكرى المؤرخ المعروف والفيروزبادى صاحب القاموس المحيط . وقد نجح البكرية فى استعادة منصب نقابة الأشراف، بعد أن تخلص محمد على من السيد عمر مكرم، واستمرت فيهم معظم القرنين ١٩ ، ٢٠ .

متاريس هناك ، وأشيع سفر كبير الفرنسيس إلى جهة الشام والإغارة عليها .

وفى ليلة الأحد ثالث عشره (1) كان انتقال الشمس لبرج الدلو ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ ، كما هى عادتهم عند كل انتقال .

وفى يوم [ص١٠٨] الاثنين رابع عشره ، نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل ، وكان بثمانية ، واللحم الجاموسى بخمسة ، وكان بستة .

وفيه (2) ذهب طايفة من العسكر وضربوا عرب العايد نواحى الخانكة ، وقتلوا منهم طايفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنسيس وأسلحتهم جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه ، وأحضروا معهم بعض رجال ونسا حبسوهم بالقلعة.

وفيه ، ذهب عدة من العسكر إلى صنافير (3) وأجهور الورد (4) وقرنفيل (5)

١- الأحد : ١٣شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٢٠يناير ١٧٩٩م .

٢- أى فى يوم الأحد ثالث عشره .

٣- صنافير : من القرى القديمة وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية ، وفى التحفة من أعمال القليوبية القديمة محمد رمزى - القسم الثانى . جـ١ ص ٥٧

٤- أجهور الورد : من القرى القديمة ، اسمها الأصلى ججهور السمن ، ووردت فى المشترك لياقوت بكورة الشرقية - وفى قوانين ابن مماتى وتحفة الارشاد من أعمال الشرقية وفى التحفة أجهور الكبرى وهى ججهور السمن ، ويقال لها أجهورالورد لكثرة ما كان يزرع فيها من أشجار الورد ، ووردت فى دليل سنة ١٢٢٤هـ وأجهور الكبرى وهى أجهور السمن بولاية قليوب ، وفى تأريع سنة ٩٢٢٨ هـ أجهور الكبرى .محمد رمزى :مرجع سابق، القسم الثانى ، جـ١ ، ص ٥٣.

٥- قرنفيل : من القرى القديمة وردت فى معجم البلدان قرنفيل قرية بمصر وردت فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الإرشاد وقرنفيل من أعمال الشرقية وفى التحفة من أعمال القليوبية محمد رمزى : نفسه ، ص ٥٧.

وكفر منصور[1] وبلاد أخرى للتفتيش على العرب ، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهايم وغيرها ، والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضاً ، ونهبوا جمالاً وبهايم ممن لم يعص أيضاً ، ودخلوا بذلك المدينة، فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ، فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

وفى يوم السبت [2] قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفراً وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين فى البلاد ، والذين عسَّ عليهم "اللعين"[3] الأغا وبرطملين ، ووجدوهم مختفين فى البيوت .

وفيه [4] قبضوا على خمسة أنفار من اليهود ، وامرأتين وألقوا الجميع فى بحر النيل .

وفيه نادوا بأن كل من اشترى شيئاً من منهوبات العرب التى نهبها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر .

١- كفر منصور : من القرى القديمة اسمه الأصلى البويرة ورد فى معجم البلدان البويرة موضع بحوض مصر ، وبالبحث تبين أن البويرة المذكورة مكانها اليوم هذا الكفر ، ويدل على ذلك أن الحوض الزراعى المجاور لسكن هذه القرية لا يزال يعرف إلى اليوم باسم البويرة ، وكان هذا الكفر من توابع قرقشندة ثم فصل عنها فى تاريخ ١٢٢٨هـ ، وفى سنة ١٢١٦هـ فصل عن قرقشنده كفر أخر من توابعها باسم كفر محرم ، وفى سنة ١٩٠٣م ضم هذا الكفر إلى كفر منصور باسم كفور منصور ومحرم ، ولاشتراكها مع بعضها فى السكن والإدارة والزمام صدر قرار فى سنة ١٩٢٣ باختصار الاسم وجعلها كفر منصور.
محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى جـ١ ص ٤٧ .

٢- يوم السبت ١٩ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يناير ١٧٩٩م .

٣- كلمة اللعين محذوفة فى عجائب الآثار .

٤- أى فى يوم السبت وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

وفيه كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس إلى جهة الشام ، وطلبوا وهيئوا جملة من الهجن ، وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ، ثم رسموا على الوالى بإحضار [ص ١٠٩] عدة كبيرة من الحمير يقال أنها ألف حمار ، وكذلك عدة من البغال ، فطلب شيخ الحمّارة ، وأمره بجمع ذلك ، وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال ، فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم ، وامتنع خروج السقايين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقايين الجمال والبراسمية ، فحصل للناس ضيق بسبب ذلك .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه [١] كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق على العادة ، ونصها :

"الحمد لله وحده ، هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام ، من محفل الديوان الخصوصى ، من عقلا الأنام ، علما الإسلام ، والوجاقات والتجار الفخام، نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابارتة أمير الجيوش الفرنساوية ، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية ، من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، وعفا عفواً شاملاً ، وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قايد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شخصاً أصحاب معرفة وإتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلاً كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل قضا حوايج الرعايا ، وحصول الراحة [لأهل مصر من خاص وعام ، وتنظيمها على أكمل نظام وإحكام] [٢]

١- يوم الاثنين ٢١ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ يناير ١٧٩٩م .

٢- ما بين القوسين سقط من النسخة (ب) .

كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه لمصر ، وشفقته على سكانها من صغير القوم لكبيره [1] رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم ، وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا وظلموا بمنزل الشيخ الجوهرى ، وقتل منهم اثنين ، [ص ١١٠] بقرا ميدان ، وأنزل طايفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام لأن الخيانة [2] ليست من عادة الفرنسيس، خصوصاً مع النسا الأرامل ، فإن ذلك قبيح عندهم ، لا يفعله إلا كل خسيس [3] ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكّاس ، لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الكمرك بمصر القديمة على الناس ، ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم ، ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ، ويفحت الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس ، لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضايع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن ، وكل فج عميق ، فاشتغلوا بأمر دينكم ، وأسباب دنياكم ، واتركوا الفتنة والشرور ، ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم ، وعليكم بالرضا بقضا الله ، وحسن الاستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة ، رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم ، إلا من كان له دعوة شرعية ، فليتوجه إلى قاضى العسكر المتولى بمصر بخط السكرية ، والسلام على أفضل الرسل على الدوام" [4]

١- فى النسخة (أ) "من صغير القوم قبل كبيره "

٢- فى النسخة (أ) " الخيالة " وهى خطأ من الناسخ .

٣- فى النسخة (ب) " إلا كل رذيل "

٤- يظهر من هذا المنشور عدة أمور لعل أولها دور كبار العلماء الذين انضموا للديوان فى تثبيط همة الشعب عن المقاومة ضد الفرنسيين ، واستخدام الدين كأداة لذلك وكذلك تعديد صفات بونابرت الحسنة وما فعله وما سيفعله أيضاً لأجلهم ، لذا فهم يدعونهم للهدوء ولأن ينشغل كل منهم بنفسه وبحاله ، وهم لا ينسوا كذلك تحذيرهم من المخالفة وإلا الوقوع فى الندامة ، ويبدو أن هذا هو حال كبار رجال الدين فى كل زمان فلو قارنا بين موقفهم هذا وبين موقف صغار العلماء لكان الأمر مخزى لهم وكان هذا تمهيد سياسى لحملة الشام

وفيه أرسلوا للوالي لينبه على السقايين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم .

وفي ليلة الأربعا ثالث عشرينه (١) خرج عدة كثيرة من العسكر (٢) وطلب كبير الفرنسيس أن يأخذ صحبته مصطفى بيك كتخدا الباشا أمير الحاج ، ويأخذ أيضاً قاضي العسكر بجمقشي زادة ، وأربعة أنفار من أهل العلم وهم الفيومي والصاوي والعريشي والدواخلي ، وعدة أيضاً من التجار [ص ١١١] والوجاقلية ، ونصارى القبط والشوام .

وفي سادس عشرينه (٣) نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلاً في رمضان حكم المعتاد .

وفيه (٤) انتقل قايمقام من بيته المطل على بركة الفيل ، وهو بيت إبراهيم بيك

١- يوم الأربعاء ٢٣ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٣٠ يناير ١٧٩٩م .

٢- حملة بونابرت على الشام : تعددت الروايات في أسباب الحملة الفرنسية إلى الشام وهناك أسباب بعيدة وأسباب قريبة أما البعيدة فهي : أن بونابرت أراد بتقدمه من الشام التمهيد لمشروعه الضخم في الوصول إلى الهند ودعم العناصر الثائرة على الحكم البريطاني هناك وقيل أن بونابرت أراد بحملته على الشام أن يتوغل في أملاك الدولة العثمانية حتى يستولي على القسطنطينية ويتقدم عبر البلقان إلى النمسا ولكن كان هناك أسباب أخرى وهي الأسباب القريبة والعملية أيضاً منها :

أ- شعور بونابرت بالخطر المحدق به وبجنوده من جراء الجيوش العثمانية الموجودة في الشام والجاهزة للاستيلاء على مصر فأراد أن يبادرهم الهجوم قبل أن يبادروه .

ب- ضيق الفرنسيين بالحصار البحري الإنجليزي للشواطئ المصرية وكانت تحصل على المؤن من الشام فأراد الاستيلاء عليها حتى يجبرها على رفع الحصار .

راجع د/ نادر العطار : مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

٣- يوم السبت ٢٦ شعبان ١٢١٣هـ الموافق٢ فبراير ١٧٩٩م .

٤- أي في يوم السبت المذكور آنفاً .

الوالى ، وسكن ببيت أيوب بيك الكبير ، المطل على بركة الأزبكية ، وكذلك من كان ساكناً منهم على بركة الفيل ، انتقلوا بأجمعهم إلى الأزبكية .

وفيه ، عرض حسن أغا محرم المحتسب لصارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لإثبات رؤية هلال رمضان ، فرسم له بذلك على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالاً زايداً ، وعمل وليمة عظيمة فى بيته فى أربعة أيام ، أولها السبت وآخرها الثلاثا [1] دعى فى أول يوم العلما والفقها والمشايخ والوجاقات وغيرهم ، وفى ثانى يوم التجار والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم . ودعا بعضاً من أكابر الفرنسيس وأصاغرهم .

وركب يوم الثلاثا [2] بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة ، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ، فشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومرّ على قايمقام ، وعلى أمير الحاج ، وصارى عسكر الفرنسيس بونابارتة ، ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى بين القصرين ، فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعا ، ثم ركب من هناك بالموكب ، وأمامهم المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم ، وخلفه عدة خيالة من الفرنسيس بشعور مصنوعة على كوافى يلبسونها بروسهم ، وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل قبيح بشع مهول .

مجمل حوادث شهر شعبان ١٢١٣هـ [3]

وانقضى شهر شعبان وحوادثه :

١- من يوم السبت ٢ فبراير ١٧٩٩م إلى يوم الثلاثاء ٥ فبراير ١٧٩٩م .

٢- يوم الثلاثاء غاية شعبان ٢٩ منه الموافق ٥ فبراير ١٧٩٩م .

٣- العنوان من وضع المحققين .

فمنها أن أهل مصر جروا على عادتهم [ص ١١١] فى بدعهم التى كانوا عليها ، وانكمشوا عن بعضها واحتشموا خوفاً من الفرنسيس ، فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنسيس القيد ، ورخصوا لهم وسايروهم مشوا عليها، وانهمكوا فى عمل مواليد الأضرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك، وتقربهم إلى ربهم زلفى فى المسالك ، فرمحوا فى غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسْر، وتعطل الأسباب ، ووقف الحال ، وكساد الصنايع ، وغلو البضايع ، وانقطاع الأخبار ، ومنع الجالب براً وبحراً ، ووقوف الإنكليز واستمرارهم بالبحر، وشدة حجرهم على الصادر والوارد ، حتى غلت جميع الأصناف المجلوبة ، وانقطع أثر كثير منها ، بحيث لم يبق له وجود ببر مصر ، وبطل جملة من الصنايع ، وافتقر أهلها واحتاجوا إلى التكسب بالحرف الدنية ، كقلى السمك ، وبيع الفطير ، والأشربة المسكرة للعسكر ، وأحداث عدة قهاوى وطبخ الأطعمة والمأكولات فى الدكاكين ، وكان أكثر أهل الحرف التى بطلت عمل حمَّاراً مكارياً ، حتى صارت الأزقة ، خصوصاً جهات العسكر ، مزدحمة بالحمير التى تُكرا(1) للتردد فى شوارع مصر ، فإن للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ومغالات (2) فى الأجرة ، بحيث أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجرى به مسرعاً فى الشوارع ، وكذلك يجتمع الجماعة منهم ويركبون الحمير ويجهدونها فى المشى والإسراع بهم فى الشوارع ، وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون ، كما أن لهم عناية أشد من ذلك فى بذل الأموال فى الخمور والتردد

١- أى تستأجر ومنها كلمة "مكارى" أى الذى يؤجر الحمير للركوب والمكارية يطلق عليهم اسم " الحمَّارة " .

٢- هكذا بالتاء المفتوحة فى جميع النسخ والصواب "مغالاة" .

إلى حانات الراح ، والتغالى فى شراء الفواكه والبواطى والأقداح [ص ١١٣] حتى قال صاحبنا المشار إليه سابقاً (١) هذين البيتين عند توجههم إلى الشام .

إن الفرنسيس قد ضاعت دراهمهم
في مصرنا (٢) بين حمار وخمار
وعن قريب لهم فى الشام مهلكة
يضيع لهم فيها (٣) آجال وأعمار

[وقد تحقق ما تفال به عليهم من الهلكة ، والتردى فى حبالة كل مهلكة ، كما ستطلع على شرحه] (٤)

ومنها ترفع أسافل النصارى من القبطة والشوام والأروام واليهود ، وركوبهم الخيول ، وتقلدهم بالسيوف ، بسبب خدمتهم للفرنسيس ، ومشيهم الخيلا وتجاهرهم بفاحش القول ، واستذلالهم المسلمين ، وعدم مبالاتهم بالدين ، إلى غير ذلك مما لا يحيط به الحساب ، ولا يسطر فى كتاب ، كل ذلك جزاء بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد ، والحال الحال ، والمركوز فى الطبع ما زال ، والبعض استهوته الشياطين ، ومرق والعياذ بالله من الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١- يقصد الشيخ حسن العطار .
٢- فى النسخة (أ) "مصر" وقد وردت "مصرنا" فى باقى النسخ وكذلك فى عجائب الآثار .
٣- فى النسخة (أ) "يضيع فيها لهم"
٤- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار وكتب بدلها ما نصه "ومن طبعهم فى الشراب ، أنهم يتعاطعون لحد النشوة ، وترويح النفس ، فإن زادوا عن ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم ، ومن سكر وخرج إلى السوق ، ووقع منه أمر مخل عاقبوه وغرروه" وكما نرى فالحذف والتبديل ليس فى حاجة إلى تعليق .

ومنها تواتر الأخبار من ابتدا شهر رجب بأن رجلاً مغربياً عالماً يقال له الشيخ الكيلانى ، كان مجاوراً بمكة والمدينة والطايف ، فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز ، وأنهم ملكوا الديار المصرية ، انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم ، وجردوا الكعبة ، وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ، ويحرضهم على نصرة الحق والدين ، وقرأ [1] بالحرم كتاباً فى معنى ذلك مؤلفاً ، فاتعظ جملة من الناس ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستماية من المجاهدين ، ركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع ، فورد الخبر فى أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض ترك [ص ١١٤] ومغاربه ممن كان خرج مع غز[2] مصر عند وقعة انبابه ، وركب الغز معهم أيضاً ، وحاربوا الفرنسيس ، فلم يثبت الغز كعادتهم وانهزموا ، وتبعهم هوارة [3]

١- فى النسخ كلها "قراءة" وصححناها حتى يستقيم المعنى .

٢- الغز : كانت تطلق على العسكر فى مصر فى العصر العثمانى ويذكر البعض أنها تعود إلى قبائل "الأوغوز" التركية وهى إحدى القبائل التى تنسب إليها أسرة عثمان ، وقد دخلت الأمثال الشعبية المصرية فى قولهم " أخر خدمة الغز علقة " والعلقة : الوجبة من الضرب أى إن خدمتهم وأخلصت لهم فإنهم يكافئونك بالضرب .
أحمد تيمور – الأمثال – مرجع سابق ، ص ١ .

٣- الهوارة : من أهم القبائل العربية التى هاجرت إلى صعيد مصر ، ويقال أنهم هاجروا منذ العصر الفاطمى ، وقد ازداد نفوذهم فى العصر العثمانى بعد القضاء على نفوذ عربان المغاربة والضعفا ، ومن أشهر مشايخهم " الشيخ همام " والذى أقام حكم شبه مستقل فى منطقة جرجا ، وقد كفلوا للفلاحين الأمن والحماية من هجمات العربان الأخرين ، ولكن أنهى على بك الكبير النفوذ والسيطرة التى للهوارة بقضائه على همام وجدير بالذكر أنه يوجد "هواره بحرى" وهم الذين بقوا فى البحيرة لم يهاجروا إلى الصعيد مثل "هواره قبلى" .
راجع لمزيد من التفاصيل د/ ليلى عبد اللطيف : شيخ العرب همام هـ .م.ع القاهرة – ص ١٥ وما بعدها .

الصعيد والمتجمعة من القرى ، وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم ، وذلك بناحية دجرجا ، وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا ، وصحبتهم حسن بيك الجداوى وعثمان بيك حسن تابعه ، ووقع بين الحجازيين والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع ، ولم تقع نكاية فى العدو ، بل ينفصل الفريقان بدون طايل

ومنها أن الفرنسيس عملوا كرنتيله (١) بجزيرة بولاق ، فيحجزون بها القادمين من السفار أياماً معدودة كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها .

ومنها أن السيد مصطفى الدمنهورى (٢) مرَّ وهو راكب بغلته بخط الموسكى (٣) فقابله خيَّال فرنساوى تلعب فرسه ، فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور ، وألقته من على ظهرها إلى الأرض [فصادف حافر فرس الفرنساوى أذنه فرض صماخه ، فلم يتحرك ولم ينطق ، فرفعوه فى تابوت إلى منزله ومات من ليلته إلى رحمة الله تعالى] (٤)

١- كرنتيله : وتكتب "الكورنتيلة " وفى التركية "قرانتينه" من الكلمة الإيطالية "quarantina" بمعنى أربعين ، وكان الواردون من الخارج الذين يشتبه فى مرضهم يحجزون فى الحجر الصحى أربعين يوماً حتى تثبت سلامتهم من الأمراض الوبائية .
د/ أحمد السعيد سليمان: مرجع سابق ، ص ١٨١ .

٢- السيد مصطفى الدمنهورى : أصله من دمنهور ، تفقه على أشياخ عصره ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى ملازمة كلية ، ولما تولى الشرقاوى مشيخة الأزهر ، أصبح الدمنهورى صاحب الحل والعقد فى كثير من القضايا والمهمات ، وكان يكتب الفتاوى على لسان شيخه . وكان له اهتمام بالتاريخ واقتنى عدة كتب مثل " السلوك " و " والخطط " للمقريزى وغيرها للعينى والسخاوى وتوفى فى هذه الحادثة.راجع: عجائب الآثار ، جـ٣ ، وفيات سنة ١٢١٣هـ

٣- خط الموسكى: أوله من آخر شارع السكة الجديدة من عند قنطرة الموسكى ، بجوار القرة قول ، وآخره شارع العتبة ، وعرف بذلك نسبة للأمير عز الدين موسك ، الذى أنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة الموسكى ، وقد مات فى دمشق ٥٨٤ هـ . وبهذا الشارع من جهة اليسار حاراتان هما حارة الفرنج وحارة حوش الدماهرة . على مبارك : مرجع سابق جـ٣ ، ص ٣٠٩ .

٤- وردت الفقرة التى بين القوسين فى النسخة (ب) كالآتى "وحكم حافر فرس الفرنساوى أذن المذكور ولم ينطق فرفعوه وهو ميت إلى رحمة الله تعالى" .

شهر رمضان ١٢١٣هـ

استهل بيوم الأربعا كما ذكر [١] ، فيه أخذ كبير الفرنسيس فى الاهتمام بالسفر إلى جهة الشام ، وجهزوا طُلّباً كثيراً ، وصاروا فى كل يوم تخرج طايفة بعد طايفة .

وفى يوم السبت [٢] عمل صارى [٣] عسكر ديواناً ، وأحضر المشايخ والوجاقات ، وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد ، وأجلوا باقيهم إلى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون إلى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ، [ص ١١٥] ويمهدون البلاد الشامية ، لأجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات براً وبحراً لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأننا نغيب عنكم شهراً ثم نعود ، وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرايع وغير ذلك ، فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ، ونبهوا على مشايخ الأخطاط والحارات ، كل كبير يضبط طايفته ، خوفاً من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر ، فالتزموا له بذلك وكتبوا أوراقاً مبصومة على العادة فى معنى ذلك ، ولصقوها بالطرق .

وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى بيك كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية ، وخرج أيضاً عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة ، حتى الأسرة والفرش والحصر ، وعدة مواهى ومحفات للنساء والجوارى

---

١ – يوم الأربعاء غرة رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ فبراير ١٧٩٩م .

٢– يوم السبت : ٤ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ فبراير ١٧٩٩م .

٣– كلمة "صارى" غير موجودة فى النسخة (ب) .

البيض والسود والحبوش[1] الذين أخذوهم من بيوت الأمرا ، وتزيا أكثرهم بزى نسايهم الإفرنجيات ، وغير ذلك .

وفى يوم الأحد خامسه [2] ركب صارى عسكر الفرنسيس ، وخرج أيضاً إلى العادلية ، وذلك فى الساعة الرابعة [3] والطالع الحمل ، وفيه القمر فى تربيع زحل ، وصاحبه فى الثانى ، وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول ، وقايمقام وبوسليك ، وصارى عسكر دزه بجملة من العسكر فى الصعيد ، وكذلك صوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات ، وأخذ معه المديرين وأصحاب المشورة والتراجمين وأرباب الصنايع منهم ، كالحدادين والنجارين ومهندسين الحروب ، وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضاً بعض أكابرهم بمصر ، ثم تراسل [4] المتخلفون فى الخروج ، كل يوم تخرج منهم جماعة .

١- الحبوش : جدير بالذكر أن الجوارى فى مصر كن ينقسمن إلى ثلاث فئات ، شأنهن فى ذلك شأن الذكور من الرقيق وهن : الجوارى البيض ويجلبن من القوقاز ووسط آسيا ، والجوارى السود ويجلبن من السودان ووسط أفريقيا ، والجوارى الحبشيات ويجلبن من الحبشة وكانت أسعارهن ونسبة جمالهن فى مرحلة وسط بين السود والبيض ، وكانت الجوارى البيض يجلبن للتسرى والمتعة من جانب الحكام والأعيان ، أما السود فكن يجلبن للخدمة فى البيوت ، بينما كانت الجوارى الحبشيات مفضلات لدى متوسطى الحال من المصريين ، وقد أخذ الفرنسيون الكثير من هؤلاء الجوارى من بيوت الأمراء للتسرية عن جنود الحملة إلى جانب من أحضروهن معهم من النساء الفرنسيات . راجع عماد أحمد هلال : الرقيق فى مصر فى القرن التاسع عشر – رسالة ماجستير غير منشورة – آداب المنصورة ، ١٩٩٥ ، ص ٣٥ وما بعدها .

٢- يوم الأحد ٥ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ١٠ فبراير ١٧٩٩م .

٣- الساعة الرابعة بالتوقيت العربى تعادل حوالى الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت الإفرنجى ، وكان العرب يقسمون اليوم إلى أربع وعشرين ساعة ، تبدأ الساعة الواحدة صباحاً مع شروق الشمس وتكون الثانية عشرة عند الغروب ثم تبدأ بعد الغروب الساعة الواحدة مساءاً حتى الثانية عشرة عند شروق اليوم التالى. وقد استمر هذا التوقيت إلى عهد قريب

٤- أى خرجوا أرسالاً فى جماعات متتالية .

وفى يوم الثلاثا سابعه (١) انتدب للنميمة [ص ١١٦] ثلاثة من النصارى الشوام ، وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه ، فأرسل قايمقام خلف المهدى والأغا فأحضروهم ، وذكر لهم ذلك ، فقالوا لهم هذا كذب لا أصل له ، وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين، ففحص عمن اختلق ذلك فوجدوهم ثلاثة من النصارى الشوام ، فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس ، فلم يظهر صحة ما نقلوه ، فأبقاهم فى الاعتقال . ثم إن نصارى الشوام رجعوا إلى عاداتهم فى لبس العمايم السود والزرق ، وتركوا لبس العمايم البيض والشالات الكشميرى الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك .

ونبهوا أيضاً فى أوايل رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولاً ، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ، ولا يشربون الدخان ، ولاشيئاً من ذلك بمرأى (٢) منهم كل ذلك استجلاباً لخواطر الرعية ، حتى إن بعض الفقها مرّ على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهره ، فرد عليه رداً شنيعاً ، فنزل ذلك المتعمم فضرب النصرانى واجتمع عليه الناس ، وحضر القلق المحافظ لتلك الجهة ، فرفعها إلى قايمقام ، فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك ، فأخبروه أن من عادتهم القديمة ، أنه إذا استهل رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق، ولا بمرأى(٣)من المسلمين أبداً ، فضرب النصرانى ، وترك المتعمم لسبيله .

١- يوم الثلاثا ٧ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ١٢ فبراير ١٧٩٩م .

٢- فى النسخ كلها "بالمرء منهم" والصواب ما أثبتناه "بمرأى" كى يستقيم المعنى .

٣- فى النسخ كلها "بمرا" والصواب ما أثبتناه كى يستقيم المعنى .

[وفى تاسع عشره (1) أحضر أغاة الإنكشارية رجلاً إلى سوق الأشرفية ، وضرب عنقه ، قيل أنه سارق] (2)

وفى رابع عشرينه (3) أحضروا مراد أغا تابع سليمان بيك الأغا من قبلى ، ومعه آخر من الأجناد [ص ١١٧] فاصعدوهما إلى القلعة ، قيل بندقوا عليهما وقتلوهما .

وفى خامس عشرينه(4) ورد الخبر بأن الفرنسيس ملكوا قلعة العريش (5) وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق ، أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش ، وأسروا عدة من المماليك ، وفى غد يعملون شنكاً ويضربون مدافع ، فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا .

١- يوم الأحد ١٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٧٩٩م .

٢- اليومية التى بين القوسين غير موجودة فى عجائب الآثار .

٣- يوم الجمعة ٢٤ رمضان ١٢١٣هـ الموافق مارس ١٧٩٩م .

٤- يوم السبت ٢٥ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢ مارس ١٧٩٩م .

٥- احتلال العريش : تلقى رينيه وجنوده أمر الزحف ليكون فى طليعة الجيش فوصل أمام العريش فى ٧ فبراير ١٧٩٩م ولكنه لاقى مقاومة عنيفة وعندما انضم إليه "كليبر" نجحا فى الاستيلاء على العريش فيما عدا القلعة حتى وصل إليهم بونابرت وأخذ في ضربها بالمدفعية الثقيلة وذلك بعد أن رفضت الصلح الذى عرضه عليها بونابرت وبعد أن أخذت ذخيره الجند المحاصر داخل القلعة تفرغ طلبوا الصلح شريطة أن يسمح لهم بالاحتفاظ بسلاحهم فوافق بونابرت على ذلك ولكنه أخذ على جنود الجزار عهد بعدم محاربتهم له سنة كاملة فتعهدوا له بذلك والمغاربة منهم فبعضهم من جند إبراهيم بك رجع إلي مصر والبعض ساروا شرقاً مبتعدين عن الموت وجدير بالذكر أن بونابرت أجرى نزع سلاح الجنود بعد استسلامهم ، وبعد ذلك أصدر منشوراً يدعو السوريين فيه إلى مساعدته ويعلن عن صداقته للعثمانيين والعداء للجزار وكان بونابرت يبرر الحملة بإغارة الجزار على العريش وهى تابعة لمصر . د/ نادر العطار : مرجع سابق ، ص ١٢٨.

فلما أصبح يوم الأحد (١) حضر المماليك المذكورة ، وهم ثمانية عشر مملوكاً ، وأربعة من الكشاف ، وهم راكبون الحمير ومتقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس فحزن المسلمون لذلك وانقبضت نفوسهم ، وصاروا بين مصدق ومكذب ، وخرج بعض الناس فشاهدهم ، ولما وصلوا إلى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى ، خرج اللعين برطملين ، وكذلك الخاسر الأغا كل بطايفته (٢) لانتظارهم ومعهم طبول وبيارق فمشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التى استحدثوها ، ودخلوا بهم إلى بيت قايمقام ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم ، فذهبوا إلى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر ، وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران وهم يوسف كاشف الروبى ، وإسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور . وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش ، وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرناؤط ، فحضر إليهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة ، فى أواخر شعبان ، وأحاطوا بالقلعة ، فحاربوهم من داخلها ، ونالوا منهم ، ثم حضر إليهم كبير الفرنسيس بجموعه بعد أيام ، وألحوا فى حصارهم ، فأرسل من بالعريش إلى غزة ، فطلبوا نجدة (٣) فأرسلوا إليهم نحو السبعماية ، وعليهم قاسم بيك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا [ص ١١٨] من الوصول إلى القلعة ، لتحلق الفرنسيس بها ، وإحاطتهم عليها ، فنزلوا قريباً من القلعة ، فكبسهم عسكر الفرنسيس بالليل ، فاستشهد قاسم بيك وغيره ، وانهزم

١- يوم الأحد ٢٦ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٣ مارس ١٧٩٩م .

٢- فى عجائب الآثار يحذف الجبرتى كلمات "اللعين والخاسر" ويكتبها هكذا "خرج برطملين والأغا بطوايفهما"

٣- فى النسخة (أ) " وطلب نجده ".

الباقون ، ولم يزل أهل القلعة يحاربون وينالون من عدوهم ما ينالون ، حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة ، فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم، وذلك بعد أربعة عشر يوماً فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم إلى مصر ، مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم ، وهؤلاء هم الجماعة القادمون ، وأما العسكر الذين كانوا معهم فبعضهم انضاف إليهم ، وأعطوهم جامكية وعلوفة ، وأجلسوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس ، والبعض لم يرض بذلك ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم إلى حال سبيلهم ، وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة .

وفى ذلك اليوم بعد الظهر (1) عملوا الشنك الموعود به ، وضربوا عدة مدافع من القلعة والأزبكية ، فعظم الهاجس ، وتزايدت الوساوس ، وأظهر النصارى الفرح والسرور ، فى الأسواق والدور ، وأولوا فى بيوتهم الولايم ، وغيروا الملابس والعمايم ، وتجمعوا للهو والخلاعة ، وزادوا فى الشناعة .

وفى يوم الأربعا (2) توفى أحمد كاشف بقهره فجأة .

وفى عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة وعشرين ، وهم راكبون الهجن ، وعلى روسهم عمايم بيض ، ولابسون برانس بيض على أكتافهم ، فذهبوا إلى بيت قايمقام بالأزبكية .

فلما أصبح يوم الخميس(3) عملوا الديوان ، وقروا المكاتبة التى حضرت مع الهجانة ، حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزة وخان يونس ، وأخبروا بروايات مختلفة ، منها أنهم وجدوا إبراهيم بيك [ص ١١٩] ومن معه ارتحلوا من هناك ،

١- بعد ظهر يوم الأحد ٢٦ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٣ مارس ١٧٩٩م .

٢- يوم الأربعاء ٢٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ مارس ١٧٩٩م .

٣- يوم الخميس ٣٠ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٧ مارس ١٧٩٩م .

وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس ، وقيل بل تحاربوا معهم وهزموا (١)

وفى ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة (٢) حضر عدة من الفرنسيس ، ومعهم كبير منهم ، وهم راكبون الخيول ، وعدة من المشاة ، وفيهم جماعة لابسون عمايم بيض ، وجماعة أيضاً برانيط ، ومعهم نفير ينفخ فيه ، وبيدهم بيارق ، وهى التى كانت علي قلعة العريش ، إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركباناً بباب الجامع ، وطلبوا الشيخ الشرقاوى ، فسلموه تلك البيارق ، وأمروه برفعهم ونصبهم على منارات الجامع الأزهر ، فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين(٣) عند كل هلال بيرقاً ، وعلى منارة أخرى بيرقاً ثالثاً، وعند رفعهم ذلك (٤) ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسروراً ، وكان ذلك ليلة عيد الفطر ، [فكان من أشنع ليالى الأعياد على المسلمين] (٥)

فلما كان عند الغروب ضربوا عدة مدافع أيضاً إعلاماً بالعيد .

وبعد العشا الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ، ونادوا بالأمان ، وبخروج الناس علي عادتهم لزيارتهم القبور بالقرافتين ، والاجتماع لصلاة العيد ، وأن يلبسوا أحسن ثيابهم .

١- فى النسخة (ب) "وانهزموا ".

٢- الدرجة تعادل ٥ دقائق والمقصود بعد عصر يوم الخميس بنحو ساعة .

٣- المنارة ذات الهلالين أو ذات الرأسين طراز فريد من المنارات وقد أنشأها السلطان الغورى قبيل مجئ العثمانيين واحتلالهم مصر وما زالت قائمة إلى الآن .

٤- كلمة "ذلك " غير موجودة فى النسخة (أ).

٥- العبارة بين القوسين غير موجودة فى عجاذب الآثار .

ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقاً فأرسلوها إلى البلاد ، ونصها :" فرمان عام موجه من حضرة أمير الجيوش إلى أهالى بر الشام قاطبة ".

بسم الله الرحمن الرحيم

"من طرف بونابارتة (١) أمير الجيوش الفرنساوية :

إلى حضرة المفتيين والعلما وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى ، بعد السلام ".

" نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور لكيما نعلمكم أننا حضرنا فى هذا الطرف[ص١٢٠] لقصدنا طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم ، وإلى أى سبب حضور عساكر الجزار وتعدوا علي بلاد يافا والرملة وغزة الذى ما كانوا من حكمه ، وإلى أى سبب أيضاً أرسل عساكره إلى قلعة العريش ، بذلك هجم على أراضى مصر ، فبلاشك كان مراده إجرا الحرب معنا ، فاحنا (٢) حضرنا لنحاربه ، فأما أنتم يا أهالى الأطراف المشار إليها ، لم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر ، فأنتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمينين ، ومرتاحين ، وأخبروا من كان خارجاً عن محله ووطنه [أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه] (٣) ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافى ، والحماية التامة ، ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم ، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم ووظايفهم على ما كانوا عليه ، وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزاً ومعتبراً ، والجوامع عامرة بالصلوات

١- فى النسخة (ب) "بانوبورته " وهى أول مرة تكتب بهذا الرسم فى جميع النسخ .

٢- هكذا بالعامية فى النسخة (أ) وفى باقى النسخ "فنحنا " والصواب " فنحن " .

٣- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ)

وزيارات المؤمنين ، إذ أن كل خير يأتى من الله سبحانه ، وهو يعطى النصر والظفر لمن يشاء ، ولا يخفاكم أن جميع ما تتآمر[1] به الناس ضدنا فيغدو باطلاً ، ولا نفع لهم به ، لأن كل ما نضع به يدنا لابد عن تمامه بالخير ، والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح ، والذى يتظاهر بالعناد يهلك ، ومن كل ما حصل تفهمون جيداً أننا نقهر أعدانا ، ونعضد من يحبنا ، وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والإشفاق على الفقرا والمساكين ".

ولما أخذوا غزة أرسلوا طوماراً بصورة الواقعة ، وبصموه نسخاً ، وقرى بالديوان ، ولصقوا تلك النسخ بالأسواق ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا عدوان إلا على الظالمين ، نخبر أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال [ص ١٢١] اسكندر برتيه[2] ، خطاباً إلى حضرة صارى عسكر دوجا[3] وكيل أمير الجيوش بمصر ، يخبره فيه بأن العساكر الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان[4] فى خان يونس ، وفى فجر تلك الليلة توجهوا سايرين إلى ناحية غزة ، فكشفوا قبيل الظهر بساعة ، عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة ، فتوجه إليهم الجنرال مرلا[5] مع

١- فى النسخة (أ) "تتوامر" وفى النسخة (ب) "تتواتر" فصححنا اللفظ حتى يستقيم المعنى .

٢- فى النسخة (أ) "برنيه" وفى النسخة (ب) "برتيه" ولكن الصواب أن اسمه هو الجنرال "اسكندر برتييه" Berthier وكان رئيساً لأركان حرب الحملة .

٣- الجنرال دوجا Dugua عينه بونابرت حاكماً للقاهرة والوجه البحرى أثناء غيابه فى الشام

٤- يوم الأحد ١٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٧٩٩م .

٥- الجنرال مرلان Merlin :هو ياور بونابرت وقد أرسل فيما بعد إلى القسطنطينية للتفاوض مع الحكومة التركية . وفى النسخة (ب) كتبت "مراد" وهو خطأ كما رأينا .

عساكر الفرنساوية من خيالة ومشاة ، مراده اغتيال عسكر المملوك وعسكر الجزار ، فلما انتبهوا له فروا هاربين ، ووقع بينه وبين أطراف عساكرهم بعض مضاربة يسيرة ، لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية ، ومات عسكرى واحدا ، ومات من عسكر المملوك والجزار ناس قلايل ، وحين تشاغل صارى عسكر مرلا [1] بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة صارى عسكر كلهبر الذى كان حاكماً بالأسكندرية ، وكان ساكناً بالأزبكية ، إلى بندر غزة وملكها من غير معارض له ، ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخاير ، من بقسماط وشعير ، وأربعماية قنطار بارود ، واثنى عشر مدفعاً وحاصلاً كبيراً ملاناً بالخيام الكثيرة ، وجُللاً وبنبات [2] مهيئات محضرات كصنعة الإفرنج . هذا ما وقع لملكهم بغزة ، وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقاً ، فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضا الله ، وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم والسلام ختام" .

مجمل يوميات شهر رمضان ١٢١٣هـ [3]

وانقضى شهر رمضان ، ووقع به قبل ورود هذه الأخبار المؤلة بمصر من السكون والطمأنينة بسبب سفرهم وخلو الطرقات منهم ، وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر ، واختفايهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح الأسواق والدكاكين ، والذهاب والمجى ليلاً ، وزيارة الإخوان [ص ١٢٢] والمشى على العادة بالفوانيس

١- فى هذه المرة كتبت "مراد " فى كل النسخ فصححناها فى المتن .
٢- تختلف الجلل عن البنبات فى أن الأولى عند إطلاقها من المدافع لا تنفجر لأنها كرة من الحديد المصمت تدمر المبانى والحصون أما الأخرى فهى معبأة بمواد متفجرة .
٣- العنوان من وضع المحققين .

ودونها ، واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ، ووقود المساجد وصلاة التراويح ، وطواف المسحراتى [1] والتسلى بالرواية والنقول ، وترجى الأمول ، وانحلال الأسعار ، فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

شهر شوال ١٢١٣هـ

استهل بيوم الجمعة [2] وفى صبح ذلك اليوم ، ضربوا عدة مدافع لشنك العيد ، واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والأزهر ، واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية ، فلما سلم أعاد الصلاة بعدما شنع عليه الجماعة ، وخرج الرجال والنسا لزيارة القبور ، فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر ، وأسرع فى مشيه وهو يقول : " نزلت عليكم العرب يا ناس " ، فهاجت الناس وانزعجت النسا ، ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب النسا وأُزرهن وما صادفوه من عمايم الرجال وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير [3] والقرافة ، حتى إن بعض النسا مات تحت

١- فى النسخة (ب) "وطواف المسحرين " والصواب ما أثبتناه فى بقية النسخ .

٢- يوم الجمعة غرة شوال ١٢١٣هـ الموافق ٨ مارس ١٧٩٩م .

٣- باب الوزير : أحد أبواب القاهرة الخارجية فى سورها الشرقى الذى أنشأه صلاح الدين فى المسافة الواقعة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل ، فتحه الوزير نجم الدين محمود المعروف بوزير بغداد فى عهد السلطان المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون فى سنة ١٣١٤م ، ولهذا عرف منذ ذلك الوقت باسم باب الوزير ، وإليه ينسب شارع باب الوزير وقرافة باب الوزير ، وهذا الباب لا يزال قائماً إلى اليوم ، ولقد جدده الأمير طراماى الأشرفى صاحب القبة المجاورة للباب فى سنة ١٥٠٣م د.عبد الرحمن زكى: مرجع سابق ، ص ٢٦

الأرجل ، ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم بذلك

وفيه [1] ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد فجاملهم [2] الناس بالمدارة .

وفي أوايله ، وردت الأخبار بأن الغز القبليين تفرقوا من بعضهم ، فذهب مراد بيك وآخرون إلى نواحي أبريم [3] ومنهم من ذهب إلى ناحية أصوان ، والألفي عدى بجماعته إلى البر الشرقي .

وفي خامسه [4] حضر ابن الدواخلي من ناحية القرين متمرضاً ، وكان بصحبة الصاوي والعريشي ، متخلفين بالقرين ، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية ، أرسل إلى كتخدا الباشا والقاضي [ص ١٢٣] والجماعة الذين بصحبتهم ، يأمرهم بالحضور إلي الصالحية ، لأنهم كانوا يتأخرون عنه مرحلة ، ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب في الطريق ، فخافوا من المرور ، فذهبوا إلى العرين [5] فأقاموا هناك ، وأخذ عسكر الفرنسيس جمالهم

١- أي يوم العيد . أول شوال ١٢١٣هـ الموافق ٨ مارس ١٧٩٩م .

٢- في النسخة (ب) "فجاملوهم الناس" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- أبريم : بلدة من بلاد النوبة واقعة على شط النيل الشرقي على مسافة مائة وعشرين ميلاً في جنوب اسوان وهي ابريمس بروا القديمة ، فتحها السلطان سليم الأول مع الاستيلاء على مصر ، تشتهر بالنخيل ، ويذكر على مبارك عنها أن أبنيتها ومشتملاتها وملابس أهلها وعملتهم وعوائدهم مثل ناحية الشلال . على مبارك مصدر سابق - جـ٨ ص ٣٥

٤- يوم الثلاثاء ٥ شوال هـ الموافق ١٢مارس ١٧٩٩م .

٥- العرين : بلد بالشرقية وهي غير القرين .

، فأقاموا بمكانهم ، فتقلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة ، ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم الفيومي فأقام مع كتخدا الباشا والقاضي ، فحصل للشيخ محمد الدواخلي توعك ، فحضر إلى مصر ، وبقي رفيقاه في حيرة

وفي سابعه [1] أحضر الأغا رجلاً ، ورمى رقبته عند باب زويلة ، وشنق امرأة [2] على شباك السبيل تجاه الباب ، والسبب في ذلك أن الفرنساوي حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ، ويسمى دلوي ، أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ، ومنعهم من دفع معتاد الوالي ، فاجتمعوا وذهبوا إلى كبير الفرنسيس الذي يقال له شيخ البلد ، وشكوا إليه ، وكان الأمير زين الفقار حاضراً ، وهو يسكن تلك الجهة ، فساعدهم وعرَّف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد إلى دلوي وانتهره ، وأمره برد ما أخذ ، فأخبره أتباعه أن زين الفقار هو الذي عضدهم ، وأنهى شكواهم إلى كبيرهم ، فقام دلوي المذكور ودخل على زين الفقار في بيته ، وسبه وشتمه بلغته ، وفزع عليه ليضربه ، فلما خرج من عنده قام وذهب إلى كبيرهم ، وأخبره بفعل دلوي معه ، فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة ، ثم أخبر شيخ البلد بعض الناس أن الذي وقع من دلوي ، من تعرضه لبياعين الغلة ، إنما هو بإغرا خادمه ، وعرف كبيرهم أن خادمه المذكور مولع بأمرأة رقاصة من الرميلة، تأتيه بأشكالها ومن على طريقتها ، ويجتمع هو وأضرابه ، وترقص تلك المرأة له في القهوة التي بخطهم [ص ١٢٤] ليلاً ونهاراً ، وتبيت معهم في البيت ، ويصبحون في أرغد عيش [3] فلما حبس أميرهم اختفوا

١- يوم الخميس ٧ شوال ١٢١٣هـ الموافق ١٤مارس ١٧٩٩م .

٢- في النسخ كلها تكتب "امراءة " والتصحيح حتى يستقيم المعنى .

٣- في النسخة (أ) "ويصبحون على حالتهم " .

على الرجل والمرأة فقبضوا عليهم وفعلوا بهم ما ذكر ، ولا بأس بما حصل .

وفى ثامنه ، يوم الجمعة [1] نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان ، والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم ، على العادة فى عمل الموكب [2]

فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس بالأسواق وطريق المرور ، وجلسوا للفرجة ، فمروا بذلك ، وأمامها الوالى والمحتسب ، وعليهم القفاطين والبيلشانات[3] وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطملين الكافر [4] كتخدا مستحفظان وأمامه نفر الانكشارية من المسلمين ، نحو المايتين

١- يوم الجمعة ٨ شوال ١٢١٣هـ الموافق ١٥ مارس١٧٩٩م.

٢- كسوة الكعبة : ظلت الكسوة ترسل بانتظام كل عام من مصر طوال العصر العثمانى من إيراد الأوقاف الموقوفة عليها ولكن خلال فترة الحملة الفرنسية على مصر لم ترسل الكسوة خلال السنوات الثلاث التى قضتها الحملة فى البلاد وذلك على الرغم من تجهيز الكسوة والأحتفال بخروجها فى عام ١٢١٣هـ ، حتى أن الجبرتى يذكر فيما بعد خروج المحمل والكسوة من القاهرة فى شوال ١٢١٣هـ ، ولكنه يعود ويقرر فيما بعد أن المحمل لم يواصل رحلته للحجاز لأنه فى الشرقية انضم مصطفى بك أمير الحج إلى بعض العرب الثائرين على الاحتلال الفرنسى فى مصر . ومن ثم فقد أصدر الفرنسيون أوامرهم بالقبض على مصطفى بك ، ورجع المحمل بالكسوة إلى القاهرة

راجع د/ السيد محمد الدقن : كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٠٠ وما بعدها .

٣- البيلشانات : فى الفارسية "بريشان " بالباء المشرية دخلت التركية بلفظها ومعناها وهو المشتت المتناثر : نوع من العمامة اسمه بالكامل فى اللغة العثمانية "بريشان دستارلى قاوون " أى القاوون ذو العمامة المتنثرة . وهى تكتب بعدة أشكال مثل "البيرنشانة " و "البيرنشان "و " البيلشان " . راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٤٧ .

٤- كلمة " الكافر " محذوفة من عجائب الآثار .

أو أكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع ، وهو لابس فروة عظيمة ، ثم موكب القلقات ، ثم موكب ناظر الكسوة ، وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا ، وخلفه النوبة التركية ، فكانت هذه الركبة من أغرب[1] المواكب ، وأعجب العجايب[2] لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال ، وتنوع الأمثال ، واجتماع الملل ، وارتفاع السفل ، وكثرة الحشرات ، وعجايب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد . وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور ، وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة [3]

وفى يوم الأربعا ثالث عشره [4] حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ، ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر ، وأخبروا أن "الكفرة"[5] الفرنسيس

١- فى النسخة (أ) " من أعظم ".

٢- يفهم من نص الجبرتى هنا استغرابه لما حدث فى الموكب من اشتراك غير المسلمين فى موكب الاحتفال بالكسوة وذلك بعد أن كان دورهم يقتصر على الوقوف على جانبى الطريق للفرجة علي الاحتفال فلقد كان لهذا الحفل شأن كبير فى العصر العثمانى منذ بداية ويعود ذلك إلى ما للحج من أهمية كبرى لمعرفة بداية هذا الموكب فى العصر العثمانى : راجع ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور تحقيق : محمد مصطفى هـ .م . ع جـ٥ ، ص ٢٠٥ ، ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ .

٣- أماكن صناعة الكسوة : نتيجة لاختصاص مصر التاريخى بصناعة الكسوة الشريفة فقد تعددت أماكن هذه الصناعة غير أننا لا نعرف على وجه الدقة فى أى وقت كان ذلك . من هنا كان استغراب "الجبرتى " لنسجها فى دار "مصطفى كتخدا " على غير العادة . ولمعرفة اماكن صناعة الكسوة وتطورها. راجع د/ محمد السيد الدقن : مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

٤- يوم الأربعاء ١٣ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢١ مارس ١٧٩٩م .

٥- كلمة "الكفرة " محذوفة من عجائب الآثار .

ملكوا قلعة يافا (١) وبيدهم مكاتبة من صارى عسكرهم ، بالإخبار عما وقع [ص ١٢٥]

فلما كان يوم الخميس ، واجتمع أرباب الديوان بالديوان ، فقروا عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها (٢) وترصيفها على هذه الكيفية بإلزامهم وأمرهم بذلك ، وصورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان مالك الملك ، يفعل فى ملكه ما يريد ، سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذو البطش الشديد ، هذه صورة تمليك (٣) سبحانه وتعالى جمهور

١- الاستيلاء على قلعة يافا : بدأ حصار يافا فى ٣ مارس ١٧٩٩ م ، وفى صباح ٧ مارس أمر بونابرت بالهجوم على القلعة وسقط ألفان من جنودها فى القتال واستسلم الثلاثة آلاف الباقية من حاميتها فى مقابل وعد بالإبقاء على حياتهم ولكن بونابرت أخرج المصريين منهم ، وعددهم حوالى خمسمائة وأعادهم إلى مصر ، ثم تذرع بوجود مقاتلى حامية العريش الذين حملوا السلاح بالرغم من تعهدهم بعدم محاربة الفرنسيين لمدة عام وساق بونابرت حجة أخرى وهى أنه لم يك لدية ما يكفى من القوات للسيطرة عليهم وإرسالهم إلى مصر ، ولكن يرى "لورنس " أن الدافع لهذا القرار ليس عسكرياً بل هو دافع سياسى ليفعل مثلما فعل أبو الدهب من قبل حينما استولى على المدينة بهذا الشكل ، فأراد بونابرت أن يستولى عبر الرعب على بقية فلسطين وهى بلا شك وصمة فى تاريخ نابليون حيث أصبح بفعلته هذه لا يقل همجية ووحشية عن التتار الذين نشروا الرعب فى البلاد بعدم إبقائهم على حياة الأسرى .لمزيد من المعلومات . راجع د/ هنرى لورنس . مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

٢- فى النسخة (أ) "بعد تقريرها ".

٣- عند مقارنة هذا النص بالنص الذى نشره حيدر الشهابى لنفس المرسوم اتضح وجود اختلافات بسيطة في الألفاظ مثل هذه صورة "تملك الله " فالله ساقطة من نص الجبرتى وسوف نشير إلى الاختلافات دائماً عندما تقابلنا.

الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية ، تعرف أهل مصر وأقاليمها من ساير البرية ، أن العساكر الفرنساوية ، انتقلوا من غزة ثالث عشرين شهر رمضان (1) ووصلوا إلى الرملة فى الخامس والعشرين منه فى أمن واطمينان ، فشاهدوا عسكر احمد باشا الجزار هاربين بسرعة ، قايلين "الفرار الفرار" ثم إن الفرنساوية وجدوا (2) فى الرملة ومدينة لُدّ مقدار كبير من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها ألف وخمساية قربة مجهزين جهزها الجزار ، ليسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقرا والمساكين ، ومراده يتوجه إليها بأشرار العربان من سفح الجبل ، ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ، قاصداً سفك دماء الناس مثل عوايده الشامية (3) وتجبره وظلمه مشهور ، لأنه تربيه المماليك الظلمة المصرية ، ولم يعلم من خشانة (4) عقله ، وسوء تدبيره أن الأمر لله كل شئ بقضايه وتدبيره . وفى سادس عشرين شهر رمضان (5) وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا إلى حاكمها وكيل الجزار ، أن (6) يسلم القلعة قبل أن يحل بهم ويعسكرهم الدمار (7) [ص ١٢٦] فمن خشانة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب وفى آخر ذلك

١- يوم الخميس ٢٣ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٧٩٩م .

٢- كلمة "وجدوا " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٣- فى حيدر الشهابى " السابقة " .

٤- فى حيدر الشهابى "خسافة ".

٥- يوم الأحد ٢٦ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٣ مارس ١٧٩٩م .

٦- "أن " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٧- نص هذا الخطاب الذى أرسل إلى حاكم يافا فى كورييه دي ليجيبت العدد ٣٠، ص ١١١.

اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا ، وصاروا كلهم مجتمعين ، وانقسموا على ثلاثة طوابير ، الطابور الأول توجه على طريق عكه بعيد عن يافا بأربعة ساعات . وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أمر حضرة صارى عسكر الكبير ، بحفر خنادق حول الصور ، لأجل أن يعملوا متاريس أمينة ، وحصارات متقنة حصينة ، لأنه وجد صور [1] يافا ملان بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة ، وفى تاسع عشرين الشهر[2] لما قرب فحت الخندق إلى الصور ، مقدار ماية وخمسين خطوة ، أمر حضرة صارى عسكر المشار إليه أن ينصب المدفع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر [3] بإحكام وتأسيس،وأمر بنصب مدافع أُخَر بجانب البحر ، لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا ، لأن وجد فى المينا بعض مراكب أعدوهم عسكر الجزار للهروب ، ولا ينفع الهروب من المقدر والمكتوب ، ولما رأت عساكر الجزار الكاينين بالقلعة المحاصرين ، أن عسكر الفرنساوية قلايل فى رأى العين للناظرين ، لمدارات الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس ، غرهم الطمع ، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين، وظنوا أنهم يغلبوا الفرنساوية ، فهجموا عليهم الفرنسيس ، وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الوقعة ، وألزموهم وألجأوهم للدخول ثانياً فى القلعة . وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية [ص ١٢٧]

١- "صور " الصواب "سور " ولكن أبقينا عليها هكذا حفاظاً على لغة المؤلف لأنها هكذا فى كل النسخ وجدير أن حيدر الشهابى يكتبها "سور ".

٢- يوم الأربعاء ٢٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ مارس ١٧٩٩م .

٣- "أهوان " كتبها حيدر "الهوان " راجع حيدر الشهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين ، بيروت ، جـ٢ ، ص ٢٥٨ وما بعدها . والأهوان نوع من المدافع مأسورتها غير مشخشنة تستخدم لإطلاق القنبر وليس الجلل راجع : الهوامش السابقة حول تعريف القنبر والجلل

وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه ، فأرسل إليهم مكتوباً مع رسول مضمونه :[لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من حضرة صارى عسكر اسكندر برتيه كتخدا العسكر الفرنساوى إلى حضرة حاكم يافا ، نخبركم أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابارتة ، أمرنا فى هذا الكتاب أن نعرفك أن سبب حضوره إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلد لأنه تعدى بإرسال عسكره إلى العريش ومرابطته فيها ، والحال أنها من أقليم مصر التى أنعم الله من أرضه ، فقد تعدى على ملك غيره ، ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر ، وفى مقدار ساعتين ينقلب صوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم . ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته ، خصوصاً بالضعفا من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين ، إذا دخلوا لكم بالقهر أهلكوكم أجمعين ، فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب ، أماناً كافياً لأهل البلد والأغراب ، ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة ، وإنى لكم من الناصحين .] وهذا آخر جواب الكتاب فجعلوا جوابنا حبس الرسول ، مخالفين للقوانين الحربية ، والشريعة المطهرة المحمدية ، وحالاً فى الوقت والساعة ، هاج [1] صارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة [2] وأمر

١- فى النسخة (أ) "هيج ".

٢- يلاحظ أن بونابرت هنا-وصار الديوان على نهجه-عمل على تبرير مذبحة يافا وهى من النقاط السوداء فى تاريخ الحملة الفرنسية وفى تاريخ بونابرت بأن السبب فى ذلك هو رفضهم أى جنود يافا للأمان بينما هى مغالطة تاريخية لأنه من الثابت أنهم أخذوا عهدالأمان من بونابرت الذى حاول أن يلبس الأمور مسحة دينية بأن كل شئ بقضاء الله وقدره والديوان هنا يكرر ضرب من ليس تابعاً للسلطان العثمانى من المماليك أو عسكر الجزار حتى لا يثير أشجان المصريين . ومن النقاط الجديرة بالبحث أنه ورد الاعتراف فى هذا المنشور بحقوق مصر فى العريش كجزء من أرض مصر ، بينما اعترف المنشور بأن غزة تابعة لفلسطين .

بابتدا ضرب المدافع والقنبر الموجب للتدمير ، وبعد مضى زمان يسير ، تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال [ص ١٢٨] وتنكيس ، وفى وقت الظهر من هذا اليوم(١) انخرق صور يافا ، وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار ، ولا راد لقضاء الله ولا مُدافع . وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر (٢) بالهجوم عليهم ، وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ، ودار السيف فى (٣) المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصل النهب فيها تلك الليلة ، وفى يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ، ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير ، الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الأمان ، وأمر (٤) برجوعهم إلى بلادهم مكرمين ، وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم إلى أوطانهم سالمين ، لأجل ما يعرفوا مقدار شفقته ، ومزيد رأفته ورحمته ، يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة ، مع تمكنه ومزيد إتقانه وتحصنه . وفى هذه الوقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق ، لما وقع منهم من الانحراف (٥)

١- أى فى يوم الخميس غاية رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٧ مارس ١٧٩٩م .

٢- فى النسخة (أ) "أمر صارى عسكر ".

٣- فى النسخة (أ) "ودار المحاربين ".

٤- فى النسخة (ب) "وأمرهم برجوعهم " وهى خطأ والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٥- لم يحدد المنشور أى نوع من الانحراف يقصد فواضح أن الديوان أراد تبرير المذبحة وامتصاص غضبة الجمهور المصرى لذلك بررها بالانحراف ولا ندرى هل هذه هى شفقة بونابرت التى يتحدث عنها المنشور ، وعفوه عند المقدرة ويجب أن نتبين أيضاً موقف العلماء (نقصد كبار العلماء) وهو موقف مخز كما أن المنشور لم يحدد متى قتل هؤلاء وإن كان يشير إلى أنهم قتلوا فى المعركة وهو تزييف للحقيقة .

وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل ، والمجروحين منهم ليسوا بكثير ، وسبب ذلك سلوكهم إلى القلعة من طريق أمينة ، خافية عن العيون ، وأخذوا ذخاير كثيرة وأموال غزيرة ، ومسكوا المراكب التى فى المينا ، واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفع ، ولم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لا تنفع ، فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضا الله ، ولا تعترضوا على أحكام الله، وعليكم بتقوى الله ، واعلموا أنَّ الملك لله يوتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله " (١) فلما تحقق الناس صحة هذا الخبر [ص ١٢٩] نزل بهم من الكآبة والهم والحزن مالا يوصف ، فإنهم كانوا يظنون ، بل يتيقنون استحالة ذلك ، خصوصاً فى المدة القليلة ، ولكن المقضى كاين .

وفى يوم الجمعة خامس عشره (٢) شق جماعة من أتباع الشرطة فى الأسواق والحمامات والقهاوى ، ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام والتلفظ (٣) فى حق الفرنسيس ، ويقولون لهم " من كان يؤمن بالله ورسوله فلينته ويترك الكلام فى ذلك ، فإن ذلك مما يهيج العداوة " وعرفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك عوقب أو قتل [فلم ينتهوا ، وربما قبضوا على البعض وعاقبوه] (٤) بالضرب والتغريم .

١- لم يكتب الجبرتى أسماء الذين وقعوا على المنشور وهم الفقير السيد خليل البكرى نقيب الأشراف بمصر حالا عفى الله عنه ، والفقير عبد الله الشرقاوى رئيس الديوان بمصر حالا عفى الله عنه ، والفقير محمد المهدى كاتم سر الديوان بمصر حالا عفى الله عنه . راجع : حيدر الشهابى : مرجع سابق ، ص ٢٦٠.

٢- يوم الجمعة ١٥ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ مارس ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (أ) "واللفظ " فأثبتناها من باقى النسخ وهو الصواب .

٤- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .

وفى ذلك اليوم كان التحويل الربيعى ، وانتقال الشمس لبرج الحمل ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا ليلة السبت شنكاً وحراقة وسواريخ وتجمعوا بدار الخلاعة ، نسا ورجالاً ، وتراقصوا وتسابقوا ، وأوقدوا سرجاً وشموعاً وغير ذلك ، وأظهر النصارى القبطة والشوام الفرح والسرور .

وفى يوم السبت (1) المذكور ، أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة يافا – وعدتهم ثلاثة عشر علماً وفيهم من له طلايع فضة كبار – إلى الجامع الأزهر ، وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلا المنارات ، وأرسلوا بدلهم أعلام يافا ، وعملوا لهم موكباً بطايفة من العسكر ، يقدمهم طبلهم ، وخلفهم اللعين (2) الأغا بجماعته وطايفته ، والمحتسب ومدبروا الديوان ، وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد وورا ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطايفة الأولى ، وبعد هؤلاء عدة من العسكر على روسهم عمايم بيض ، يحملون الأعلام والبيارق المذكورة ، وخلفهم جماعة خيالة من كبار العساكر ، وآخرون راكبون على حمير المكارية . فلما [ص ١٣٠] وصلوا إلى باب الجامع الأزهر ، رفعوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلا الباب الكبير ، فوق المكتب ، وبعضهم على الباب الآخر ، بالقرب من حارة كتامة (3) المعروفة الآن بالعينية ،

١– يوم السبت هو ١٦ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ مارس ١٧٩٩م .

٢– كلمة "اللعين" محذوفة من عجائب الآثار .

٣– حارة كتامة : تنسب إلى قبيلة " كتامة " نزلوا بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر الصقلى عند الفتح الفاطمى لمصر ، وموضع هذه الحارة اليوم المنطقة التى يتوسطها حارة الأزهرى ، وعطفة الدويدارى وما يتفرع منها من العطف والدروب الكائنة فى الجنوب الشرقى من الجامع الأزهر .

د/ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

ولم يرفعوها على المنارات كما صنعوا فى أعلام العريش ، والسر فى ذلك التبكيت والإرغام ولله عاقبة الأمور .

وفى يوم الأحد سابع عشره (1) رتبوا أوامر وكتبوها فى أوراق مبصومة ، ولصقوها بالأسواق ، أحدها بسبب مرض الطاعون ، وآخر بسبب الضيوف الأغراب ، ومضمون الأول بتقاسيمه ومقالاته :" خطاباً لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها : أنكم تمتثلوا هذه الأوامر وتحافظوا عليها ، ولا تخالفوها ، وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ، وهى المحافظة من تشويش الكبة ، وكل من ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك فى محل من المحلات ، أو بيت ، أو وكالة ، أو رَبع ، يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيله، ويجب قفل ذلك المكان ، ويكون شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك أن يخبر حالاً قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلد قايمقام مصر ، ويكون ذلك فوراً ، وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها ، والأطبا إذا تحققوا وعلموا حصول (2) ذلك المرض يتوجه كل طبيب إلى قايمقام ويخبره ، ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من هذا التشويش ، وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض ، يعاقب بما يراه قايمقام ، ويقاصص مشايخ الحارات بماية كرباج جزا التقصير ، وملزوم أيضاً من [ص ١٣١] أصابه هذا التشويش ، أو حصل فى بيته لغيره من عايلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر ، كان قصاصة الموت ، وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله ، وكل رئيس ملة فى خط ، إذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى

1- يوم الأحد ١٧ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ مارس ١٧٩٩م .

2- كلمة " حصول " غير موجودة فى النسخة (ب) .

خطه، أو بمن مات بها أيضاً حالاً فورياً ، كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت ، والمغسل إن كان رجلاً أو امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة ، أو شك فى موته بها ، ولم يخبر قبل مضى أربعة وعشرين ساعة ، كان جزاؤه وقصاصه الموت ، وهذه الأوامر الضرورية يلزم أغاة الإنكشارية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية ، تنبيه الرعية وأستيقاظهم لها ، فإنها أمور مخفية ، وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قايمقام ، وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية ، لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد ، والحذر من المخالفة والسلام " .

ومضمون الثانى :" الخطاب السابق من صارى عسكر "دوجا" الوكيل ، وحاكم البلد "دستين " قايمقام ، يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهروا الأوامر وينتبهوا لها ، [وينبهوا عليها ، ويأمروا كامل الرعية بالمحافظة عليها][1] وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام ، وهو أنه يتحتم ويلزم كل صاحب خمارة أو وكالة أو بيت ، الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو أقليم ، و يلزمه أن يعرف عنه حالاً حاكم البلد ولم يتأخر عن الإخبار إلا مدة أربع وعشرين ساعة ، يعرفه عن مكانه الذى قدم منه ، وعن سبب قدومه ، ومدة سفره ، ومن أى طايفة ، أو ضيفاً ، أو تاجراً ، أو زايراً ، أو غريماً مخاصماً ، لابد لصاحب المكان من إيضاح البيان [2] والحذر ثم [ص ١٣٢] الحذر من التلبيس والخيانة ، وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة بإظهار أسمه وبلده وسبب قدومه ، يكون صاحب المكان متعدياً ومذنباً وخايناً وموالساً مع المماليك ، ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكايل تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريال فرانسة فى المرة الأولى ، وأما فى المرة الثانية فإن الغرامة

١- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى عجائب الآثار .

٢- كلمة " البيان " غير موجودة فى النسخة (ب) .

تضاعف ثلاث مرات ، ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكايل "والسلام" .

وفيه (١) اجتمعوا بالديوان ، وتفاوضوا فى شأن مصطفى كتخدا الباشا ، المولى أمير الحاج ، وهو أنه لما ارتحل مع كبير الفرنسيس ، وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر ، والوجاقلية والتجار ، وافترق منهم عند بلبيس ، وتقدمهم هو إلى الصالحية ، ثم إنهم انتقلوا إلى القرين ، فحضر جماعة من العسكر المسافرين ، فاحتاجوا إلى الجمال ، فأخذوا جمالهم ، فلما وصل إلى قطيا ، أرسل إليهم يستدعيهم إلى الحضور ، فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخوفة من العرب ، فلم يمكنهم اللحوق به ، فأقاموا بالعرين (٢) وابن الدواخلى وآخرون ، خافوا عاقبة الأمر ، ففارقوهم وذهبوا إلى القرين ، وأعتل ابن الدواخلى بالتشويش ، وحضر إلى مصر كما تقدم ذكر ذلك ، وانتقل مصطفى بيك المذكور والقاضى وصحبتهم الشيخ سليمان الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية إلى كفور [ص ١٣٣] نجم (٣)وأقاموا هناك أياماً ، واتفق أن الصاوى أرسل إلى داره مكتوباً ، وذكر فى ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة ، أنهم رأوا من كتخدا الباشا أموراً غير لايقة ، فلما حضر ذلك المكتوب ، طلبه جماعة الفرنسيس المقيمون بمصر ، وقرأوه وبحثوا عن معنى

١- أى فى يوم الأحد ١٧ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ مارس ١٧٩٩ م .

٢- فى عجائب الآثار النص هكذا "فاقاموا بالعرين بالعين المهملة وابن الدواخلى .." .

٣- كفور نجم : من القرى القديمة كانت تسمى طرادية العرب لتميزها من طرادية الغز (الطرادية وهى الفوزية الآن) وردت فى التحفة من أعمال الشرقية ، وفى الانتصار وردت باسم طرادية ثم غير اسمها فوردت فى تاريخ سنة ٩٣٣هـ باسم كفور نجم ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨هـ باسمها الحالى .محمد رمزى : القسم الثانى ، جـ١ ، ص ١٢٦ .

الأمور الغير لايقه ، فأولها بعض المشايخ بأنه قصَّر فى حقهم ، والاعتنا بشأنهم، فسكتوا وأخذوا فى التفحص ، فظهر أنه خامر عليهم ، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة ، وأكرمهم وأخلع عليهم، وانتقل بصحبتهم إلى منية غمر (١) ودقدوس (٢) وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال ، وحين كانوا على البحر ، مرَّ بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيس بدمياط ، فقاطعوا عليهم ، وأخذوا ما معهم قهراً ، وأحضروا المراكبية بالديوان ، فحكوا على ما وقع لهم معه ، فأثبتوا خيانة مصطفى بيك المذكور وعصيانه ، وأرسلوا هجاناً بإعلام صارى عسكرهم بذلك ، فرجع إليهم بالجواب ، بأن يرسلوا إليه عسكراً ، ويقبضون عليه ويختمون على داره ، ويحبسون جماعته .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه (٣) عينوا عليه عسكراً ، وأرسلوا إلى داره جماعة ومعهم وكلا ، فقبضوا على كتخدايه الذى كان ناظر على الكسوة ، وابن

١- منية غمر : قاعدة مركز ميت غمر وهى من القرى القديمة اسمها الأصلى "منية غمر" وردت به فى نزهة المشتاق قال وهى قرية لها سوق ومتاجر وفى التحفة منية غمر من أعمال الشرقية ، وفى الانتصار وردت محرفة أيضاً باسم منية غمر من الأعمال المذكور واضيفت إليها فى بعض الأحيان "منيه حماد" وسميت "منيتى غمر وحماد ولكن فصل ناحيه حماد بزمام خاص بها منذ ١٢٢٨، وقد جعلت ميت غمر قاعدة لقسم ميت غمر من سنة ١٨٢٦ وفى سنة١٨٧١م سمى مركز "ميت غمر".محمد رمزى:القسم الثانى،ص٢٦٣.

٢- دقدوس : من القرى القديمة التى ذكرها أميلينو فى جغرافيته وقال أن اسمها الرومى"Atlhokotos" وردت فى نزهة المشتاق بأسم دقدوس وهو يتفق مع اسمها الرومى المذكور وهى قرية كبيرة جداً ذات بساتين وزروع وبها سوق ، ووردت فى الأزهار دقدوس وهو الاسم الذى وردت به فى معجم البلدان .

محمد رمزى : القسم الثانى . جـ١ ، ص ٢٥٥ .

٣- يوم الأحد ٢٤ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٣١ مارس ١٧٩٩م .

أخيه ومن معهم ، وأودعوهم السجن بالجيزة ، وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقايمة ، وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة ، فوجدوا غالب أمتعة الباشا ويرقه [1] وملابسه وعبى الخيل والأمتعة وغيرها ، شيئاً كثيراً ، ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضاً ، فانقبض خواطر الناس لذلك ، فإنهم كانوا مستأنسين [ص ١٣٤] بوجوده ووجود القاضى ، ويتوسلون بشفاعتهم عند الفرنسيس ، وكلمتهم عندهم مقبولة ، وأوامرهم مسموعة . ثم إنهم أرسلوا أماناً للمشايخ والوجاقلية والتجار ، بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم .

وفيه ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، حضر إلى دمياط ، وصحبته جماعة أفندية وغيرهم [2] وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا ، فلما حاصرهم الفرنسيس وملكوا القلعة والبلد ، وجرى ما سطر ، أحضروهم بين يدى كبير الفرنسيس ، فى أسوأ حال ، فأمنهم وأنزلهم فى مركب ، وأرسلهم إلى دمياط من البحر .

وفى يوم الاثنين [3] نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد والأغراب ، بأنهم يحضروا إلى بيت الوكيل ، ويأخذون لهم أوراقاً ، بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم ، ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك ، يستاهل الذى يجرى عليه ، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية بصفة الفلاحين .

١- اليارق نوع من الحلى .

٢- فى عجائب الآثار يذكرهم الجبرتى بالاسم وهم : "عثمان أفندى العباسى ، وحسن أفندى كاتب الشهر ، محمد أفندى ثانى قلفة وباش جاجرت ، والشيخ المصطفى وغيرهم " ويذكر أيضاً أن بونابرت " عاتبهم على خروجهم من مصر وألبسهم ملابس " .

٣- يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٢١٣هـ الموافق أول أبريل ١٧٩٩م .

وفى يوم الثلاثا (1) نادوا فى الأسواق والشوارع ، بأن من أراد الحج فليحج في البحر من السويس ، صحبة الكسوة والصرة ، وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك [وكله كذب لا أصل له] (2)

وفيه(3) حضر إمام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب منه ، مضمونه الثنا على الفرنسيس ، وشكر صنيعهم باعتنايهم وعملهم موكب الكسوة والدعا لهم ، وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ، ويطلب منهم الإجازة بالحضور إلى مصر ، ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج ، فإن الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج ، وفى أخر المكتوب :" وإن بلغكم من المنافقين شئ فهو كذب ونميمة ، فلا تصدقوه " ، [ص ١٣٥] فقرى كتابه بالديوان ، فلما أفهموه للفرنسيس كذبوه ، ولم ينفعه هذا الاعتذار ، ثم كتبوا له جواباً وأرسلوه صحبة إمامه ، مضمونه إن كان صادقاً فى مقالته ، فليذهب إلى جهة صارى عسكر بالشام ، وأمهلوه ست ساعات ، بعد وصول الجواب إليه ، وإن تأخر زيادة عليها كان كاذباً فى مقالته ، وأمروا العسكر بمحاربته ، والقبض عليه .

وفيه كتبوا أوراقاً ونادوا بها فى الشوارع ، وهى : " يا أهل مصر ، نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحج ، بسبب ما حصل منه ، وأن أهل مصر علما ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ، ولم ينسب لهم شئ ، فالحمد لله

١- يوم الثلاثاء ٢٦ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢ أبريل ١٧٩٩م .

٢- هذا التعليق حذفه الجبرتى من عجائب الآثار مع أنه كان كذب حقيقة حيث لم يحج أحد فى ذلك العام ولم تخرج الصرة ولا الكسوة ولا ندرى السبب فى ذلك .

٣- أى فى يوم الثلاثاء ٢٦ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢ أبريل ١٧٩٩م ، وهو نفس تاريخ اليومية التالية أيضاً .

الذى برا أهل مصر من هذه الفتنة ، وهم حاضرون سالمين غانمين ، ما عليهم سوء، ومن كان مراده الحج ، يجهز روحه[1] ويسافر مع الصرة والكسوة فى البحر ، المركب حاضرة ، والمعينين المحافظين من أهل مصر صحبة الحجاج حاضرين ، يكون فى علمكم تكونوا مطمينين واتركوا كلام الحشاشين ".

وفى يوم السبت غايته [2] حضر المشايخ والوجاقات والتجار ، خلا قاضى العسكر ، فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا [3]

شهر ذى القعدة ١٢١٣هـ

استهل بيوم الأحد [4] فى سادسه يوم الجمعة [5] حضرت هجانة من

١- فى النسخة (أ) "يشهل نفسه " وفى عجائب الآثار " يؤهل نفسه " .

٢- الصواب أن غاية شوال توافق يوم الجمعة ٢٩ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٥ أبريل ١٧٩٩م .

٣- فى عجائب الآثار يضيف الجبرتى ثلاث يوميات جديدة كمجمل لحوادث شهر شوال ، وهى فى مجملها تدور حول انجازات الفرنسيين مثل الجسر الذى أقاموه بالقرب من القصر العينى للروضة وكذلك الإنجازات العلمية لهم وهوحريص هنا كذلك على حذف أى إشارة لمن تعاون مع الفرنسيين خوفاً عليهم إذا قرأ الوزير هذا الكتاب ، ومنهم صديقه إسماعيل الخشاب وقد حذف الجبرتى ذلك كله من مظهر التقديس .

٤- يذكر "محمد مختار "فى " التوفيقات الإلهامية " أن غرة شهر ذى القعدة ١٢١٣هـ توافق يوم السبت ٦ أبريل ١٧٩٩م ، وعلى ذلك فإن شهر شوال ٢٩ يوماً ، ولكن الجبرتى يشير إلى أن غرة ذى القعدة كانت يوم الأحد ٧ أبريل ، ولابد أن أحدهما مخطئ ، وليس لذلك سوى تفسير واحد هو أن هلال ذى القعدة لم تثبت رؤيته ليلة السبت ، ولذلك استكمل شوال ثلاثين يوماً ، وعلى ذلك فإن بداية ذى القعدة حسبما يذكر الجبرتى هى يوم الأحد ٧ أبريل ١٧٩٩م ، والاختلاف فى التوارخ بين الجبرتى ومختار باشا يستمر خلال شهرى ذى القعدة وذى الحجة ، ثم يتفقا ثانية فى مطلع شهر المحرم ١٢١٤هـ ، وسوف نضطر للسير على تواريخ الجبرتى لأن ما يهمنا هو الواقع وليس الحساب الفلكى وإن كنا سنشير إلى هذا الاختلاف عند مطلع كل شهر .

٥- يوم الجمعة ٦ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق١٢ ابريل ١٧٩٩م .

الفرنسيس ، ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم أخذوا حيفاً ، وبعدها ركبوا على عكا(1) وضربوا عليها ، وهدموا جانباً من سورها ، وأنهم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار ، لئلا يحصل لأصحابهم القلق ، فتكونوا مطمئنين ، وبعد سبعة أيام نحضر إلى عندكم والسلام [ص ١٣٦] وقد كذبوا (2)

وفيه (3) حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة ، فتحدث الناس وكثر لغطهم ، وتقولوا بأنهم عشرون ألفاً حضروا يستنقذوا مصر من الفرنسيس ، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم ، فوجدوهم طايفة من فلان (4) وقرى فاس ،

١- حصار عكا : استولت القوات الفرنسية على حيفا دون قتال وأسرت فيها سفينة للإنكليز ثم تابعت طريقها إلى الهدف ، حتى بلغت أسوار عكا فى ١٨ مارس ١٧٩٩م وكانت أخبار مذابح يافا قد وصلت إلى عكا ، فصمم الجزار على المقاومة حتى اللحظة الأخيرة ، معتمداً على أسوار المدينة من جهة وبراعة جنوده ووفرة عددهم من جهة أخرى ، وكذلك مساعدات سدنى سميث من البحر ، وعندما ألقى بونابرت الحصار على عكا جمع أركان حربة واستقرار الرأى على أنتظار المدافع الضخمة التى كانت فى طريقها من مصر للبدء بالهجوم الحاسم ولكن الأسطول الفرنسى بقيادة برتييه "ضل طريقه وسط الضباب الكثيف فأسره الإنكليز ، ونصبوا مدافعه على أسوار عكا ، واستعملوا عتادة ضد الفرنسيين اصحابه الأصليين . د/ نادر العطار :مرجع سابق ص ١٣١ .

٢- عبارة وقد كذبوا " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار" ، مع أنهم كذبوا فعلاً لأنهم لم يحضروا بعد سبعة أيام ، وإنما أقاموا على حصار عكا أكثر من شهرين .

٣- يوم الجمعة ٦ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٢ أبريل ١٧٩٥م .

٤- هكذا فى جميع النسخ ، وفى عجائب الآثار " من خلايا قرى فاس" .

مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضا أشغالهم ، فحضر شخص منهم إلى الفرنسيس ، ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلاً وسلاحاً ، وقصدهم إثارة فتنة ، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون فى أمرهم ، فذهبوا إليهم ، وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذى نقل عنهم ، فقالوا إنما جينا بقصد الحج لا لغيره ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة ، فعملوا الديوان فى صبحها وأحضروه ، وكذلك أحضروا الرجل الذى وشى عليهم ، فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه ، فقال :" أننا لم نأت إلا بقصد الحج " ، فقيل له :" ولأى شئ تشترون الأسلحة والخيول ، فقال :" نعم لازم لنا ذلك لأننا مسافرون فى البر ونحتاج إلى ذلك ضرورة " فقيل له :" أنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج " فقال :" هذا كلام لا أصل له " ، فقيل له :" إن الناقل لذلك رجل منكم " فقال :" هذا رجل حرامى مسكناه بالسرقة ، وضربناه ، فحمله الحقد على ذلك ، وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة ، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود " . ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ، ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدوا جماعته ويسافروا ، ويلحقهم بعد يومين بالسلاح ، فأجابهم إلى [ص ١٣٧] ذلك ، فحمدوه وأهدوا له هدية .

فلما كان يوم السبت [١] خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ومعهم مدفعان، ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر[٢] ويمشوا معهم إلى العادلية ، فلما رأى الناس

١- يوم السبت ٧ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٣ أبريل ١٧٩٩م .

٢- المقصود عبور النيل من البر الغربى إلى البر الشرقى .

خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ، ورمحوا كعادتهم وكرشاتهم وصياحهم ، وقالوا وأشاعوا أن الفرنج خرجت لقتال المغاربة ، وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم ، فلم يعدوا المغاربة فى ذلك اليوم ، وعدوا فى ثانى يوم [1] ومشى معهم عسكر الفرنسيس إلى العادلية ، وهم يضربون الطبول الحربية ، وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر

وفى يوم الثلاثا عاشره [2] سافر عدة من عسكر الفرنسيس إلى عرب الجزيرة ، فإن مصطفى بيك كتخدا الباشا ، ذهب إليهم والتجا إليهم ، فعينوا عليهم ذلك العسكر .

وفى يوم الأربعا[3] أفرجوا عن جماعة من الغليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم نقولا النصرانى الأرمنى ، الذى كان ريس مراكب مراد بيك الحربية التى أنشأها بالجيزة ، وأسكنوه فى بيت حسن كتخدا بباب الشعرية .

وفيه ، حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات[4] بأمان ، وكان عاصياً ، فأعطوه الأمان وأخلعوا عليه ، وسفّروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام .

وفى يوم السبت حادى عشرينه [5] حضر مجلون من الناحية القبلية ، وصحبته أموال البلاد والغنايم من بهايم وخلافها .

١- يوم الأحد ٨ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أبريل ١٧٩٩م .

٢- يوم الثلاثاء ١٠ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٦ أبريل ١٧٩٩ .

٣- يوم الأربعاء ١١ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٧ أبريل ١٧٩٩م .

٤- عرب الحويطات : سكن عدد كبير منهم فى القليوبية بينما سكن البعض الأخر حول خليج العقبة حيث نزلوا هناك فى القرن السادس عشر ،

راجع د/ ايمان عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٦٣

٥- يوم السبت ٢١ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ أبريل ١٧٩٩م .

وفيه (١) عموا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من بر الشام أو غيره ، وكتبوا بذلك أوراقاً .

وفيه سافر عدة من العسكر إلى ناحية شرق إطفيح (٢) بسبب محمد بيك الألفى .

وفيه ، حضر الذين [ص ١٣٨] كانوا ذهبوا إلى عرب الجزيرة ، فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل ، وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال ، قيل أنه ذهب إلى الشام .

وفى خامس عشرينه (٣) أوصلت مراسلة من المذكور خطاباً للمشايخ مضمونها : أنهم يعرفوا أكابر الفرنسيس أنه متوجه إلى صارى عسكرهم بالشام ، وأنهم يفرجون عن قريبة ، وكتخداية ويحتفظون على الأمتعة التى أخذوها ، فإنها من متعلقات الدولة . فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا لا يمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى صارى عسكر ، ويأتينا منه خطاب فى شأنه ، فإنه من الجايز أنه يكذب فى قوله .

١- أى فى يوم السبت ، وهذه اليومية متداخلة مع اليومية التالية لها فى عجائب الآثار ونصها هكذا " وفيه عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من بر الشام من العسكر إلى ناحية شرق أطفيح ، بسبب محمد بيك الألفى " والتداخل واضح .

٢- إطفيح :بالكسر فى أوله والفاء وياء ساكنة وحاء مهملة : بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه ، وفى قبلته مقام موسى بن عمران عليه السلام ، فيه موضع قدمه ، وينسب إليه بعض العلماء ياقوت الحموى : مصدر سابق ، جـ١ ص ٢٥٩

٣- يوم الأربعاء ٢٥ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق أول مايو ١٧٩٩م .

وفيه ثبت أن محمد بيك الألفي مرّ من خلف الجبل، وذهب لعرب الجزيرة ، ومعه من جماعته نحو المائة ، وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحي ، وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر .

وفي سابع عشرينه (1) لخص الفرنسيس طوماراً أقرى بالديوان ، وطبع منه عدة نسخ ولصقت بالأسواق على العادة ، وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا ، والروايا عمن بالصعيد ، والكيلاني والأشراف الذين معه ، وغير ذلك ، ونصها :

" من محفل الديوان الكبير بمصر ":

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا عدوان إلا على الظالمين ، نخبر أهل مصر أجمعين ، أنه حضر جواب من عكا من حضرة صارى عسكر الكبير ، خطاباً إلى حضرة صارى عسكر الوكيل بثغر دمياط ، تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه(2) يخبر فيه أننا [ص ١٣٩] أرسلنا لكم نقيرتين لدمياط ، الأولى أرسلناها في خمسة وعشرين شوال ، والثانية في ثمانية وعشرين منه (3) أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا إرسال جانب جلل (4)

١- يوم الجمعة ٢٧ من ذي القعدة ١٢١٣هـ الموافق ٣ مايو ١٧٩٩م .

٢- يوم الاثنين ٩ من ذي القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٥ أبريل ١٧٩٩م .

٣- يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٢١٣هـ الموافق لأول أبريل ١٧٩٩م ، ويوم الخميس ٢٨ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٤ أبريل ١٧٩٩م .

٤- في النسخة (ب) كتبت "كلل" وتكررت بنفس الرسم فيما يلي .

وذخاير إلى عسكرنا المحافظين في غزة ويافا ، لأجل زيادة المحافظة والصيانة ، وأما من قبل العرضى ، فإن الجلل عندنا كثيرة ، والذخاير والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة ، حتى أنها زادت عندنا الجلل بكثرة ، جمعناها مما يرميه الأعدا ، فكأن أعدانا أعانونا ، ونخبركم أننا عملنا لغم [1] مقدار عمقه ثلاثون قدماً ، وسرنا به حتى قربناه إلى الصور الجواني بمسافة ثمانية عشر قدماً ، وقد قربت عساكرنا من الجهة التى نحارب فيها ، حتى صار بينهم وبين الصور نحو ثمانية وأربعون قدماً ، بمشيئة الله ، عند وصول كتابنا إليكم ، وقبل تمام قراته عليكم ، نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين ، فإننا تهيأنا إلى دخولها ، يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب ، وأما بقية إقليم الشام [2] وما يلى عكا من البلاد ، فإنهم لنا طايعون ، وبالاعتنا ومزيد المحبة فينا راغبون ، يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجاً أفواجاً ، بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم ، من القلب السليم ، وهذا من فضل الله علينا ، ومن شدة بغضهم لجزار باشا ، ونخبركم أيضاً أن الجنرال يونوت [3] انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابلهم بثلاثماية عسكرى مشاة من عساكرنا ، فكسروا التجريدة المذكورة ، وأوقع

١- المقصود " نفق " .

٢- فى النسخة (ب) " أقاليم الشام ".

٣- ربما يكون المقصود هو الجنرال مورا : فقد تواردت الأنباد على بونابرت عن أن جيش يزحف من دمشق إلى عكا ، فسار مورا بفرسانه إليه ، واستولى على الناصرة ، وغنم ما فى مخازنها الكبيرة من مؤن وعتاد ، وبذلك اطمأن بونابرت إلى قوة مركزه أمام عكا التى لم يعرف كيف يخضعها لنفوذه ، ولكنه هذا النصر الذى أحرزه موراً كان دافعاً مؤقتاً وسرعان ما توالت النكبات على بونابرت . أما يونوت فهو الجنرال جونو Junot الذى عينه بونابرت قائداً لحامية قطيا .

راجع د/ نادر العطار - مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

منهم نحو ستماية نفس ما بين مقتول ومجروح ، وأخذوا منهم خمسة بيارق ، وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب ، أن ثلاثماية نفس تهزم نحو أربعة آلاف [ص ١٤٠] نفس ، فعلمنا أن النصر من عند الله ، لا بالقلة ولا بالكثرة . هذا آخر كتاب [صارى عسكر الكبير إلى وكيله بدمياط ، وأرسل إلينا بالديوان ، حضرة الوكيل] (١)صارى عسكر دوجا ، الوكيل بمصر المحروسة ، يخبرنا بصورة هذا المكتوب ، ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والإنصاف ، ويتركوا الكذب والخلاف(٢) فإن كلام الحشاشين (٣) يوقع الضرر للناس المعتبرين ، فإن حضرة صارى عسكر دوجا الوكيل ، بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف ، والحال أن الأشراف الذين تذكرونهم وتكذبون عليهم ، جاءت أخبارهم من حضرة صارى عسكر الصعيد دزه ، يخبر الوكيل دوجا ، بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلانى تمزقوا كل ممزق ، وانهزموا وتفرقوا ، ولم يكن الآن فى بلاد الصعيد شئ يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد ، فأنتم يا أهل مصر ، ويا أهل الأرياف ، اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف ، وأمسكوا دينكم قبل أن يحل بكم الدمار ، ويلحقكم الندم والعار ، والأولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه ، وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه ، فإن العاقل يقرا العواقب ، وعلى نفسه يحاسب ، هذا شأن أهل الكمال ، يتركون القيل والقال ، ويشتغلون بإصلاح الأحوال ، ويرجعون إلى الكبير المتعال ، والسلام ".

١- ما بين القوسين مفقود من النسخة (ب) .

٢- فى النسخة (أ) "الخراف" وكذلك فى عجائب الآثار ، ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- فى النسخة (ب) "المنافقين".

مجمل يوميات شهر ذي القعدة (١)

وفي هذا الشهر ، كتبوا أوراقاً بأوامر ، وصورتها :

من محفل الديوان العمومي إلى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة ، أننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر[ص ١٤١] الضروري وهو تشويش الطاعون ، عدم المخالطة مع النساء المشهورين ، لأنهم الواسطة الأقرب للتشويش المذكور، فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا إلى مدة ثلاثين يوماً من تاريخة (٢) أعلاه لجميع الناس ، إن كان فرنساوي أو مسلم أو نصراني أو يهودي ، من أي ملة كان ، كل من أدخل إلى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورين ، إن كان في بيوت العسكر ، أو من كان داخل المدينة ، فيكون قصاصه بالموت ، كذلك من قبل النساء والبنات المشهورين بالعكس ، إن دخلوا من أنفسهم أيضاً (٣) يقاصصوا بالموت ".

ومن حوادث هذا الشهر أنه حضر إلى القلزم (٤) مركبان إنكليز (٥) وقيل

١- العنوان من وضع المحققين .

٢- وأضح أن المؤلف قد نسيها عن ذكر التاريخ أعلا المنشور .

٣- دائماً تأتي في النسخة (أ) "ايضن" .

٤- القلزم : مدينة قديمة كانت تقع إلى الشمال الشرقي من السويس ، وكانت ميناء هام على البحر الأحمر ، وورثت السويس دور هذه الميناء منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ولكن جدير بالذكر أن القلزم تضاءل دورها قياساً إلى عيذاب ولحسابها نتيجة لتصاعد الخطر الصليبي في شمال البحر الأحمر ، ولكن بعد انتهاء الحروب الصليبية تدهورت عيذاب وعاد دور القلزم الذي ورثته السويس في النهاية حتى أطلق اسمها على خليج القلزم " خليج السويس " وتحول "بحر القلزم " إلى البحر الأحمر .

د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

٥- في عجائب الآثار " مركبان إنكليزيان " .

أربعة ، ووقفوا قبالة السويس ، وضربوا مدافع ، ففر أناس من سكان السويس إلى مصر ، وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض "داوات" تحمل البن والتجارة ، فحجزوهم ومنعوهم من الدخول إلى السويس .

ومنها ، أن طايفة من عرب البحيرة ، وقيل يصحبهم طايفة يقال لهم عرب الغز و جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس ، وعاثوا في نواحى تلك البلاد(١) حتى وصلوا إلى رشيد والرحمانية ، يقتلون الفرنسيس (٢) وغيرهم ، وينهبون البلاد والزروعات .

ومنها ، أن الكيلانى المذكور آنفا توفى إلى رحمة الله تعالى ، وتفرقت طايفته فى البلاد ، حتى أنه حضر منهم جملة إلى مصر ، وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم ، وعند الحرب يخلون عنهم ، وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس ، فيقبضون عليهم (٣).

ومنها ، أنه حضر إلى مصر ، الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا

١- فى النسخة (ب) " وعاثوا فى تلك النواحى والبلاد " .

٢- فى النسخة (ب) " ويقتلون النفس من الفرنسيس وغيرهم " .

٣- لا شك أن الجبرتى يتجنى على أهل الصعيد فى هذا الموقف بالذات ، فمعلوماته عن حركة المقاومة فى الصعيد ضئيلة جداً ، ويكفى أن نعلم أن الفرنسيين - باعتراف ديزيه نفسه - لم يتمكنوا من السيطرة على الصعيد فى أى وقت من الأوقات ، برغم الهزائم المتلاحقة على قوات مراد بك والفلاحين والعربان وعرب الحجاز ، فقد ظل مركزهم مضطرباً ونفوذهم مزعزعاً ولم يكن سلطانهم يتعدى المدن التى احتلوها ، وقد كان من الصعب على ديزيه أن يرسل حتى مجرد رسالة إلى بونابرت ، وقد قتل الرسل فى كثير من الأحيان . أما عن الأهالى فيقول ديزيه " إن جميع القرى تقفر من السكان كلما اقتربنا منها ولا نجد شيئاً من القوت ولا نرى فلاحاً واحداً يدلنا أو يأتينا بالأخبار ، أو يحمل رسائلنا " فلا شك أن مثل هذا الفلاح ما كان ليوقع بمن جاء لمساعدته ، والجبرتى هنا يردد ما زعمه الفرنسيون حتى ينشروا روح اليأس بين أهل القاهرة .

بالجهة القبلية ، وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى ، بلدة من [ص ١٤٢] بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال والكلف ، ويرون فى أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة ، فخرجوا عليهم وقاتلوهم ، فملك عليهم الفرنسيس تلاً عالياً ، وضربوا عليهم بالمدافع ، فاتلفوهم وأحرقوا جرونهم ، ثم كبسوا عليهم ، وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم ، وأخذوا أشيا كثيرة ، وأموالاً عظيمة ، وودايع جسيمة، للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية ، لظن منعتهم . وكذلك فعلوا بالميمون (١)

شهر ذى الحجة ١٢١٣هـ

استهل بيوم الثلاثا (٢) فى ثانيه ، خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيس ، للمحافظة على البلاد الشرقية ، لتجمع العرب والمماليك على الألفى ، وكذلك تجمع

١- ثورة بنى عدى : أخذ أهالى بنى عدى والقرى المجاورة لها فى الاستعداد للثورة ضد الفرنسيين ، فانسحب إليها فلول الأهالى والعرب الذين انهزموا فى "جرجا " و "جهينة " ومعهم حوالى ٣٠٠ من فرسان المماليك ، وبنى عدى بلدة كبيرة واقعة على طرف الصحراء غربى منفلوط ، فاجتمع بها نحو ثلاثة آلاف من الأهالى المسلمين وانضم إليهم ٤٥٠ من العرب أضافة للمماليك ، واشتبك معهم الفرنسيون فى حرب حامية ولقى الجيش الفرنسى منهم مالم يلق فى كثير من البلاد ، ولما عجز الفرنسيون عن الاستيلاء على بنى عدى وهزيمة الأهالى لجأوا إلى للهمجية وأحرقوا القرية وقدر عدد القتلى من بنى عدى بألفى قتيل .لمزيد من المعلومات راجع / عبد الرحمن الرافعى - مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٨٦ .

٢- يوم الثلاثاء غرة ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ٧ مايو ١٧٩٩م . ويذكر مختار باشا فى "التوفيقات الإلهامية" أن غرة شهر ذى الحجة ١٢١٣هـ توافق يوم الاثنين ٦ مايو ١٧٩٩م ، وفى طبعة التربية والتعليم أن غرة الشهر توافق يوم الثلاثاء ٦ مايو وهو خطأ ناتج من عدم إدراكهم لاختلاف بداية الشهور عند الجبرتى ومختار باشا حيث أن المؤكد أن ٧ مايو يوافق يوم ثلاثاء فى أيام الاسبوع . وقد استمر هذا الخطأ عندهم فى كل يوميات هذا الشهر .

الكثير من الفرنسيس وذهبوا إلى جهة دمنهور ، وفعلوا بها كما فعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب ، وكان أشيع بمصر ، وتناقله الناس وثبت وجوده فى الخارج بعد ذلك ، أنه حضر إلى دمنهور رجل مغربى ، وصحبته نحو الثمانين نفراً، فكاتب أهل البلاد ودعى الناس إلى الجهاد ، فاجتمع عليه أهل البحيرة [1] وغيرهم، وحضروا إلى دمنهور ، وقاتلوا من بها من الفرنسيس ، واستمر أياماً كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق ، ويغرب هو تارة ويشرق .

وفيه[2] أشيع [3] أن الألفى حضر إلى بلاد الشرقية ، وقاتل من بها من الفرنسيس ، ثم ارتحل إلى الجزيرة .

وفى سابعه [4] حضر جماعة من فرنسيس الشام إلى الكرنتيلة بالعادلية ، وفيهم مجاريح ، وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا ، وأن مهندس حروبهم المعروف " بأبى خشبة " عند العامة ، واسمه "كفرلى " مات [5] وحزنوا لموته ، لأنه كان من دهاتهم وشيطانهم ، [ص ١٤٣]

١- البحيرة : يقع إقليم البحيرة على يسار النيل وهو يأخذ شكل مثلث ضلعة الأيمن فرع رشيد من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية صحراء ليبيا ، وضلعه الأعلى للبحر المتوسط ابتداء من مصب رشيد حتى حدود الأسكندرية من الجهة الشمالية ، وفي العصر العثمانى كانت البحيرة من الأقاليم الإدارية الكبرى " ولاية " وكان يتولى حكمها أحد بكوات مصر وكان يعينه ديوان مصر من بين الأمراء المماليك الذين كثيراً ما قام الصراع بينهم من أجل تولى حكم هذه الولاية ، وكان لحاكم البحيرة عدداً من الكشاف يصل أحياناً إلى عشرين كاشفاً وأحياناً كان يوجد معه قائمقامين . أ مينة السيد إبراهيم : إقليم البحيرة فى العصر العثمانى ١٥١٧ - ١٧٩٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، أداب الزقازيق ، ١٩٩٥ ، ص ١٢٠ وما بعدها .

٢- أى فى يوم الأربعاء ثانى ذو الحجة ١٢١٣هـ الموافق ٨ مايو ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (ب) "شاع " .

٤- يوم الاثنين ٧ من ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ١٣ مايو ١٧٩٩م .

٥- كلمة " مات " غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ .

وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال ، وإقدام عند المصاف ، مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها ، وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها .

وفى يوم الأربعا[1] كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس ، وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة إعلاماً بالعيد ، وكذلك عند الشروق ، ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة ، لعدم الأنعام ، وكونها محجوزة بالكرنتيلة ، والناس فى حزن وغم .

ومن الحوادث فى ذلك اليوم [2] أن رجلاً رومياً من باعة الرقيق ، عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة زين الفقار بالجمالية ، خرج لصلاة العيد ، ورجع إلى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ، ومتزيياً بمثل ملابس الغليونجية ، فقال له :" من أين لك هذا السلاح[3] واللباس ، " فقال :" من عند جارنا فلان العسكرى" ، فأمره بنزع ذلك ، فلم يستمع له ولم ينزعها ، فشتمه ولطمه على وجهه ، فخرج من الطبقة ، وحدثته نفسه بقتل سيده ، ورجع يريد ذلك ، فوجد عند سيده ضيفاً فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف ، فوقف خارج الباب ، ورآه سيده فعرف من عينه الغدر ، فلما قام ذلك الضيف قام معه ، وخرج وأغلق الباب على الغلام ، فصعد إلى السطح ، وتسلق إلى سطح آخر ، ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان ، وخرج إلى السوق وسيفه مسلول ، ويقول :" الجهاد يا مسلمين ، اذبحوا الفرنسيس " ونحو ذلك من الكلام ، ومرَّ إلى جهة الغورية ، فصادف ثلاثة أشخاص

١- يوم الأربعاء ٩ من ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ١٥ مايو ١٧٩٩ م .

٢- أى فى يوم الخميس ١٠ ذو الحجة ١٢١٣هـ الموافق ١٦ مايو ١٧٩٩م .

٣- كلمة " السلاح " غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

من الفرنسيس ، فقتل منهم شخصاً ، وهرب الاثنان ، ورجع على أثره ، والناس يعدون خلفه من بعد ، إلى أن [ص ١٤٤] وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ ، فدخله ، وعبر إلى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها ، والفرنسيس تجمع منهم طايفة [وظنوا ظناً آخر ، وبادروا إلى القلاع ، وحضر منهم طائفة] (١) مع القلق يسألون عن ذلك المملوك ، وهاجت العامة ورمحت الصغار ، وأغلق بعض من كان فاتحاً في هذا اليوم حانوته ، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن المملوك ، والناس يقولون ذهب من هنا ، حتى وصلوا إلى ذلك الدرب فدخلوه ، فلما أحس بهم نزع ثيابه ، وتدلى في بير بتلك الدار ، فدخلوا الدار وأخرجوه من البير وأخذوه ، وسكنت الفتنة ، فسألوه عن أمره ، وما السبب في فعله ذلك ، فقال :" إنه يوم الأضحية ، فأحببت أن أضحي على الفرنسيس " ، وسألوه عن السلاح ، فقال " إنه سلاحي" فحبسوه لينظروا في أمره ، وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدى ، فأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ، ثم أطلقوهم بدون ضرر ، وأخذوا سيده من الشيخ المهدى وحبسوه ، وحضر الأغا وبرطملين إلى الخان بعد العشا ، وطلبوا البواب والخانجي (٢) والجيران ، وصعدوا إلى الطباق ، وفتشوا على السلاح ، وقلعوا البلاط فلم يجدوا شيئاً ، وأرادوا فتح الحواصل ليتوصلوا لنهبها ، فمنعهم أحمد بن محمود محرم التاجر ، فخرجوا وأخذوا معهم الخانجي وجيران الطبقة تتمة سبعة أنفار ، وحبسوهم أيضاً ، وقتلوا المملوك في ثاني يوم ، واستمر الجماعة في الحبس إلى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

١- الفقرة التي بين القوسين غير موجودة في النسخة (أ) .

٢- أي صاحب الخان أو المسئول عنه .

وفى ذلك اليوم أيضاً (1) مرّ نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى [ص ١٤٥] وهو راكب على حمار ، فرآه ترجمان قلق الخطة ، ويسمى السيد عبد الله ، فأمره بالنزول إجلالاً للمشهد على العادة ، فامتنع فانتهره وضربه ، وألقاه إلى الأرض ، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس وشكا إليهم من السيد عبد الله المذكور ، فأحضروه وحبسوه ، فشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه ، وادعى النصرانى أنه ضاع له وقت ضربه إياه دراهم كانت فى جيبه ، واستمر الترجمان محبوساً عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم ، وهى ستة آلاف درهم .

وفيه ، أرسل فرنسيس مصر إلى فرنسيس الشام ، ميرة علي جمال العرب ، نحو ثمانمائة (2) حمل ، وذهب صحبتها برطملين وطايفة من العسكر ، فأوصلوها إلى بلبيس ورجعوا بعد يومين .

وفيه ، حضر إلى السويس تسع "داوات" بها بن وبهار وبضايع تجارة ، وفيها لشريف مكة خمسماية فرق (3) وكانت الإنكليز منعتهم عن الحضور ، فكاتبهم الشريف ، فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياماً مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منهم عشوراً ، وسامح الفرنسيس بن الشريف من العشور ، لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية ، قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوماً ، وطبعوا صورتها فى أوراق ولصقوها بالأسواق وهى : خطاب لبوسليك وصورته :

من الشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة المشرفة ، إلى عين أعيانه ، وعمدة إخوانه ، بوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة بسداد

١- يوم الخميس ١٦ مايو ١٧٩٩م . وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

٢- فى النسخة (أ) " نحو الثلاثماه " وفى عجائب الآثار " الثمانمائه حمل ".

٣- "الفرق" مكيال للبن وغيره يعادل ستة عشر رطلاً ويستخدم فى المدينة .

همته الوفية وبعد :

فإنه قد وصل إلينا كتابك ، وفهمنا كامل ما حواه خطابك [ص ١٤٦] بما ذكرت من وصول قنجتنا[١] وأنك أرسلت هجاناً برفع العشور عن البن ، وبذلت الهمة في شأن التصرف في نفاذ بيعه ، وتأملنا في كتابك ، فوجدنا من صدق مقاله ، ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد ، عن تموه غياهب الشك في كل المراد ، ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة ، فيما ينظم تسليك مهمات الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة . وشهلنا الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة ، من نفس بندرنا جدة المعمورة ، في هذا الأوان ، ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار إلا بأشد علاج مع سلب أطمئينان التجار ، لأن كثرة أكاذيب الأخبار ، أوجبت لهم مزيد الارتياب والأعذار ، بحيث ما بيننا وبينكم إلا العربان ، [المختلفة رواياتهم على ممر الزمان ، أما نحن][٢] فقد جاءتنا منكم قبل هذه المكاتيب ، التي أوجبت عندنا من خطاب كتبكم ، زوال تلك الظنون والأكاذيب ، فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم ، لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم . والمطلوب في حال وصول كتابنا [٣] إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس ، لأجل حفظ أموال الناس ، ويصلوا بالأبنان إلى مصر ، ويبيعوا التجار ويزول وقف الأسباب والناس ، وتهتموا في رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك [٤] سبباً في كثرة وفود [٥] الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع ، من مصر إلى السويس ، كذلك

١- القنجة نوع من السفن شائع الاستخدام في البحر الأحمر .

٢- العبارة التي بين القوسين غير موجودة في النسخة (أ) .

٣- في النسخة (ب) "مكتوباً" .

٤- كلمة "ذلك" غير موجودة في النسخة (ب) .

٥- في كل النسخ "وقود" فصححناها حتى يستقيم المعنى .

تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ، ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق ، لأن هذه المرة ما أرسل إليكم هذا المقدار إلا تجربة ، واستخبار من أعيان التجار ، وعند مشاهدة الإكرام [ص ١٤٧] والاحتفال بهم فى كل حال ، يرسلون إليكم نفائس أموالهم ، ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم ، ونرجو الله بهمتنا تسليك الطرقات ، وتنجح المطالب ، وتحصل الميزات بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان ، ويكثر بحول الله الوارد إليكم من الأسباب الحجازية وكذلك لنا بن فى المراكب فما مولنا منكم إلقا النظر على خدامنا ، وبذل الهمة على ما هو من طرفنا ، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الإكرام فى كل مرام ، ولا يخفاك أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوى محبنا بونابارتة ، فما كان لنا منها فتأملناه ، وصار إليه الجواب توصله إليه ، وما كان منها معول فى إرساله علينا إلى نواحى الهند وابن حيدر وإمام مسكت [1] ووكيلكم الذى فى المخا ، فجميعها صدرناها مع من نعتمده إلى أربابها ، وإن شا الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام[2] تحريراً فى ثمانية عشر

١- المقصود " إمام مسقط " ، ومسقط إحدى مدن الساحل العمانى ، وعاصمة سلطنة عمان الآن .

٢- يتضح لنا من خلال هذا المنشور عدة أمور ينبغى التركيز عليها : منها أن النص يوجد به بعض العبارات الدعائية التى أراد الفرنسيين استغلالها لنشرها بين الناس وبيان كيفية أن علاقتهم حسنة بالشريف "غالب" وذلك لما له من مكانه كبيرة لأنه من الأشراف ولأنه حاكم مكة .

- كذلك كان غالب وسيلة استغلها بونابرت فى نقل رسائله إلى الأمراء الهنود الكارهين للوجود الإنجليزى هناك وأيضاً للحكام فى منطقة الخليج التى يعمل بونابرت على مد نفوذه إليها لتأليب حكامها ضد التواجد الإنجليزى فى البحر الأحمر والخليج العربى .

- ويوضح المنشور كذلك بما لا يدع مجالاً لشك أن غالب لعب بطريقة مزدوجة فهو ضد الفرنسيين ويستقبل خطابات السلطان ويدعم المقاومة ضد الفرنسيين حتى يحتفظ بمظهره أمام العالم الإسلامى ولكنه فى الحقيقة صاحب علاقات قوية مع بونابرت ويسعى للكسب المادى من وراء هذه العلاقة .

شهر القعدة سنة١٢١٣هـ" وفى أخره :" وقد وصل هذا الجواب لمصر فى ١٦ شهر الحجة " ، فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة إلى مصر ، ثمانية وعشرين يوماً .

مجمل حوادث شهر ذى الحجة ١٢١٣هـ [١]

وانقضى هذا الشهر ، ولم يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام ، وما جرى لهم أو عليهم ، إلا روايات لا يوثق بها ، ولا يصح بالتواتر منها إلا تكرار هجوم الإفرنج على حصن عكا ، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئاً إلا فعلوه ، ولم ينالواغرضاً منها ، " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ". [٢]

مجمل حوادث سنة ١٢١٣هـ [٣]

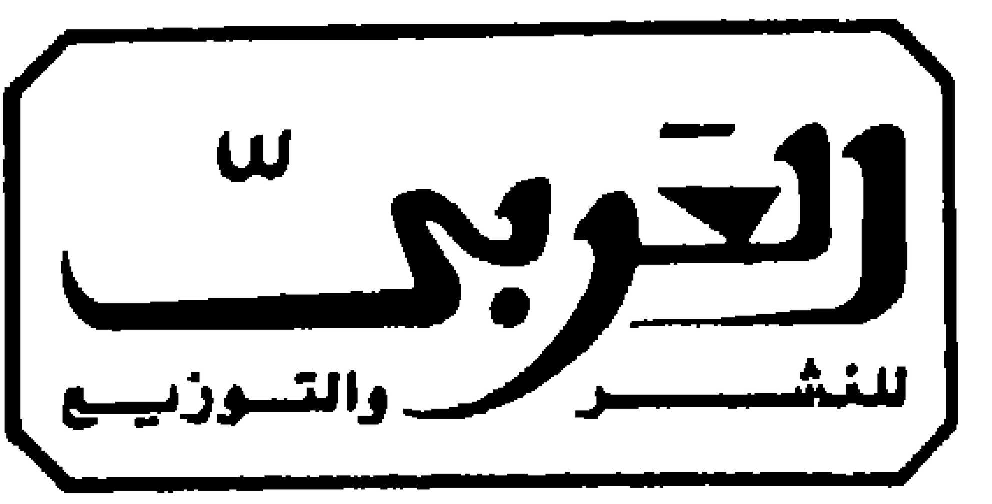
وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التى من أعظمها امتناع

١- العنوان من وضع المحققين .
٢- سورة آل عمران الآية ٥٤ . وهذه الآية محذوفة من عجائب الآثار .
٣- العنوان من وضع المحققين .

سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة ، { وذلك من أشنع الحوادث التى لم [ص ١٤٨] يتفق نظيرها فى دولة آل عثمان أبداً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم } (١)

١- التعليق الموجود بين القوسين حذفه الجبرتى من كتابه عجائب الآثار وكتب بدله " وهذا لم يقع نظيره فى هذه القرون ولا فى دولة بنى عثمان ، والأمر لله وحده " جدير بالذكر أن الجبرتى يضيف في عجائب الآثار بعد انقضاء السنة ذكر لمن توفى خلالها من العلماء والأمراء ، ويكتب ترجمة مختصرة لهم . وهذه أسماء من ترجم لهم فى وفيات تلك السنة ومن يرغب معرفة المزيد عنهم فليرجع إلى عجائب الاثار وهم : الشيخ أحمد بن موسى البيلى - الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوى - الشيخ عبد الوهاب الشبراوى - الشيخ يوسف المصيلحى - الشيخ سليمان الجوسقى - الشيخ إسماعيل البراوى - السيد محمد كريم السكندرى - السيد مصطفى الدمنهورى - ومن الأمراء المماليك يذكر إبراهيم بيك الصغير - على بيك الدفتردار - أيوب بيك الدفتردار - صالح بيك أمير الحاج - عبد الله كاشف الجرف .

دراسة وتحقيق وتعليق: عبد الرازق عيسى - عماد أحمد هلال



٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦